السيد جعفر شرف الدين



سيرة مجتمع في سيرة رجل

السيد جعفر شرف الدين، شاباً يافعاً



في منطقة الأهرام مصر





1949



صورة وثائقية للسيد جعفر شرف الدين بين كشافين في ملعب الجعفرية

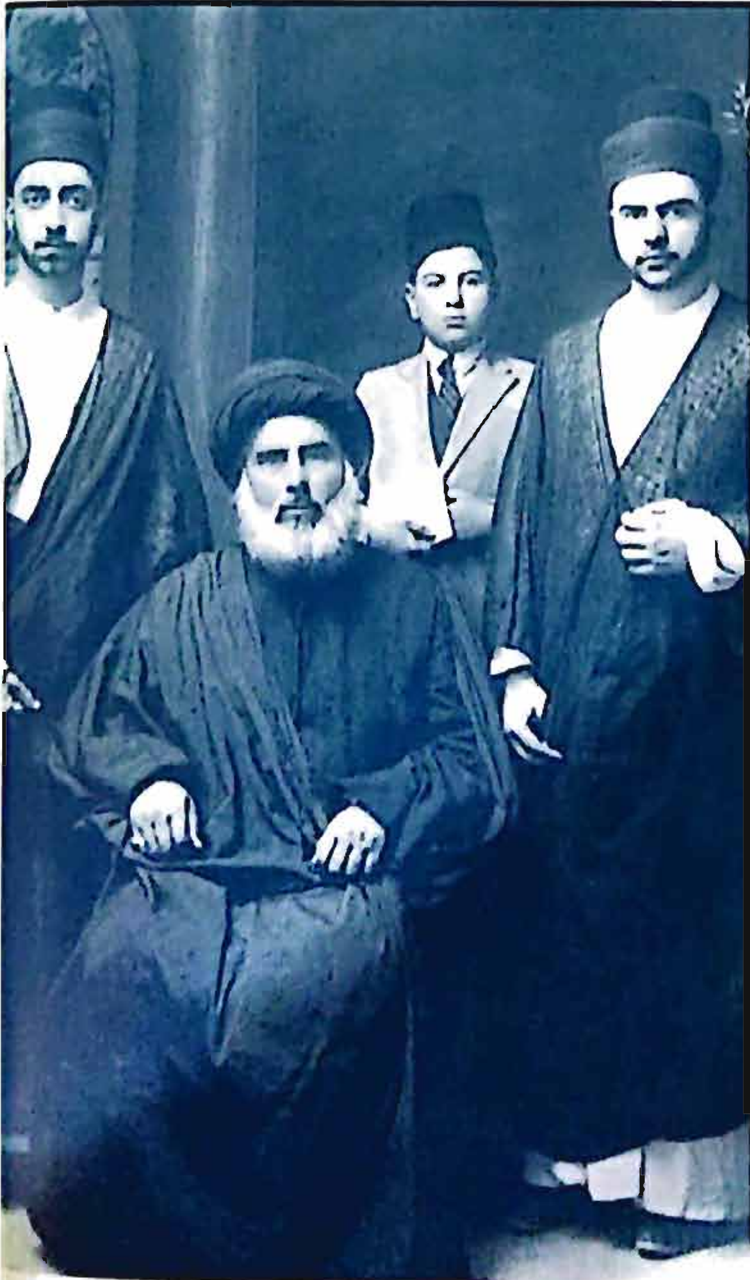


السيد جعفر شرف الدين مع عائلته الحبيبة، في مقتبل شبابه، ٨ آذار ١٩٤٧

م مصر



1947



السيد جعفر يافعاً مع شقيقه السيد نور الدين والسيد محمد هادي الصدر خلف «السيد» الوالد رحمهم الله



من أيام صور

بمناسبة الذكرى الثانية لوفاته

٢٥/ ٧ / ٢٠٠٣

السيد جعفر شرف الدين

سيرة رجل

في مسيرة مجتمع

شهادات ذوي فكر وقلم

إعداد

حسين شرف الدين



إصدار مؤسسات الكلية الجعفرية في صور

جنح فراشة

من الأساطير أن الهدهد رغب أن يقدم هدية شكر للنبي سليمان لما أولاه من كبير الرعاية، ولكن عظم قدر سليمان في نفس الهدهد، واستصغار الهدهد لنفسه، لم يرَ إلا أن يقدم هدية على قدره وليس على قدر سليمان، فاختار الأحقر والأجمل: جنح فراشة.

فيا سيد..

أقمت منا حراس كلمة، وها نحن نلملم زهرة نضارها من كلمات مَن كبُر فيهم الحب، وكبُر التقدير فتنادوا إليك صورةَ إخلاص وحب ارتسمت حبراً ورقّت كلمات، كما جَمُلَت كلماتك عن مجتمعك وأنت تكشف سيرة فكانت مسيرة حبيبة لكل ما عشته وعايشته، فحملناها إليك بكل جمالاتها وصفائها.

فتقبل منا جنح الفراشة هذا، تقبُّل سليمان هدية هدهده. وأنت السيد.

وإن كان بالإمكان تقديم جنح فراشة لك، ولكننا أعجز من أن نقدم إلى روح السيد المؤسس والدك العظيم من كنت به سيداً تراثاً وإنباتاً، أعجز من أن نقدم غير السورة الفاتحة.

مؤسسات الكلية الجعفرية

سيد القوم

الكلام عن السيد جعفر شرف الدين وفيه، بقدر ما هو سهلٌ مأتاه، صعبٌ مبتغاه.

إذ إن للسيد، من المزايا والشّيم، ما يغري المرءَ بالكلام عنها والحديث فيها، دون عناء أو جهد. بل هي تزدحم في وجدانه، ولا تستعصي على بيانه. إنها شمائلُ تأصلت، ومكارمُ ترسّخت، وما عليه إلا أن يختار ما شاء، من طريفها والتليد، دون أن يخاف شططاً وإن هو أسهب أو تكثّر.

وأما الوجه الآخر، في الكلام عن السيد، فيمثله خير تمثيل صدر البيت من قول سعيد عقل:

كلامي على ربّ الكلام هوىً صعب　　　تهيّبتُ، إلاّ أنني السيف لا ينبو

ودعك من العجز فليس لي منه إلاّ معناه الآخر.

بلى، إن تهيّبت الكلمة بين يدي أربابها وفي نوادي أصحابها تهيّبٌ، لعمري، في موضعه.

فإني لأشفق على هذا الفراغ الأبيض أن يُملأ بفراغٍ أسود.

فعذراً، يا أبا محمد، إن أنا كبوت في مضمارك، وقصّرت عن مداك.

فإني معك أجري ولا أجاري.

ولا عيب في هذا العياء، فجري المذكيات غلاء.

أنا أعرف وكلنا يعرف أن من أقحمت نفسي في الكتابة عنه، هو ربيب الكلمة وسيدها. ترعرع في أكنافها وتمرس بأصنافها.

أفنى عمره ـ مدَّ الله بعمره ـ متبتلاً في محرابها، سادناً على بابها.

لم يُلقِها يوماً حقًّا لباطل ولم يمسكها خشية قائل.

امتلكها عن معرفةٍ واقتدار فتهيّبته ولها منه اعتذار.

وماذا بعد؟ . . . .

أأتكلم عن السيد جعفر الإنسان السمح العف، المترفع عن الصغائر، الذي لا يعرف حقداً ولا يحمل ضغنا؟

صاحب النفس الكبيرة والصدر الرحب الذي يتسع لكل الناس، أصدقاء وغير أصدقاء، وذي المحيّا الطلق الذي يلقى به الأبعدين كما يلقى الأقربين؟

أم أتكلم عن السيد جعفر المربي، ركن الجعفرية وحاضنها.

تلك المؤسسة التي لولاها لما عرف جيلي، في جبل عامل، وأجيالٌ سبقت وأجيالٌ تلتْ، كنهَ الأبجديةِ وسحرَها، ولما اجتلينا عالَم المعرفةِ ونورَها؟

أم أتكلم عن السيد جعفر السياسي المثال، الذي عاش في ضمائرنا والخيال. وأردناه نموذجاً جديداً للسياسة التي نتشوّف إليها ونهفو؟

يأنفُ من ألاعيبها ومكرِها ويثقفُ من أساليبها وفكرها، يستنكف عن مكاسبها الدنيئة، ويستشرف مطالبها الخبيئة.

يحمي بها الحق وأهله، ويناهض فيها الباطل وأهله.

لا، لن أتكلم عن شيء من ذلك. فقد سبقني إليه كثيرون وأوفَوا فيه القول ما اتسع، فلن أتزيد أو أزيد. وإنما سأختم كلمتي بأبيات من رسالة وجّهتها إليه، ذات مناسبة.

وإني لآمل أن تكون ختاماً يحسن السكوت عليه:

سيدَ القوم سلاماً قد زكا   من طريحٍ هدّه أو أوشكا

مرضٌ قد قصم الظهر فكنْ ظهره، يا سيدي، والمتّكا
أنت أنت الموئل الرحب إذا جار دهر واليك المشتكى
شِيَمٌ عُوّدتُها من صغري وحكاها منصفٌ إمّا حكى
هي إرث السادة النجب وقد صارت النهج لكم والمسلكا
فاقبل العذر إذا ما فاتني واجبٌ قد مضّني أن يُتركا

آذار ٢٠٠٠ **عبد الباسط حدرج**

سيرة ذاتية

السيد جعفر شرف الدين

القيت في المجلس الثقافي
للبنان الجنوبي
بتاريخ ٥ ايار ١٩٨٣



الولادة والأسرة:

ولدت سنة ١٩٢٠ في بلدة شحور التي استوطنها جدنا السيد إبراهيم أبو الحسن الملقب بشرف الدين سنة ١٠٧٨ للهجرة قادماً من (جبع) موطن أجداده.

والسيد إبراهيم بن السيد زين العابدين الذي خلف والده المرجع الكبير في عصره السيد علي نور الدين أخ السيد محمد صاحب «المدارك» لأبيه واخ الشيخ حسن صاحب (المعالم) لأمه. خلفه على مدرسته في (جبع) بعد أن ارتحل عنها إلى مكة المكرمة. ويصفه السيد علي خان في كتابه (سلافة العصر) بعد ترجمة حياته بقوله: «استوطن مكة وهو كعبتها الثانية تستلم أركانه كما تستلم أركان البيت العتيق. رأيته وقد أناف على التسعين والناس تستعين به ولا يستعين» انتهى.

ولاستيطانه مكة حكاية طريفة ومؤلمة معاً. ذلك أن زعيم المناكرة على عهده في جبع ناصر المنكري نقل إليه رغبة الأمير فخر الدين المعني بمصاهرته فأمهله السيد ريثما يهيىء ابنته للحياة في قصر أمير. لأنها مهيأة طبيعياً للحياة في بيت علم لا إمارة. وفي نفس الأسبوع ارتحل مع عائلته إلى مكة تجنباً لهذا الإحراج وتوفي فيها سنة ١٠٦٨ هجرية. والسيد علي نور الدين الجبعي المكي هذا هو ابن السيد نور الدين علي مجدد الحوزة العلمية في جبع ابن المرجع الكبير السيد حسين أبو الحسن المتوفي سنة ٩٦٣ للهجرة.

هؤلاء الأقطاب الأربعة هم آباء شرف الدين الأدنون. وقد عاش في شحور سنتين فقط إذ توفي سنة ١٠٨٠ للهجرة وله من العمر خمسون عاماً. بينما عمر ولده السيد محمد الأول تسعين سنة إذ كانت وفاته في شحور سنة ١١٤٩ للهجرة. فخلفه ولداه السيد صالح والسيد محمد الثاني. ونحن أبناء السيد محمد استمررنا

بهذا اللقب (شرف الدين) أما أبناء أخيه السيد صالح فقد انتسبوا إلى ابنه السيد صدر الدين وأولهم ولده المرجع الأكبر في عصره السيد إسماعيل الصدر جد السيد موسى الصدر لأبيه. وكذلك انتسب أبناء أخيه السيد محمد علي إليه وأولهم حفيده المرجع الأكبر في عصره السيد حسن الصدر والد الزعيم السيد محمد الصدر رئيس الوزارة العراقية سنة ١٩٤٨ ورئيس مجلس الأعيان على مدى عشرين سنة.

أما كيف انتقل السيد صالح شرف الدين من لبنان إلى العراق فإن لذلك مأساة لا بد من الإلماح إليها، تلك التي ارتكبها والي عكا أحمد الجزار. وتتمثل في الاجتياح والقتل والتنكيل بأهل جبل عامل وعلمائه وزعمائه وإحراق مكتباته العلمية والأدبية والتراثية.

وأشهر من استشهد في ساحة القتال زعيم عاملة وقائد جيش دفاعها الشيخ ناصيف النصار وابنه وأخوه. وأشهر من استشهد في السجن تعذيباً من العلماء هما السيد فخر الدين فضل الله والشيخ علي خاتون. وأشهر من شرد من العلماء الشيخ إبراهيم يحيى والسيد محمد الأمين والشيخ محمد الحر والسيد صالح شرف الدين.

ولبلدة شحور سهم وافر في عهد الجزار يرويه كتاب تاريخ جبل عامل وخلاصته: «إن شحور ثارت بقيادة الشيخ حمزة النصار من آل علي الصغير وإدارة الشيخ علي الزين صاحب شحور وقد داهم هؤلاء الثوار قلعة تبنين وقتلوا حاكم البلاد فيها من قبل الجزار وأثخنوا بأعوانه. وعلى الأثر داهم الجزار قرية شحور في حرب لا قبل لها بها قتل فيها الشيخ حمزة وخلق كثير. وسار الشيخ علي الزين إلى العراق فإيران فالهند فكان له شأن كبير فيها». انتهى.

وقتل فيمن قتل في هذه المعركة الفتى هبة الدين شرف الدين بن السيد صالح. ولا يزال أهالي شحور وجوارها حتى اليوم يسمون ساحة المعركة (صدر القتلى) وكان السيد صالح في هذه الظروف معتقلاً في سجن (عكا). وقد هيأ الله له النجاة فراراً بمساعدة خفير السجن فقصد متستراً إلى وادي الليطاني تحت قريته شحور واتصل بأخيه السيد محمد ليخبره بعزمه على الهجرة إلى العراق ويوصيه

بموافاته بعائلته إلى النجف. وهكذا كوّن أبناؤه في العراق ثم في إيران عائلة جديدة انتسبت إلى ولده السيد صدر الدين.

واقف لحظة عند ذكر وادي الليطاني لأشير إلى أن السيد صالح التجأ إلى كهف هناك سنة ١٧٨٣ ميلادية فراراً من جور الجزار وهو نفس الكهف الذي التجأ إليه السيد عبد الحسين شرف الدين سنة ١٩٢٠ فراراً من الحملة الفرنسية التي داهمت شحور لاعتقاله. وهكذا يتكرر الحادث في هذه الأسرة بعد ١٣٧ سنة. ويتكرر أيضاً حادث التشريد فالسيد محمد الصدر شرد من العراق إلى لبنان سنة ١٩٢٠ من قبل السلطة الانكليزية والسيد عبد الحسين شرد من لبنان إلى فلسطين من قبل السلطة الفرنسية. وكان لا بد من لقاء الرجلين ولا يستطيع أحدهما دخول البلد الذي التجأ إليه الآخر. وهكذا التقيا على الخط الفاصل قرب بنت جبيل.

ولدت في أتون المحنة التي اجتاحت جبل عامل سنة ١٩٢٠ في بيت غير بيت أبي لأن الفرنسيين حين أحكموا الحصار على مسقط رأسي شحور ولم يجدوه اعتقلوا شباب عائلتنا وشباب آل الحسيني وغيرهم. وأحرقوا بيتنا في شحور وأباحوا بيتنا في صور للسلب فصيح في حجراته نهباً بما فيها المكتبة الإسلامية الكبرى التي ورثها عن أسرته وأضاف إليها ما جمعه في مطلع حياته وفيها كتب مخطوطة نادرة منها كل مؤلفاته. وهذا شأن الطغاة في كل اجتياح سواء اجتياح الجزار أو الفرنسيين أو إسرائيل في هذا النفق المظلم الذي نجتازه في محنتنا الحاضرة.

ويتحدث أبي عن مؤلفاته المفقودة فيسميها:

١ ـ كتاب الفوائد والفرائد: ويشتمل على مشكلات الفقه والأصول ومتشابه القرآن والحديث.

٢ ـ سبيل المؤمنين: في الإمامة العامة.

٣ ـ أهل الكتاب.

٤ ـ تحفة المحدثين.

٥ ـ مؤلفوا الشيعة في صدر الإسلام.

٦ ـ المناظرات الأزهرية: وهو كتاب المراجعات.

يقول عن هذا الكتاب في مخطوط قيد الطبع: ألفناه في مصر إذ أتيناها سنة ١٣٢٩ هجرية الموافقة سنة ١٩١١ ميلادية. وقد جمعنا الحظ السعيد بإمامها الوحيد الشيخ سليم البشري المالكي شيخ جامع الأزهر. حضرت درسه. وأخذت عنه. وكان عليم عِلم وعَلَم حكم. وكنت أختلف إلى منزله أخلو به في البحث وكان جل بحثنا في الإمامة. وقد فرضنا على أنفسنا أن نمعن النظر في البحث عن أدلتها متجردين من كل عاطفة سوى انتجاع الحقيقة. وعلى هذا جرت مناظراتنا ومراجعاتنا.

وكنت أردت طبع تلك المراجعات لكن الأقدار الغالبة أرجأت ذلك. فلما نكبنا في أحداث ١٣٣٨هـ ـ ١٩٢٠م نهبت مع سائر مؤلفاتي يوم نهبنا في دورنا. وما أن فرج الله عنا حتى استأنفت مضامينها بجميع مباحثها التي دارت بيننا فإذا هي بحذافيرها بين دفتي كتاب (المراجعات) مع زيادات لا تخل بما كان بيننا من المحاكمات. على ما أوضحناه في مقدمة الكتاب» انتهى.

نعم ولدت يوم ولد النضال والجهاد من جديد من جبل عامل سنة ١٩٢٠ في بلدة شاركت فيه سنة ١٧٨٠ـ١٧٨٣ وسنة ١٩٢٠ وفي مطلع تفتحي على الحياة ولد كتاب المراجعات من جديد أيضاً.

والآن كيف بعث النضال في جبل عامل؟ يقول أبي في ترجمة حياته ضمن كتاب ألفه في أسرته بعنوان «بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين» وقد جعلناه جزأين أحدهما تضمّن ترجمته أسميناه «صفحات من حياتي» نشرت فصول منه في مجلتي الألواح والمعهد. يقول فيه: «ثم كانت لنا مواجهات مع المسيطرين من الفرنسيين كبيكو وغورو وشربنتيه ودلبستر ونيجر. وقد حضر بعض هؤلاء إلى صور وفاوضونا دون خجل في أن تكون لنا الإدارة المطلقة في أسس الحكم المحلي وفي التعيينات. ولكنا رفضنا هذه المساومة. وقد شهد بعض هؤلاء في صور وشحور احتشادات الجماهير الهابطة من الجبل بأعلامها الوطنية الخافقة وهتافاتها الصاخبة فكان له وقع في نفوسهم وعلموا أن الشكيمة التي يحاولونها شكيمة لا تروض».

«وازداد موقفنا تعقداً بنتيجة استفتاء اللجنة الأميركية وقد زارت صور في هذا السبيل فيما زارت من أمهات البلاد سنة ١٩١٩م». انتهى.

وبعد مباحثات اللجنة مع أبي سلمها مذكرة جاء فيها: «أما بعد فإنني أؤكد البحث الذي أدرته وأخي حجة الإسلام الشيخ حسين مغنية معكم في صور. وأسجل في هذه الوثيقة خلاصة الرأي الذي أدلينا به. منعاً لكل لبس لدى المترجم. ودفعاً لأي تقوّل من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه.

أولاً: لا نرضى بغير استقلال سورية التام الناجز بحدودها الطبيعية التي تضم قسميها الجنوبي (فلسطين) والغربي (لبنان) وكل ما يعرف ببر الشام.

ثانياً: تكون الحكومة فيها ملكية ذات عدالة ومساواة يستوي فيها الناس كافة في الحقوق والوجبات.

ثالثاً: الأمير فيصل هو مرشح العرب الطبيعي لملك سورية. لما له من جهاد في سبيل القضية العربية. ومن عبقرية سياسية وخلقية.

رابعاً: لا حق لما تدعيه فرنسا من أية بقعة في سورية. ولا نقبل أية مساعدة منها».

مؤتمر وادي الحجير:

ويتحدث أبي عن مؤتمر وادي الحجير المنعقد يوم السبت ٥ شعبان ١٣٣٨ للهجرة ١٩٢٠ للميلاد فيقول فيما يقوله: «ثم أقسمت اليمين وأخذتها على العلماء والزعماء أن نتضامن على حفظ الأمن والحرص على سلامة النصارى بوجه خاص. وأحضرت رؤوس الثوار صادق الحمزة وأدهم خنجر ومحمود الأحمد وأخذت اليمين عليهم» انتهى.

ولكن بعض من حضر المؤتمر قلب الحقيقة فثارت فتنة عمياء في (عين إبل) وسواها. على أن ما جاء في حديثه عن المؤتمر الذي اختصرته الآن. ثم ما جاء بخطابه في المؤتمر يدحض كل هذا البهتان ويصحح المزاعم التي تناولت وقائع المؤتمر والبحث الذي دار فيه. وخصوصاً منها التزوير الذي نشرته بعض الصحف

سنة ١٩٢٠ والميول التي برزت فيما تناوله بعض المؤرخين في تحجيم دوره أو دور بعض قادته. فاستمعوا إلى مقاطع من الخطاب الوحيد الذي قيل في المؤتمر وهو خطاب السيد عبد الحسين شرف الدين.

«ألا وأن جبل عامل بعد هذا المؤتمر بين أمرين: إما عز لا تفصم عروته ولا تقرِع مرته. أو ذل تهاوت معه كواكب السعد وتقوض به سرادق المجد. فإن نبذتم الأهواء الشخصية وآثرتم شرف القضية فلتكوننّ في حرز لا يفصم وتكون بلادكم في حمى لا يقحم أما إذا غلبكم الهوى فلتكونن مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان. أمام قوة العدو، وشدة الفتن وتظاهر الزمان».

ويقول: «فوتوا على الدخيل الغاصب برباطة الجأش فرصته وأخمدوا بالصبر الجميل فتنته فإنه والله ما استعدى فريقاً على آخر إلا ليثير الفتنة الطائفية ويشعل الحرب الأهلية حتى إذا صدق زعمه وتحقق حلمه استقر في البلاد تعلّة حماية الأقليات».

ويقول: «ألا وإن النصارى إخوانكم في الله وفي الوطن وفي المصير فأحبوا لهم ما تحبونه لأنفسكم وحافظوا على أرواحهم وأموالهم كما تحافظون على أرواحكم وأموالكم وبذلك تحبطون المؤامرة وتخمدون الفتنة وتطبقون تعاليم دينكم وسنة نبيكم».

ويقول: «إن هذا المؤتمر يرفض الحماية والوصاية، ويأبى إلا الاستقلال التام الناجز المعتمر تاج فيصل العرب، عاهلاً مؤثلاً وقائداً محجلاً. يقيم دولة شرعية تجعل من الوطن جبهة منيعة ينحدر عنها السيل ولا يرقى إليها الطير».

ويقول الأستاذ الحوماني في وصف مؤتمر الحجير عبر رسالة مفتوحة في العدد ٢٠ من السنة الأولى لمجلته العروبة وجهها إلى السيد شرف الدين في سياق الاحتجاج عليه بتلك المنزلة التي لم يعمل بمستواها على حد زعمه فاستمعوا إلى مقاطع منها:

«ولقد شهدته - أي المؤتمر - بنفسي ورأيت كل عالم وزعيم ورده دون أن يحس الحضور بوروده لكثرة ما ازدحم فيه من الخلق. حتى إذا أوشكت ركابك أن

تحل به حسبنا أن الأرض قد تزلزلت والسماء أطبقت فوقنا. ولما تكشف هذا الرهج المعقود فوق الوادي برزت من تحته كالبدر ينشق عنه الغمام ليلة تمه. وإذا بالقسطل المعقود فوقك تثيره سنابك الخيل المحدقة بك. وإذا بالرعود القاصفة مما تبعثه البنادق والحراب المشرعة حولك.

لم يبق في الوادي فرد واحد لم يهرع إلى استقبالك ويتشوف إلى ركبك ولما جلست في خيمة العلماء حفوا بك وتهافت الحفل المحشود عليك كلهم يحدق بك ويستمع إليك وأنت مندفع تخطب كالسيل تبعث في نفوسهم الحمية وأنت دائب فيهم تحرضهم على الجهاد في سبيل الحق». انتهى.

ويلخص الأستاذ محمد جابر في كتابه (تاريخ جبل عامل) المقررات التي اتخذت فيه بالإجماع بثلاثة بنود هي الانضمام إلى الوحدة السورية. والمناداة بجلالة الملك فيصل مليكاً عليها. ورفض حماية وانتداب الفرنسيين. وقد انتخب السيد عبد الحسين نور الدين والسيد عبد الحسين شرف الدين لرفع قرار المؤتمر للحكومة السورية». انتهى.

وبالفعل فقد أمّ دمشق السيدان وكامل بك الأسعد الداعي إلى المؤتمر لإبلاغ الملك فيصل تلك المقررات. وفي ١٩ شعبان ١٣٣٨ الموافق ٨ أيار ١٩٢٠ استقبل الملك فيصل وفد جبل عامل في حشد من رموز حكومته وأعوانهم فيهم الشهيد المرحوم يوسف بك العظمة وزير الحربية آنذاك. وقد تكلم السيد عبد الحسين شرف الدين باسم الوفد ومما قاله:

«أما بعد فإنني أتقدم بتحية جبل عامل وولائه للمليك المفدى ثمالة السلف وبقية الخلف وذؤابة الشرف. أجل إليك يا ابن رسول الله أرفع تحية شيعتك المتمسكين بالعروة الوثقى من ولايتك، العاقدين نية القربة على مبايعتك بيعة قائمة مستقرة حتى بلوغ الهدف. ذمتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم. والهدف يقوم على دعامتين اثنتين هما: تطهير أرضنا من رجس الاحتلال. وجمع شتاتها تحت لواء وحدة وحرية واستقلال. وقد أجمع الرأي العام عندنا على المناداة بذلك والجهاد في سبيل تحقيقه. وواجه به لجنة الاستفتاء الأميركية. ولا عبرة بمن شذ عن ذلك من كل مستأجر شرك الشيطان في جنانه ونطق على لسانه. وكانت مقررات وادي

الحجير الحد الفاصل بين الحق والباطل والوثيقة التي رفعناها لجلالتكم أمس الأول تفصل ما نجمل».

ولعل الأستاذ الحوماني من القلائل الذين أرخوا لهذه المرحلة في أحاديث متناثرة. يقول في كتابه «من يسمع» صفحة ١٣٣ محاوراً الأستاذ إحسان الجابري حول السيد عبد الحسين شرف الدين والأستاذ رياض الصلح:

«إن الزعيم الوطني محمد علي الطاهر كان يتنكر للزعيم رياض الصلح. قلت يشاركه في هذا التنكر العلامة شرف الدين. وقد أفاد من تنكره له نصف مليون ليرة لبنانية كانت نواة لمعهد علمي شاده في مدينة صور يضم المئات من طلاب العلم العامليين وذلك على أثر طلبه من حكومة رياض الصلح عوناً لتعزيز هذا المعهد فلم يجد هذا العون. وقد اتصل بالمغتربين في أفريقيا إخفاق السيد بما طلب. وهو المجاهد الأول في سبيل الحق فلبوا دعوته بالمبلغ الذي ذكرت.

قال السيد الجابري: حقاً أن السيد شرف الدين خليق بالتلبية من الأمة لأنه أسمى إباء وكرامة من كل رجل عرفته. قلت: لقد نقل إليّ الأمير شكيب أرسلان إباءه بين يدي الملك فيصل بن الحسين. قال الجابري لقد أخذ الأمير الأرسلاني ذلك عني. قلت أحب أن أسمعه من فمك. قال:

«لقد عهد إليّ المغفور له فيصل أن أقدم لهذا السيد يوم زاره في نفر من علماء جبل عامل خمسة آلاف دينار مصري. وكانت يومئذ أنفس من الدينار السكسوني الذهب فلما رأى السيد المال شاع الغضب في وجهه وقال: بلغ صاحب الجلالة أننا لم نثر في سبيل المال وإنما هي عقيدة درج عليها كل شيعي من عهد الإمام علي حتى نجله فيصل هذا.

ولما عدت بالهدية إلى الملك انتصب متأثراً ثم قال: هذا ما لم أعهده في حياتي. ولم يمر بي رجل ممن احترم من رجال الأمة من يحمل هذا الأباء ويتحلى بهذه الكرامة». انتهى.

وتطورت الأحداث في جبل عامل فبينما كان الملك فيصل يستقبل الوفد يوم السبت ١٩ شعبان ١٣٣٨ للهجرة الموافق ٨ أيار ١٩٢٠ كانت فتنة الفرنسيين قد

أتت أكلها في جبل عامل بنفس هذا اليوم، والسلاح الذي زودوا به عملاءهم قد فعل فعلته إذ أدى إلى فتنة طائفية خبيثة لم ينفع معها ضبط النفس ورباطة الجأش. ويقول أبي في ذلك: «وقد كان استياؤنا بهذه الكارثة عظيماً أزعجنا مظهرها الفوضوي البربري الذي لا تبيحه شريعة، وأزعجنا أنها أساءت إلى خطتنا التي أعلناها من الحفاظ على الأمن والمبالغة في تأمين النصارى. وقد كانت هذه الكارثة «كارثة عين ابل» في رأس العراقيل التي حالت بيننا وبين تحقيق هدفنا في الاستقلال والتحرر».

وعاد الوفد من دمشق إلى جبل عامل ليجد أن عاملة كما يصفها أبي في كتابه: «تنوء تحت ضربة بكر. وتلفظ أبناءها هنا وهناك من الخشية والذعر. وأعلنت الأحكام العرفية فحكم عليّ بالنفي المؤبد مع مصادرة ما أملك. وبهذا حكم على العلامة السيد عبد الحسين نور الدين وعلى الأحرار من زعماء البلاد وفي مقدمتهم كبيرهم كامل الأسعد. أما فتيان الثورة فقد حكموا بالإعدام. وفرضت على جبل عامل غرامة فادحة لا تتحملها ثروة البلاد وقدرها مائتا ألف ليرة ذهبية دفعتها البلاد من دمها وأملاكها خمسمائة ألف. وهكذا كان نصيب السماسرة من باعة الضمائر والأوطان أكبر من نصيب المستعمر. وهكذا أخفق الجبل فأخفقت القضية لأنه كان المرحلة التجريبية التي جرأت فرنسا على سورية. والأمة العربية ممتحنة في تاريخها الحافل بالنهضات والكبوات جميعاً». انتهى.

وعاد السيد شرف الدين إلى سورية مهيض الجناح. وبعد لأي زحف الفرنسيون وكانت موقعة ميسلون وسقوط بطلها يوسف العظمة شهيداً. وسقطت دمشق فدعاه الملك فيصل إلى الحجاز حيث أبيه الملك حسين، و دعته الجالية العربية في أميركا الجنوبية إليها ولكنه آثر الارتحال إلى فلسطين ويقول هو في ذلك: «وبتنا في حيفا أياماً اجتمعنا فيها بالأمير ناصر وهو أحد قواد الملك حسين وفيصل، وزرنا جلالة الملك فأعاد رغبته أن نكون في جوار بيت الله الحرام وكتب إلى والده في ذلك. لكني عقدت النية على الذهاب إلى مصر فوزعت أهلي بين البلاد.

أرسلت جماعة منهم إلى جبل عامل تجعجع بهم الطريق وتسد دونهم

الأبواب وجماعة منهم إلى دمشق يتسللون متنكرين. وأخذت وجهي إلى مصر.

لم يخف أمرنا في مصر، على أني كنت متنكراً فما بلغت القاهرة حتى تقاطر نحوي ذوو الفضل من أعلام الفكر والسياسة وعقدت لنا حفلات تكلمت فيها وكان لبعض الأعلام معي أحاديث حول وجهتي وطلبوا إليّ أن أذهب إلى الولايات المتحدة» انتهى.

ومن طريف ما حدث للسيد في إحدى الحفلات أن تقدم منه الحضور لمصافحته وفيهم الأديبتان السيدة فاطمة اليوسف والسيدة مي زيادة وحين أومأت السيدة مي بيدها تريد مصافحته لف يده بعباءته وصافحها فارتبكت. ولكن السيدة فاطمة اليوسف أنقذت الموقف بقولها: «لعل الشيخ على وضوء. وكانت السيدة مي معجبة باندفاع السيد على المنبر وهو يحرك خاتمه في إصبعه أثناء الخطاب فقالت تصف ذلك: «لا أدري هل خاتمه أطوع لبنانه أم فكره أطوع للسانه. وقد نقل ذلك العلامة السيد محمد صادق الصدر في مقدمة كتاب «النص والاجتهاد».

ولعل الخطاب الذي سمعته هو الخطاب الذي ألقاه في حشد من رجال العلم والأدب ممن زاروه على أثر نشر الصحف المصرية أن أخاه السيد أحمد شرف الدين قتل في سجنه تحت التعذيب. وهذا بعض ما جاء فيه كما سجله كاتبه السيد علي شرف الدين:

«والحمد لله الذي خصنا بالبلاء وأقامنا مثالاً للصبر والعزاء. فكنا أهل البيت أسوة لمن تأسى وعزاء لمن تعزى. وصلوات الله على خاتم أنبيائه وسلامه على آله وأوصيائه لم ترعهم النوائب القارعة. ولم تنل منهم الملمّات الفاقرة. فكيف أراع وأنا منهم. جبلت من فاضل طينتهم.. صخرة في واد وطوداً من الأطواد.

ودع عنك تحريق أبياتي ومؤلفاتي وصيحة النهب في حجراتي وترويع جاري والزغب من صغاري» ثم أنشد مستشهداً.

مدارس آيات خلت من تلاوة	ومنزل علم مقفر العرصات
ألا فاسألوا الدار التي خف أهلها	متى عهدها بالصوم والصلوات
وأين الألي شطت بهم غربة النوى	أفانين في الآفاق مفترقات

أرى فيأهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات
رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين

ويختم كلامه بقوله:

«وحسب المنحرفين الرعاديد من كل خافر ذمام بلاده. ضالع في التآمر على تراث أجداده وميراث أحفاده. ومن كل مشّاء بنميم محرف الكلام عن مواضعه أن حقت عليهم اللعنة في الدارين. أما الغزاة الطغاة فسيعلمون أن الأرض لا يرثها إلا عباد الله الصالحون». انتهى.

غادر القاهرة ويشير إلى ذلك في كتابه «بغية الراغبين»: «وبما أننا في مصر بعيدون عن جبل عامل عدنا إلى فلسطين واخترنا قرية (علما الجيرة) لموقعها القريب من الحدود ولأنها على مقربة من القرى التي اتخذها رجال الحركة العاملية. فكان السيد عبد الحسين نور الدين وآل بزي في الريحان وكان كامل بك الأسعد في الجاعونة. وكنا على اتصال دائم بإخواننا المشردين وبأعلام فلسطين، وبجبل عامل. وكنا نعمل على إنقاذ الجبل مما حلّ به من كوارث فرنسا كان من نتائجه الإفراج عن سائر المشردين. أما أنا فقد عزمت على التوجه إلى العراق ولكن أحرار البلاد عزموا علي إلا أن أعود إلى الوطن. وجاءني مبعوث خاص من الجنرال غورو برسالة يدعوني فيها إلى العودة على ما أحب. ولقيت في بيروت غورو وترابو في حوار لم ينكرا فيه صلابة العود وقوة الشكيمة. بل جريت فيه بصراحة ووضوح وإصرار وفتحت حديثي بطلب إطلاق جميع المعتقلين» انتهى.

وتوجه السيد إلى صيدا فصور فشحور. وأترك تصوير ذلك إلى الأستاذ الحوماني الذي عاش جميع هذه المراحل. يقول في العدد العشرين من السنة الأولى لمجلته العروبة: «أتذكر يوم عدت من مهجرك في سبيل الجهاد وهبطت صور فانكفأ الجبل بأسره عليك» إلى أن يقول: «وشهدت أيضاً يوم أعلنت صعودك إلى قريتك (شحور) ثم صعدت والخيل في ركابك تمتد أميالاً حتى إذا وطأت أرض شحور غصت الحقول بالمستقبلين حتى لم يبقَ شجرة تتدلى فروعها على غير محبيك وزائريك. ولبثت الوفود تترى أثر الوفود وفيهم العلماء والأدباء

والشعراء. وكنت في ضيافتك لكل هؤلاء سيد العرب أعدت لنا به عهد حاتم طي».

وقد أرخ لأحداث جبل عامل ولهذه المرحلة بالذات العديد من العلماء والفضلاء والأدباء ولا تزال قصائدهم محفوظة لدينا. وهم الشيخ محمد حسين والشيخ علي مهدي والشيخ محمد أمين شمس الدين - الشيخ محمد رضا الزين - السيد محمد حسن فضل الله - الشيخ حبيب آل إبراهيم - السيد أمين سيد علي أحمد - الشيخ أسد الله ريحان - الشيخ إبراهيم حمام - الشيخ حسين الحوماني - الأستاذ محمد علي الحوماني - الشيخ عبد الله سليمان - الشيخ أمين كركي - الأستاذ محمد كامل شعيب العاملي - السيد حسن فخر الدين - السيد حسين نور الدين - الشيخ توفيق بلاغي - الأستاذ أحمد حجازي - السيد عبد اللطيف قاسم - رحمهم الله وأجزل لهم الثواب.

ونقتصر على مقتطفات من خمس قصائد. فمن إحدى قصائد المغفور له الشيخ محمد حسين شمس الدين.

سمعاً فعامل خطبه جلل   يكفيك عن تفصيله الجمل
هبت عليه مصائب فعلى   أمثالها لا تبرك الإبل
وتدافعت ترمي مدافعها   كللاً تطاير تحتها القلل
ودوي أصوات المدافع في الست الجهات لوعها زجل
فالجو يمطر فوقهم شرراً   والأرض بالنيران تشتعل
ونجا أبو الأشبال معتصماً   بالله وهو عليه متكل
علم الإله بأن نهضته   للدين وهو لدينه البطل
لو لم يكن هو روح عاملة   ما هيجت سرباً له الدول
ولحفظه الوطن استثاب إلى   عزم تقصف دونه الأسل
يرمي إلى استقلاله شغفاً   بسهام راي ما به خطل
لو كان يقبل منهم مننا   لأتاه ما لا تحمل البزل
لكن أبى إلا الإبا وكذا   من قبله آباؤه الأول
فرمت معاقله بذي لجب   عنه بضيق السهل والجبل

ونجوت يا عبد الحسين بما   حفظت به من قبلك الرسل
ورموا إليك بكل رائعة   يهوي على فوهاتها الأجل
فكأنما الدنيا بأجمعها   رجل وشخصك ذلك الرجل

ومن إحدى قصائده رضوان الله عليه نقتطف الأبيات التالية:

دعته لتحريرها عامل   فهب هبوب الحسام الخذم
وكان لنهضته نبأة   أصاخت إليها جميع الأمم
أقام وأقعد عزم الملوك   على خطة يرتضيها الحكم
وقد أعلنوا أن تقوم الشعوب   لتحريرها والنظام انتظم
فقام يدافع عن عامل   قريع الحقيقة والمعتصم
ولما رأته جموح القياد   ويأبى الإباء له والشمم
رمته على غرة غدوة   بجيش لهام كسيل العرم
وقد أكبرته نفوس الملوك   ويكبر فيها كبير الهمم
فسل مصر عنه ففيها له   مآثر يعلمها من علم
وكم أرج الذكر منه العرا   ق بنشر فعبَّق أرض الحرم
فبشرى فبشرى لأهل العراق   فقد أزمع الهم والأنس عم
يعود الإمام إلى عامل   وعود ابن خال الإمام الأشم(١)
هما نهضا لابتناء العلا   ء وحفظاً على الوطن المنهضم
وأثبت كل على مزلق الدفا   ع بيوم النضال القدم
فكم نهضة لبني هاشم   لقد خضبوا الأرض منها بدم

ومن إحدى قصائد المغفور له الشيخ علي مهدي شمس الدين:

أرى الكون برد السرور التحف   وداعي التهاني به قد هتف
وأصبح يبسم عن ثغره ار   تياحاً ويسحب ذيل الشرف
ويهتز من طرب عطفه   كغصن ثناه الصبا فانعطف

---

(١) هو الزعيم العلامة السيد محمد الصدر.

وبانت تردد ألحانها ... طيور المسرة فوق الغرف
تزج التهاني بأنواعها ... بلاد الشآم لأرض النجف
وأكبر شعب يراها البصير ... رجوع الحياة عقيب التلف
فكم شاهد الناس من مزعج ... يذيب الحشا ويشق الشغف
براكين نار تشق الثرى ... كزمجرة الراعد المنقصف
وصوت البنادق من حولنا ... تطير لها مهجة المرتجف
فكم ربوة أصبحت وهدة ... وكم جبل شاهق قد نسف
ففي البر نشر كيوم النشور ... وفي البحر أمسى حتوف تلف
وفي الجو ظلت مناطيدهم ... لإتلافنا كتفاً في كنف
وفوق الثرى جيش حتف يسير ... يحاكي الجراد إذا ما زحف
فلا بدع إن فر ذو عزمة ... به في الوجود حياة السلف
فموسى لقد فر وهو النبي ... أخو العزم خيفة أن يختطف
وخير الورى المصطفى ذو البراق ... لقد جعل الغار منه كنف
وعبد الحسين ابن بنت النبي ... له في البرية نعم الخلف
إباه كآبائه الأولين تجالى عن الضيم حتى انكشف
وعاد ومن فوقه راية ... من النصر أنى تولى ترف

ومن إحدى قصائد المغفور له الأستاذ محمد علي الحوماني نورد الأبيات التالية:

صعدت السماء بلا سلم ... ورحت تدوس على الأنجم
بنفس أبي أبى أن يضا ... م وهمة ذي لبد ضيغم
نهضت على سنة المصطفى ... تسير وفرقانه المحكم
ورحت بعزمك وهو الأشد ... تدافع عن مجدك الأقدم
ومستنكرين عليك النهوض ... بما كان من رأيك الأحزم
رموك بما أنت منه البري ... ء ببغي فلا سلموا واسلم
بذلت لكسب العلاء الصريح ... نفيس حياتك والمغنم
وخضت غمار الردى لاقطاً ... دراريه من بحرها المفعم

لئن غبت عن أفقنا والعيو ... ن عليك جرى دمعها من دم
فقد عدت بدراً جلا ضوؤه ... دجى كل ليل بنا مظلم
تبارك معطيك عفواً عن المسيء وصفحاً عن المجرم

وللدكتور محمد مهدي البصير عصماء نقتطف منها:

إذا ما صحا شعب وصحت عزائمه ... فأقلامه مرهوبة وصوارمه
وهل يصلح الأوطان إلا رجالها ... وينهض دون الغيل إلا ضراغمه
ويعلي مقام الحر إلا فعاله ... كما رفعت عبد الحسين مكارمه
لقد عرفته عامل وهو حصنها ... بكل ملمّ هالها متفاقمه
ودافع عنها كل خطب وأنها ... بلاد بها نيطت عليه تمائمه
فما ارتعشت بالمشرفي بنانه ... ولا اضطربت بالسمهري معاصمه
كتائبه عنها تذب وكتبه ... وأقلامه من دونها ولهاذمه
وغادرها والصدق ملء ضميره ... وآثاره تزهو بها ومعالمه
وباتت وإن شط المزار كأنما ... ينادمها تحت الدجى وتنادمه
ولما أعاد الله للغاب ليثه ... ونظم شمل المجد باليمن ناظمه
تهلل وجه الدهر واهتز عطفه ... وأشرق ثغر المجد وافترّ باسمه

هذه من الذكريات العاملية في الصميم فماذا يذكر الذاكرون والمتذكرون إذا لم يتذكروا ويذكروا أمجدها وأجداها وأنصعها.

انتفاضة ١٩٣٦:

ومن الذكريات العاملية التي عشتها في مطلع شبابي انتفاضة بنت جبيل وصيدا وصور والنبطية. بل انتفاضة جبل عامل على مدى فترة الانتداب. فقد انتفضت مدينة صيدا سنة ١٩٢٨ فاعتقل المجاهد الشيخ أحمد عارف الزين.

وكانت سنة ١٩٣٦ محطة وطنية في جبل عامل على أثر إعلان الثورة في فلسطين وفرض الفرنسيين شركة حصر التبغ وتزويرهم الانتخابات الفرعية في النبطية. هذه الأحداث حركت أحلام العامليين والوطنيين بالوحدة مع سورية وعمدوا توجههم بالبطولة والشهادة والسجن.

ففي تلك السنة شغر مقعد أحد نواب النبطية فرشح المستشار الفرنسي القوي بتشكوف من يرتضيه لتمثيل النبطية في مجلس النواب غير مبال برأي الناخبين وقد واجهه جبل عامل في إجماع منقطع النظير برفض مرشحه وفرض مرشح الشعب. ورفع الشعر الشعبي شعار المرحلة فتلقفته الجماهير العاملية حداء ونداء:

بشكوف خبر دولتك مبعوثنا عبد اللطيف
باريس مربط خيلنا ورصاصنا يلحق جنيف

واستمر الرفض لتسلط الانتداب وعملائه حتى بلغ حد المناداة بالوحدة مع سوريا فاعتقل الشيخ أحمد عارف الزين وعادل عسيران ومعروف سعد في صيدا واعتقل سليم أبو جمرا في صور والفرد أبو سمرا في مرجعيون. وخرجت صيدا وصور والنبطية وبنت جبيل إلى الشوارع وأقاموا المهرجانات في المساجد ولم يستقروا حتى أفرج عن المعتقلين.

وانتفضت بنت جبيل وعيناتا ترفض البندرول وتساند مزارعي التبغ فواجهتهم حراب المستشار ليبلوا بلاء حسناً في صدها، ويمعن المستشار في غيه فيعتقل الحاج علي بيضون وعلي بزي وموسى الزين شرارة وأنيس الإيراني. وتتطور المواجهة فيستشهد مصطفى العشي من بنت جبيل ومحمد جمال وعقيل دعبول من عيناتا وتقتحم الجماهير دار الحكومة ويحطم المناضل حسن بسام باب سجنها.

ولشتلة التبغ ولقمة العيش شهداء قدموا دماءهم لهما ولا يزال دم الشهيدين محمد حبيب الطيراني ومحمد علي المقدم يصرخ منذ سنة ١٩٥١ في ساحة النبطية فيتجاوب معه دم الشهيدين حسن الحايك ونعيم درويش في النبطية. أيضاً منذ سنة ١٩٧٢ ولا تزال منتجات معمل غندور مضرجة بعرق ودماء عمال من جبل عامل في بيروت.

وسنة ١٩٣٦ كانت المواجهة في فلسطين فحمل الحاج أمين الحسيني قسراً على مغادرة معقله في القدس عبر البحر. وحاول أن يعرج على صور للاجتماع بالسيد شرف الدين فحالت سلطة الانتداب بينه وبين ذلك فخرجت صور بمظاهرة

صاخبة تأييداً لفلسطين والحاج أمين. وأقامت مهرجاناً مشهوداً. ثم أمّ وفد صور «ذوق مكايل» حيث حط المطاف بمفتي فلسطين.

جبل عامل في التاريخ:

ولجبل عامل تاريخ مشرق بالنضال مضمخ بالدماء. فقد امتنع على البيزنطيين وامتنع على الصليبين وامتنع على العثمانيين وامتنع على أمراء السلطان وولاته وباشاواته.

ففي سنة ١٦٣٨ برزت بلدة (أنصار) هذه التي أصبحت ١٩٨٢ معتقلاً إسرائيلياً لأحرار الجنوب.

خاض العامليون معركة (أنصار) سنة ١٦٣٨ في مواجهة حاكم لبنان الظالم الأمير ملحم المعني ودفعوا فيها ثمناً باهظاً من دمائهم وأرواحهم. وخاضوا غمارها في عيناتا سنة ١٦٥٩ في مواجهة ضاربة مع والي صيدا. وخاضوا لهواتها في النبطية سنة ١٦٦٦ في حرب مع الأمير أحمد المعني. وخاضوا أتونها في (الكفور ١٦٦٧) استئنافاً لمعركة النبطية وخاضوا لهبها في مزرعة مشرف سنة ١٦٩٨ بقيادة الشيخ مشرف من آل علي الصغير وخاضوها ثانية في (أنصار) سنة ١٧٤٣ بقيادة الصعبيين وخاضوا سعيرها في (جبع) سنة ١٧٤٩ بقيادة المناكرة. وخاضوا جحيمها في تربيخا سنة ١٧٥٠ بقيادة الشيخ ناصيف النصار وخاضوا نارها في (كفر رمان) سنة ١٧٧١ في حرب مع عثمان باشا والي دمشق. وخاضوها حتى المدى في سهل الغازية سنة ١٧٧٢ فهزموا حلف الشيطان بين الأمير يوسف ووالي القدس.

وخاضوها في يارون سنة ١٧٨١ حتى شهادة قائدهم الشيخ ناصيف وأخيه وابنه على يد جيش الجزار.

وخاضوها في (شحور) سنة ١٧٨٣ حتى مصرع قائدهم الشيخ حمزة النصار على يد الجزار أيضاً.

وخاضوها سنة ١٨٠٤ في مواجهة مع عسكر الوالي سليمان باشا،

وخاضوها سنة ١٨٣٦ ثورة على تحالف الشهابيين والمصريين. وقاد جحافلها حمد البيك سنة ١٨٤٠ فاجتاحت التحالف الشهابي المصري ابتداء من جسر القعقعية حتى حمص ثم من رميش ووادي الجيش حتى صفد وطبريا والناصرة.

وساند جبل عامل جمعية الاتحاد والترقي سنة ١٩٠٨ التي طمحت إلى تحطيم النير العثماني.

وساند الحركة العربية من سنة ١٩١٦ حتى سنة ١٩٢٠ إذ دخل جبل عامل في نفق الانتداب الفرنسي. واستمر العامليون يتلمسون طريقه المظلم على مدى ثلاث وعشرين سنة وقد أحدثوا فيه شروخاً ومنافذ وكانوا قدوة في الرفض على مدى الانتداب.

واستمر العامليون في مواكبة الحركة الوطنية اللبنانية وكانت قمتها بعد أحداث الستة وثلاثين والثلاثة وأربعين أحداث الخمسينات في مقاومة المشاريع الاستعمارية كنظرية ملء الفراغ. إلى الحلف التركي العراقي إلى اتخاذ الساحة اللبنانية مجالاً للتآمر على التطلعات العربية. وكان لمدينة صور دور مميز صدقت فيه ما عاهدت الوطن عليه فمنهم من استشهد ومنهم من جرح ومنهم من اعتقل ومنهم من اضطهد وعذب وما بدلوا تبديلاً. وكان للعامليين في السبعينات مواقف تاريخية في مساندة الحركة الوطنية والقضية الفلسطينية بل كانوا وقوداً لأحداثها وحطباً في أتونها.

ولهم في هذا المنعطف من تاريخ لبنان والشرق الأوسط مواقف بلورت أصالتهم في الانتماء لأرضهم الطيبة والولاء لتاريخهم العريق.

وها هم يتوهجون في مقارعة المحتلين الإسرائيليين في الليل إذا يغشى وفي النهار إذا تجلى، وها هي الآليات الغازية تختطف اختطافاً وها هم عناصرها يخمدون أنفاساً. وها هي المقاومة الإسلامية والوطنية تمشي إليهم على النار ببطولة نوعية واختراق أسطوري وبراعة مذهلة في الاقتحام والانسحاب والتغطية.

وليس معتقل الخمسة آلاف عاملي في أنصار والعمليات الاستشهادية التي أطاحت بالعديد من الآليات الإسرائيلية بما فيها ومن فيها، وتلك التي أطاحت

الأميركية والمظليين الفرنسيين سوى دليل على خصب التربة العاملية بالمناضلين والرافضين. وليس اعتقال علماء دين من جبل عامل كالسيد أحمد شوقي الأمين وأورلاده والشيخ راغب حرب[٢]. وانتفاضة السيد علي مهدي إبراهيم والسيد محمد حسن الأمين والسيد جواد الأمين والشيخ عفيف النابلسي، والشيخ يوسف دعموش والشيخ علي سويدان والشيخ حسين سرور سوى دليل على أن العلماء هم قادة الرفض في جبل عامل.

عهد الطفولة

في مثل هذا الجو النضالي المشرف الذي سيطر على جبل عامل سنة ١٩٢٠ ولدت وفي ظل انتفاضات ١٩٢٨ ـ ١٩٣٦ ترعرت. وطرقت أذني في طفولتي الأولى في شحور كلمات لم أدرك مدلولها إلا بعد أن وعيت على الحياة كمثل صادق ـ أدهم ـ غورو ـ الحجير ـ نهر المطحنة ـ الحملة ـ المغاربة ـ التشريد ـ علماء الجيرة.

وفتحت عيني إبان طفولتي هذه وأنا تلميذ في صور تحتضنني خالتي والدة أخوتي الكبار رحمها ورحمهم الله وتعوض علي الحنان الذي كانت أمي تغدقه عليّ في شحور. وكانت خالتي لا يغفو لها جفن قبل أن تطمئن إلى استغراقي في النوم. وكانت تهدهدني بحكايات خيالية أسرح معها حتى الإغفاء. وقد وجدت عندها خيوطاً أولى لفهم تلك الكلمات التي استعصت عليّ ولكنه فهم مشوب بالرعب. ثم بعد أن تقدم بي الوعي وجدت حلاً لهذه الكلمات المتقاطعة فالحملة هي الحملة الفرنسية التي داهمت شحور لاعتقال أبي. والمغاربة هم عناصر هذه الحملة. و (غورو) هو الحاكم الذي أرسلها. و(نهر المطحنة) هو وادي الليطاني الذي التجأ أبي إليه. والحجير هو الوادي الذي عقد فيه المؤتمر. وصادق وأدهم هما قائدا الحملة المسلحة ضد الفرنسيين. والتشريد هو نزوح أبي قسراً عن وطنه. وعلما الجيرة هي البلدة التي اتخذها أبي في فلسطين موئلاً.

---

(٢) نال الشهادة على يد العدو «الإسرائيلي الغاشم» بتاريخ ١٦/ ٢/ ١٩٨٤.

وكنت أتحدث بهذه المعلومات إلى أترابي في المدرسة معتزاً بها متوجساً على أبي من التشريد مرة أخرى. ولكن هذه المخاوف تبددت من ذهني. يوم أن حملني أبي إلى شحور في عطلة أحد الأعياد. وقد أردفني على الفرس وإن يدي متشبثتان به وإن ذراعيه تنشدّان عليهما. وإن أسئلتي لم تنقطع طوال الطريق. وقد بددت أجوبته مخاوفي ودفعت الاستقرار إلى روعي.

وفي الأيام التي كنت أقضيها في شحور كنت أتلقى أخباراً جديدة من أمي عن تلك الظروف التي اجتاحت جبل عامل وعن معاناة غياب أبي عن البيت وولادتي في تلك الأجواء. وكانت رحمها الله تنتظر فرصة مجيئي إلى شحور لتزقُني محبة الله ونبيه وقرآنه ورفض المحتلين والمشبوهين والتعلق بالوطن. وتقف طويلاً عند ذكر أهل البيت لأنهم قدوتنا في الدنيا وفي الآخرة. وكثيراً ما كانت تتغنى بشعر الفرزدق والكميت ودعبل في مدحهم. وكثيراً ما كانت تغص بدمعها حين تصل إلى الأبيات التي تأتي على مآسيهم ومعاناتهم.

أما أبي رضوان الله عليه فكنت أتمتع بعطفه في صور وفي شحور وفي الطريق بينهما. وأتمتع بتلقينه وبتوجيهه وتهذيبه منذ طفولتي حتى السابعة والثلاثين من عمري. ولم تفارقني عظاته ودروسه ومعطياته حتى الساعة التي نحن فيها.

أثر العلماء في ثقافة جبل عامل:

كان حظ صور في مجال التربية والتعليم كحظ المدن والقرى العاملية طيلة حكم السلطان العثماني. ونستطيع أن ندعي أن عهده كان عهد تخلف وجمود إذا لم نقل عهد تجهيل وتتريك.

ولم يحدثنا التاريخ ولم يرو لنا المعمرون عن دار علم أو مدرسة بالمعنى الصحيح قبل الحرب العالمية الأولى إلا اللهم ما كان يسمى بالمكتب السلطاني وهو عبارة عن كتاب رسمي ولولا الجهد الذاتي الذي كان يبذله علماء البلاد في تثقيف النابهين ممن ينضمون إلى حلقاتهم العلمية لكانت البلاد في تخلف مطلق. إلا أن هذه الحلقات أخرجت العديد من المثقفين باللغة والأدب وسطوح الفقه. منهم من هاجر إلى النجف ومنهم من بقي في جبل عامل يعطي غيره مما أخذه.

ومن بين هؤلاء وبين تلامذتهم انتشرت الكتاتيب تحفظ على الجيل رمق اللغة صرفاً ونحواً وكتابة وشعراً. ومن بين زملائهم القدامى الذين عادوا من النجف انبثق نور العلم والمعرفة والبحث والتأليف.

وكم أخرج تاريخ جبل عامل أطواداً من العلماء أبحروا وأصحروا على كل ضامر وتحت كل كوكب. وكم منهم من شرد وسجن واستشهد. وكم منهم من أسس المعاهد العلمية وأخرج الجهابذة.

أما الذين أصحروا وأبحروا فقد استقروا في إيران والهند مراجع وشيوخ إسلام منهم المحقق الكركي المتوفي سنة ١٩٣٧ والسيد حسين أبو الحسن بن السيد محمد صاحب المدارك ومنهم الحر العاملي صاحب أمل الأمل. ومنهم الشيخ بهاء الدين العاملي مهندس مقام الإمام علي الرضا عليه السلام في طوس من خراسان ومسجد گوهرشاد في أصفهان المتوفي سنة ١٠٣١ ومنهم الشيخ علي بن صبيح في القرن الحادي عشر. ومنهم السيد جمال الدين الموسوي الجبعي المتوفي سنة ١٠٩٨ ومنهم الشيخ محمد بن خاتون. ومنهم السيد صدر الدين شرف الدين العاملي المتوفي سنة ١٢٦٤.

أما الذين استشهدوا فأشهرهم وأعلمهم إثنان هما شمس الدين بن مكي الشهيد الأول سنة ٧٨٦هـ وزين الدين الشهيد الثاني سنة ٩٦٦هـ ومنهم شهداء عهد الجزار، أما الذين أسسوا المعاهد والحوازات العلمية فهم:

الشهيد الأول: أنشأ حوزة جزين.

آل خاتون: أنشأوا حوزة (عيناتا) في أواخر القرن التاسع.

السيد محي الدين فضل الله: جدد حوزة عيناتا ثم ولده السيد نجيب المتوفي سنة ١٣٣٦هـ.

المحقق الميسي: أنشأ حوزة ميس الجبل. توفي سنة ٩٣٣هـ.

المحقق الكركي: أنشأ حوزة كرك توفي سنة ٩٣٧هـ.

الشهيد الثاني: أنشأ حوزة جبع ثم جددها صاحبا المدارك والمعالم.

واستمر بها جدنا السيد نور الدين ثم ولده السيد علي نور الدين المتوفي سنة ١٠٦٨هـ.

السيد أبو الحسن الحسيني: أنشأ حوزة شقراء المتوفي سنة ١١٩٥هـ ثم جددها أحفاده وآخر مجدد لها هو السيد علي محمود الأمين.

الشيخ حسن القبيسي: أنشأ حوزة الكوثرية. توفي سنة ١٢٨٥هـ.

الشيخ عبد الله نعمه: أعاد إنشاء حوزة جبع توفي سنة ١٣٠٣هـ.

الشيخ محمد علي خاتون: أسس حوزة جويا في الثلث الأخير من القرن الثالث عشر.

الشيخ محمد علي عز الدين: أسس حوزة حناوية توفي سنة ١٣٠١هـ.

الشيخ علي السبيتي: أنشأ حوزة كفرا توفي سنة ١٣٠٣هـ.

الشيخ موسى شرارة: أنشأ حوزة بنت جبيل توفي سنة ١٣٠٤هـ.

السيد يوسف شرف الدين: أنشأ مدرسة شحور سنة ١٢٩٨هـ ومدرسة طورا سنة ١٣٠٥هـ.

السيد حسن يوسف مكي: أنشأ مدرسة النبطية توفي سنة ١٣٢٤هـ.

السيد علي إبراهيم: أنشأ مدرسة أنصار والنميرية ثم تابعها ولده السيد حسن علي إبراهيم توفي سنة ١٣٢٩هـ.

السيد محمد نور الدين: أسس مدرسة النبطية الفوقا. توفي سنة ١٣٢٩هـ.

الشيخ مهدي شمس الدين: أسس مدرسة مجدل سلم. توفي سنة ١٣٣٤هـ.

السيد حيدر مرتضى: أسس المدرسة الحيدرية في عيتا الجبل توفي سنة ١٣٣٥هـ.

الشيخ عبد الحسين صادق: أسس مدرستي الخيام والنبطية توفي سنة ١٣٦١هـ.

وبعد استعراض هذه الرموز وهذه المعاهد يصح أن نعود إلى استعراض الكتاتيب وما يحكمها؟. نعم ما دمنا نؤرخ لمرحلة معينة ونستعيد ذكريات عبرت.

التربية والتعليم في مطلع القرن العشرين:

يحدثنا المعمرون في صور عن مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى أن أول مدرسة قرآنية يتذكرونها في صور هي مدرسة الشيخ ذيب بيضون القادم من بنت جبيل عاصمة علامة جبل عامل الأكبر الشيخ موسى شرارة في ذلك الوقت. وينصرف الشيخ ديب إلى المنبر الحسيني بعد أن عاد من مصر الشيخ إبراهيم بارود وأسس مدرسة قرآنية وكان الشيخ ذيب دفع هذه الراية في مطلع شبابه إلى الشيخ بارود وهو في مطلع شيخوخته فقام بها خير قيام بلهجته المصرية المحببة سواء في تقريع الطالب المقصر أو في تشجيع التلميذ المتقدم وكان ذا نكتة طريفة يقذف بها الطلاب في المدرسة ويطلقها على مجالسيه خارجها وسمة أخرى تميز هذا الأستاذ هي تفرده بعدم استعمال الضرب عن سائر أصحاب الكتاتيب، هذه الصفة جعلت التلاميذ يقبلون على مدرسته عن رغبة لا عن رهبة.

وكان أبرز خريجي هذه المدرسة أستاذنا السيد نور الدين الأخوي وأنجح أصحاب الكتاتيب في الثلث الأول من القرن العشرين رغم استعماله العصا على الكفين والرجلين.

مدرستي الأولى:

فتحت عيني في صور وأنا تلميذ في كتّاب المرحوم السيد نور الدين الأخوي، وذلك سنة ١٩٢٧ وقد اتخذ من بيته مكاناً لهذه المدرسة اقتطع لها صحن الدار الواسع، واحتفظ لعائلته بغرف البيت. كان يجلس إلى طاولة على كرسي يشرف منه على التلاميذ ويعطي توجيهاته بصوت يشيع الهدوء ويبعث الرهبة فلا تسمع إلا أصواتاً هامسة تتدارس أجزاء القرآن الكريم. وربما تسمع صرير الأقلام الحجرية تخط الحروف على ألواحها. وحلقات أرقى من هذه وتلك هي حلقات تحسين الخط وضبط الإملاء. ولهذه جلسات خاصة يقتعد تلامذتها وقد وضع كل منهم قدمه اليسرى على الحصير وطوى ركبته بحيث توازي صدره

ووضع إليها اللوح الحجري أو كراس الورق وفق درجة الكتابة فالأول يكتب بالقلم الحجري والثاني يكتب بالريشة رقم (٢) بعد أن يكون قد ابتدأ الكتابة برقم (٤). والكتابة بالريشة شاق ودقيق. فهي مثبتة في رأس شيء كالقلم، كان يسمى مسكة بفتح الميم والكاف وتسكين السين بينهما. وهي معرضة لأن تلتقط من الدواة قدراً من الحبر لا تستوعبه فينقط هذا الحبر الزائد إما على الحصير، أو على الثوب، أو على الكرّاس. وتلك جريمة في كل أحوالها، تصل إلى المعلم قبل أن يرتد إليه طرفه، فينال هذا المسكين عقابه.

كان التلميذ منا يبتدىء بتعلم القراءة، في كراس مطبوع يسمى «الحرفية»، وقد رسمت على صفحاتها الحروف الأبجدية من الألف إلى الياء. وجملاً بسيطة تعلم التلميذ بعد إتقان تعلم الحروف بصورة عامة، كيف ترسم الحروف في أول الكلمة ووسطها وآخرها. حتى إذا أتقن هذه المبادىء الأولية انتقل إلى الجزء الأول من القرآن الكريم وهو جزء «عم» ثم إلى الجزء الثاني ثم الثالث وهكذا حتى ينتهي إلى الجزء الأخير. وهو عبارة عن سورة «البقرة». وبذلك يكون قد أتقن قراءة اللغة العربية، بأفصح مصادرها، وأبلغ أدواتها. ويكون قد «ختم» القرآن الكريم، قراءة وحفظاً وترتيلاً.

يرافق مسيرة تعلم القراءة، من بدء رحلتها، إلى نهاية خاتمتها، تعلم الكتابة. وتبتدىء على اللوح الحجري الأسود بالقلم الحجري الرمادي. ثم ينتقل التلميذ بعد التمرس بكتابة الحروف والجمل عليه، أي على اللوح الحجري، إلى الكتابة على الورق بقلم الرصاص. حتى إذا برع في ذلك انتقل إلى الكتابة بالريشة والدواة. كل ذلك وفق «قاعدة» يكتبها الأستاذ في رأس اللوح للمبتدىء، وعلى ورقة مستقلة للمحصلين. وعلى التلميذ أن يملأ الصفحة بخطه، وفق القاعدة المكتوبة. حتى إذا آنس الأستاذ من تلميذه حسن الخط، انتقل به إلى تعلم أصول الإملاء. ويبتدىء معه بأن يملي هو أو من ينتدبه من التلامذة المتقدمين جملاً بسيطة. ثم يتدرج به حتى أصعب مرحلة إملائية، هي مرحلة كتابة الهمزة في وسط الكلمة، وفي آخرها. وكان يختار الأستاذ للقاعدة التي يوزعها على تلاميذه ليكتبوا على غرارها بيتاً جميلاً من الشعر، أو جملة بليغة من المأثور.

وكان للمدرسة أناشيد ومحفوظات شعرية ونثرية يختارها الأستاذ من

التراث. كمعلقة زهير بن أبي سلمى، وميمية الفرزدق، ولامية الطغرائي، وغير ذلك من القصائد الحكمية. ومنها مقاطع بولاء أهل البيت عليهم السلام مثل:

لي خمسة أطفي بهم حرّ الجحيم الحاطمة
المصطفى والمرتضى وابناهما وفاطمة

ومثل:

حب علي بن أبي طالب أحلى من الشهدة للشارب
لو فتشوا قلبي رأوا وسطه سطرين قد خطا بلا كاتب
العدل والتوحيد في جانب وحب أهل البيت في جانب

وبعضها ينظمها الأستاذ لتتلى جماعة وهي الأناشيد. وبعضها ثنائية يتخاطب فيها تلميذان مثل:

يا صاح ماذا نرجّي من سعينا للمكاتب
لنكسب العلم فيها فالعلم خير المكاسب

وهناك نشيد توبيخي يقذف به التلاميذ زميلاً لهم مقصراً في دروسه أو سلوكه، وقد علق على صدره رسم يصوّر وصفه كمقاصص:

أرى بصدرك رسماً معلقاً كالقلادة
هذا جزاؤك يا من ترى التكاسل عادة

والآن جاء دور نشيد ختم القرآن:

يا أيها «الختم» السعيد ما أنت إلا يوم عيد
قلّدتنا عقد الهنا في الجيد كالعقد الفريد
فيك النفوس تبسمت والهمّ ولّى والصدود
والنفس طابت وسمت أنساً ونالت ما تريد
وغدوت للأرواح راحاً يا أيها «الختم» المجيد

إلى غيرها من المقاطع الشعرية التي تدور حول العلم والأخلاق وفضلها في العائلة والمجتمع.

والقصاص يتدرج من التنبيه، إلى التوبيخ، إلى الضرب على اليد، إلى «الفلقة» المشهورة في تلك الأيام وتلك المدارس. وكان الأهل لا يضيقون بذلك، بل يوصون به. لأن الاعتقاد السائد آنذاك يفسر: ﴿**ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب**﴾ بهذا النوع من التعذيب الجسدي الذي أفرز العُقَد في العديد من الشباب. والجملة الشهيرة في هذا الصدد على كل شفة ولسان، هي التي كان يوصي بها الأبوان حين يحملان ابنهما إلى المدرسة وهي: «لك اللحم ولنا العظم». وكم من لحم ترك عليه قضيب الأستاذ بصماته، وكم من عظم يدٍ أو رجلٍ رُضّ أو كسر من جراء مطاردة تلميذ هارب من المدرسة، يتسكع في أزقة المدينة وضواحيها.

وكانت الرقابة شديدة على الطلاب، فالأستاذ وأسرته رقباء، يعاونهم داخل المدرسة وخارجها عرفاء «مخبرون»، ومقياس تعيين العريف هو البوح بكل ما يراه دون أن يتحفظ بأمر. وافتراض ما لا يراه. ودع عنك الحساسيات التي كانت تفعل فعلها، والانحرافات التي قد تصبح بحجم التجسس لا المراقبة، والانتقام لا الإصلاح. ولو جعل الأستاذ من نفسه رقيباً على الرقباء والعرفاء، لتفادى هذه المضاعفات.

وكان من أهم الممنوعات السباحة أيام الصيف. ورغم هذا الطوق من المخبرين، كان التلاميذ لا يمتنعون عن السباحة. وفي طليعتهم المخبرون أنفسهم، وبذلك اختلط الأمر على الأستاذ. إذ أصبح كل التلاميذ مخبرين، فتهمة السباحة لهم من قبل العرفاء ردّوها عليهم. فما كان من الأستاذ إلا أن وشم سيقان التلاميذ بوشم يزول إذا غشيه الماء. ولكن التلاميذ عطّلوا هذا القيد، بأن ربطوا فوقه غطاء من المعدن، هو غطاء أي علبة فارغة وأخذوا حريتهم في السباحة. حتى إذا أتى صباح السبت، استدعى الأستاذ السابحين فأنكروا ما نسب إليهم، وكشفوا عن سوقهم. فإذا بالوشم لا يزال كما هو. فأسقط بيده فحلف له العرفاء أنهم رأوهم يسبحون في البحر. وبذلك تعرض الطرفان للقصاص، وعدل عن وشمه هذا، إلى طلب شهادة أسبوعية من ذوي كل طالب يصرّحون فيها بواقع أبنائهم سلباً أو إيجاباً.

وكان أستاذنا يلقي عظة أسبوعية ظهيرة يوم الخميس، وهو الوقت الذي تبتدىء فيه العطلة الأسبوعية لتنتهي صباح السبت. والحق أن عظته كانت تأخذ منا الأسماع والأبصار والأفئدة لما كانت تتضمن من توجيهات في السيرة والسلوك مع الأهل والمجتمع وفي التركيز على قيمة الوقت في حياة الإنسان. ومثلما كانت نبرات الأستاذ تسير بمثل الرعدة في كيان التلاميذ وهو يجود بهذه التوجيهات كانت الجملة الأخيرة التي يختم بها عظته تبعث نفس الصعداء في الصدور لأنها إذن بالانصراف وهي الجملة التقليدية لدى كل انصراف: (ضبوا على السكت) ويا لها بلسماً تجري في وجع الجنب أو اليد أو الرجل فتأسوها. ويهرع التلاميذ إلى الباب فيستوقفهم صوت الأستاذ ويعطي أولوية الخروج على الشكل التالي:

أصحاب الأحذية أولاً، أصحاب (الشحاطات) ثانياً، وثالثاً أصحاب القباقيب ويندفعون نحو الباب ليتنفسوا من ورائه هواء الحرية.

وكان الأهل كثيراً ما يسجلون الواقع، بعضهم يشيد بتقدم أولاده وعرفان فضل الأستاذ، وبعضهم يتذمرون من أخطاء أولادهم، وبعضهم يرمز إلى ذلك رمزاً ولا زلت أذكر أنني صبيحة أحد أيام السبت من سنة ١٩٣٢ قدمت للأستاذ إفادة أبي فإذا بالرمز الذي تتضمنه ينقع غلة بعض رفاقي فرحاً بالقصاص الذي نزل به هذه المرة بينما نزل بهم مرات ومرات كنت أرثي لهم فيها ـ كما أذكر أنني فخرت عليهم حين زودني أبي بإفادة شعرية جاء فيها:

بارك الله بجعفر يقرأ الخط المبعثر
يجمع الخط كجوهر فلعمر الله تشكر

في المسيرة التعليمية لهذه المدرسة كان التلميذ يأخذ عن أستاذه مبادىء علم الحساب. وذلك بحفظ الأرقام، ثم كتابتها، ثم التدرج ابتداء بتعلم «الجمع» ثم «الطرح» ثم «الضرب» ثم «القسمة». وهكذا يتخرج الطفل من مدرسته الأولى هذه، قارئاً، كاتباً، حاسباً. ويقام له حفلة تخرج تسمى حفلة «ختم» القرآن الكريم. ويا لها فرحة تغمر المدرسة والشارع المؤدي إلى بيت المتخرج.

يتوافد التلاميذ إلى المدرسة ذلك النهار دون أن يحملوا كتبهم، وقد ارتدوا أزهى ملابسهم وهي عبارة عن غمباز من الحرير أو من الديما وطربوش أحمر،

يتصدرهم المحتفى به وقد اعتمر طربوشاً مكللاً بالورود. ويخرج التلاميذ اثنين اثنين في صف طويل يتقدمهم الأستاذ وإلى جنبه المتخرج. يخترقون الأزقة المزدحمة بالأطفال على جانبي الطريق فرحين هازجين، وتشرع نوافذ البيوت. وتطل منها عيون ضاحكة، ووجوه مستبشرة. وربما انطلقت الزغاريد من بيوت أقرباء التلميذ يسلمّون بها. حتى إذا وصل الموكب إلى البيت المقصود علت الهلاهل والزغاريد. وافترت الشفاه عن البسملة والحمد لله. وطار الملبس و«القضامي» في الهواء ليلتقطه التلاميذ رزقاً منتظراً وطعماً محبباً. ويرتفع صوت الأستاذ يأمر بالسكوت ثم يجلس مع الأب والأم والإخوة والمتخرج. ويجلس من يستوعبهم المكان. ويبقى الآخرون والوافدون والمتفرجون قياماً، وأنظارهم مشدودة إلى صاحب الطربوش المورّد، يتلو الآيات الأولى من سورة البقرة حتى إذا وصل بقراءته إلى آية: ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ علا التصفيق وانتهى الحفل.

وختم الله على قلوبهم فيها من معنى الاحتفال لفظة «ختم». أما هذه اللفظة وهذه الآية فلا تمُت بصلة إلى ختم القرآن الكريم الذي يحتفلون بمناسبته، بل على عكس ذلك تماماً. إنها تتناول الكافرين الذين ختم الله على قلوبهم، وهي الآية السادسة من السورة. ولو اكتفي بقراءة الآيات الأربع التي سبقتها لكان أنسب للمناسبة.

كنا ندرك طرفاً من ذلك تلك الأيام، ولكن ثقتنا بأستاذنا كانت ترجح عندنا على إدراكنا. وحقيقة الأمر أن تلاوة الآيات الأولى من سورة البقرة هي تعبير عن ختم القرآن وحفظه، ومؤشر إلى أن هذا التلميذ أتقن قراءة كتاب الله من سورة فاتحة الكتاب وهي من أصغر سوره إلى سورة «البقرة» أكبر هذه السور جميعاً.

وكانت أبجدية ما قبل هذه المدرسة تبدأ هكذا: أ ب ج د «أبجد» هـ و ز «هوز»، ألف عليها نصبة «آ»، باء عليها سكون «بْ» إلى مثل ذلك من حروف مجزأة وموصولة، لا يمكن أن يفقهها الطفل بسهولة. بينما أبجدية مدرستنا كانت أقل تعقيداً، إذ كانت تبدأ هكذا: أ ب ت، حتى إذا ارتسمت هذه الأحرف الثمانية والعشرون في ذهن التلميذ، عمد الأستاذ إلى أن يرسم في ذهنه كيف تكون كل من هذه الأحرف في أول الكلمة وفي وسطها وفي آخرها.

وبينما كان قلم الكتاتيب السابقة مقدوداً من القصب كان قلم مدرسة السيد نور الدين مصنوعاً من الرصاص. ثم عوداً مسكوباً بشكل قلم تغرز في رأسه ريشة من المعدن. تلك المدارس حدثنا عنها المعمرون من حولنا. أما المدرسة الثانية فقد عشنا فصولها في طفولتنا.

ومهما قيل في أسلوب هذه المدرسة فإنها حكت عصرها وصورت الحياة الثقافية لذلك العصر. فمدرسة السيد نور الدين الأخوي رحمه الله طبعت جيل ١٩٠٠ـ١٩٣٨ بطابع تلك الحقبة التي كانت راضية كل الرضا عن أسلوبها ونتائجها. وقد أسهمت إسهاماً ملحوظاً في تربية وتعليم أجيال تلك المرحلة.

وفي نهاية عهدنا بهذه المدرسة فتح الشيخ حسين عز الدين «مدرسة قرآنية» في الحي الجديد الذي تكوّن في محلة الرمل منذ تلك الحقبة. وكانت هذه المدرسة محمودة الأسلوب والنتيجة. ولم تكن المدارس القرآنية معقودة اللواء لهاتين المدرستين في الربع الأول من هذا القرن، بل كان بنفس الوقت مثيلات لها. وإن كانت أقل مستوى منها، إلا أنها كانت ذات حضور وفعالية في تلقين أجيال تلك الحقبة المبادىء الأولية. ومنها مدرسة الحاجة عفيفة بلاغي قرينة الشيخ ذيب بيضون وشقيقة شاعر السليقة الشيخ توفيق البلاغي. ومدرسة ابنتها «شهرزاد» التي حملتها معها إلى أفريقيا حين تزوجت السيد مقداد هلال من كرام جاليتنا في دكار ـ سنغال. ومدارس الحاجة مريم سليمان أم الأستاذ عباس الرز، والحاجة خديجة بغدادي أم قاسم ومحمود بغدادي، وأم محمود جندل، ومدرسة كانت تعرف باسم مدرسة بنت المصرية وذلك لشهرة والدتها في التعليم.

في المدرسة الرسمية:

انصرفت في تشرين الأول من سنة ١٩٣٢ إلى المدرسة الرسمية في صور حتى حزيران ١٩٣٨ ستة أعوام في هذه المدرسة تغيرت فيها أمور كثيرة في حياتنا المدرسية فقد تطور جلوسنا وقراءتنا وكتابتنا. وتحول كيس الكتب إلى حقيبة، وقضيب الرمان أو الخيزران إلى مسطرة. هذا من حيث الشكل. أما من حيث الأساس فقد تغير جذرياً إذ أصبح لكل مادة أستاذ، فهذا للعربية وهذا للفرنسية

وآخر للعلوم الطبيعية. وحين تقدمت بنا الصفوف أصبح لنا أساتذة للكيمياء والفيزياء والرياضيات باللغة الفرنسية.

وكان على رأس هرم المعلمين مدير حازم هو الأستاذ عبد الرحمن البزري. وكان قبله الأستاذ عبد الهادي الخليل من الشياح، رحمهما الله، ولم يذكر أحد من المعمرين مدرسة رسمية قبلها ولا مديراً قبل الخليل الذي كان مديراً في مدرسة بنت جبيل ومن الأساتذة الذين أثروا في حياتنا وأثروها معلم اللغة الفرنسية بهيج أبو ظهر ومعلما اللغة العربية الدكتور السيد كاظم الأمين والأستاذ أنيس الخشن وكلاهما أديب شاعر. وكنت مقرباً منهما لتمرسي بالعربية دون رفاقي. ذلك لأن والدي رضوان الله عليه كان يوقد في ذهني هذه الذبالة منذ نعومة أظفاري في مدرستي الأولى والثانية ثم في جميع أدوار حياتي.

وكان أبرز معلم للكيمياء والفيزياء والرياضيات هو الأستاذ فؤاد خرياطي. وكان يتمتع بشخصية محببة تحمل التلاميذ على متابعة دروسه رغم جفافها وتعقيداتها.

ومعلم الرياضة الأستاذ علي يونس هو أفضل من تمرس بهذه المهمة لا لأنه يتقنها فحسب بل لأنه يحبها ويحب المتجاوبين معه في ممارستها. أما مدرس الدين السيد جواد هاشم رحمه الله فكان التلاميذ في جميع الصفوف ينتظرون درسه لأنه كان ينقلهم بحديثه الطلي إلى عالم الإسلام الرحب عبر حياة وسيرة الأنبياء والرسل والأئمة ورموز الإسلام بأسلوب سهل الأداء واضح العبارة.

المدرسة الجعفرية:

في تشرين الأول ١٩٣٨ انصرفت كلياً إلى المدرسة الجعفرية التي أسسها أبي رحمه الله في ذلك التاريخ. وبقيام الجعفرية انتهى عهد الكتاتيب في صور وانتقل أبرز أصحابها أستاذنا السيد نور الدين الأخوي إلى الجعفرية لأنه كان ينذلر رجال تلك الحقبة الرجل المناسب في المكان المناسب. لأن الجعفرية كما تصوروا لا يقوم لها قائمة إلا بنظارة رجل له ماض في الحزم وهيبة في نفوس التلاميذ.

بدأت الجعفرية بأربعة صفوف. وفي السنة الثانية ٣٩ـ٤٠ أنشأت الصف الخامس ولا أنسى أن أول فوج نجح في الشهادة الابتدائية الرسمية في نهاية تلك السنة مؤلف من ثلاثة هم محمد علي بيضون، إبراهيم حدرج، أحمد حسين حلاوة، وقد أقيم لهم حفل في البازورية مسقط رأس أحدهم إبراهيم حدرج إذ كان للشهادة الابتدائية ثمة قيمة تفوق اليوم قيمة الإجازة الجامعية.

في الكلية الشرعية:

وفي سنة ١٩٤٢ انتسبت إلى الكلية الشرعية في بيروت التي كان يرعاها المغفور له الشيخ توفيق خالد مفتي الجمهورية وقد حملني رحمه الله بسيارته من بيته إليها. فاهتمت بي المدرسة إدارة وأساتذة. وأجروا لي امتحاناً عاماً كان أهمه الموضوع الذي اقترحه علي المغفور له الشيخ توفيق الهبري وهو: (لماذا اخترت الكلية الشرعية) وقد وفيت الموضوع حقه بحيث أهلني لتخطي صفوفها جميعاً إلى صف الكفاءة. ومن الجدير بالذكر أنني نجحت في امتحانات الفصل الأول نجاحاً متفوقاً إذ فوجئت في حفل إعلان نتائج الامتحانات بتسليمي شهادة مميزة عن سائر شهادات الطلاب. إنها شهادة التخرج.

في معهد الآداب الشرقية:

وكذلك حدث في معهد الآداب الشرقية في نفس السنة، إذ لقيت في مكتبة العرفان ببيروت الأستاذ فؤاد افرام البستاني يقلب صفحات كتاب المراجعات وقد أحفى السؤال عن أبي وعن المدرسة الجعفرية ثم بادرني: وأنت ماذا تعمل اليوم فأخبرته أنني تخرجت من الكلية الشرعية وسأعود إلى التدريس في الجعفرية. فقال لماذا لا تأتي إليّ في معهد الآداب الشرقية. والحق أنني وجدت في نفسي تجاوباً ملحاً مع هذا العرض. وفي اليوم الثاني لقيته في مكتبه باليسوعية. ثم حضرت بنفس اليوم المحاضرة الأولى التي ألقاها على طلابه. وكانت القاعة غاصة على رحبها بهم. وأشهد أنني ذهلت حين لمحت عن يمين وعن شمالي الأخطاء التي كانت تجري على أوراق الطلاب وهم يلخصون المحاضرة. ولم تكن الأخطاء لغوية أو نحوية فحسب بل كانت في صياغة الجمل أيضاً. وكما لبثت في الكلية

الشرعية شهرين فقد لبثت هنا مدة تناهز الشهرين أيضاً. فقد اطلع الدكتور البستاني وهو من هو في سعة أفقه والتمكن من مادته على ملخصاتي لمحاضراته فقال لي أنت منه من هذا المقرر فاحضر غداة الغد فإنها حصة الصف النهائي. وكان بعد ذلك يركز على استدعائي لمكتبه يعجم عودي ويسبر غوري. وقبل نهاية الشهر الثاني من انتسابي لمعهده استدعاني وشد على يدي وقال عد إلى صور وأعدّ دراسة بموضوع (أدب الطف).

الكلية الجعفرية:

لم أغادر الجعفرية إذن سوى أربعة أشهر. عدت بعدها إليها مشتاقاً يسعى إلى مشتاق. وفي السنة المدرسية ٤٣ـ٤٤ أخذت على عاتقي إدارة الكلية الجعفرية وكان قد سبقني في الإدارة الأستاذ أديب خليفة فالأستاذ صبحي فؤاد الرئيس فالأستاذ سرحان سليمان سرحان. وفي سنة ٤٦ـ٤٧ افتتحنا صف البكالوريا القسم الأول. إنها لقفزة رائعة أن تصبح الجعفرية بعد ثماني سنوات من تأسيسها مدرسة ثانوية ثم داخلية في السنة التالية. ولم يكن في الجنوب آنئذ سوى مدرسة ثانوية واحدة هي كلية المقاصد في صيدا.

محطة وطنية في الجعفرية:

وكانت سنة ١٩٤٨ محطة وطنية في تاريخ الجعفرية تلك هي الهبوب إلى استقبال الأخوة الفلسطينيين واحتضانهم يوم قذفت بهم المحنة عبر السفن والمراكب ليحط بهم القدر على شاطىء صور فيكوّنوا من بعد مخيمي الرشيدية والبرج الشمالي وحي البص وجل البحر.

وما إن وصلت طلائعهم حتى كنا ثلاثمائة فتى وشاب من الجعفرية مع إخواننا نحمل أمتعتهم رأساً وبالتتابع إلى البيوت المعدة للإيجار حتى إذا امتلأت البيوت الشاغرة عمدنا إلى نقلهم إلى المدارس رسمية وخاصة حتى إذا استوفت نقلنا الباقين إلى حرم المساجد والكنائس. وكان نصيب الجعفرية منهم أكبر نصيب في نادي الإمام الصادق وملاعبها الشاسعة وغرفها العديدة. وكانوا يعدون أنفسهم

بالعودة خلال أيام كما قال لهم الذين فرضوا عليهم الارتحال إلى جوار فلسطين ريثما يحررونها من الصهاينة في مدة لا تتعدى الشهر الواحد.

لقد سجل بادرة الجعفرية كتاب (الإسلام دين وحياة) الجزء السادس وهو يتحدث عن تاريخ الجعفرية بالتفصيل، ومما قاله تحت عنوان (الجعفرية ومحنة فلسطين) ما نصه: «وما إن أطل شهر أيار من سنة ١٩٤٨ حيث حلت كارثة فلسطين حتى تدفق آلاف النازحين إلى صور فما كان من (جعفر شرف الدين) إلا أن فتح لهم أبواب الجعفرية دون قيد أو شرط وجند طلابه ومعلميهم وشبيبة صور لخدمتهم واستقرارهم واستمر ذلك شهوراً حتى استطاعت الحكومة أن تهيىء لهم خياماً وبيوتاً في ضواحي صور».

مجلة المعهد:

وسجلت ذلك مجلة المعهد في العدد الرابع من السنة الرابعة الصادر في أيار ١٩٤٨ ولم أسجل أنني منحت وسام الاستحقاق ولأول مرة أتذكر وأذكر ذلك.

وفي نفس العدد برقية وجهها أبي للملك عبد الله هذه خاتمتها: «وليس ذهاب فلسطين فاجعاً لولا أنه ذهاب لريح العرب وعز الإسلام وكرامة الإنسان المسترق في غد هذا الشرق القريب».

وكذلك كتب الأستاذ الشيخ عبد الله العلايلي بعنوان (مخاض مبدع) والأستاذ عبد اللطيف شرارة بعنوان (مدرسة الاحتقار) والسيد علي إبراهيم بعنوان (يا فلسطين) والأستاذ محمد جميل بيهم بعنوان (العرب وأميركا) والسيدة نجوى قعوار بعنوان (الشهداء) واقتصر باب طواف شهر على قضية فلسطين.

كما تضمن العدد الخامس الصادر في حزيران ١٩٤٨ شعراً ونثراً حول فلسطين. منها (مبارزة) و (ميلاد العرب) لجعفر شرف الدين و (فجر العرب) لأم نزار الملائكة (ويا ابن الحسين) للدكتور نزار رضا، واقتصر باب (طواف شهر) على الموضوع نفسه ومنه معركة فلسطين تقرر مصير العرب، و «عودة المجاهد علي ناصر الدين من الجبهة» و «مجلس الأمن هو المجلس المليّ الإسرائيلي» و «اشترى الشهيد محمد زغيبب المالكية بروحه».

ومجلة المعهد هذه أصدرناها سنة ١٩٤٥ واستمرت أربع سنوات رسالة فكر وأدب ونضال شارك في تحريرها كبار وناشئون من لبنان والوطن العربي. وهذا سجلّ أسمائهم.

أولاً: المشاركون خلال مدة صدورها في مختلف سنواتها وإعدادها هم تسعة وعشرون عالماً وكاتباً وشاعراً. نورد أسماءهم وفق الحروف الأبجدية:

السيد علي إبراهيم - أحمد أبو سعد - سليمان أبو زيد - معروف أبو خليل - يوسف أبو خليل - محمد زكي بيضون - الدكتور محسن جمال الدين - أنور الجندي - إنعام الجندي - أحمد حجازي (ابن البادية) السيدة زهر الحر - حسين محمد خشن - رشاد دارغوث - الياس خليل زخريا - كامل سليمان - أحمد سويد - تحسين شرارة - عبد اللطيف شرارة - السيد عبد الحسين شرف الدين - السيد محمد رضا شرف الدين - السيد نور الدين شرف الدين - السيد صدر الدين شرف الدين - جعفر شرف الدين - نجيب صعب - بهيج عثمان - الشيخ عبد الله العلايلي - أديب مروة - الشيخ محمد جواد مغنية - أحمد مغنية.

ثانياً: المشاركون ببضعة مقالات أو قصائد بلغوا ستة وعشرين وهم:

كمال عبد الأحد البيضاوي - الدكتور شكر الله حداد - أديب الحر - الحوماني (صاحب العروبة) - محمد دكروب - الدكتور نزار رضا - أحمد حسن الزيات صاحب (الرسالة) - أنطوان زيدان - الشيخ علي الزين - حسن الزين - ياسين سويد - رفعت شرارة - محمد علي صادق - السيد أحمد الصافي النجفي - السيد محمد صادق الصدر - النقيب رياض طه - كامل العبد الله - مارون عبود - كامل مصباح فرحات - نبيه أمين فارس - الدكتور عمر فروخ - رمضان لاوند - عبد الله المشنوق - أم نزار الملائكة - الدكتور محمد يحيى الهاشمي.

ثالثاً: المشاركون بأكثر من مقال أو قصيدة بلغوا ستة وسبعين وهم:

السيد عباس أبو الحسن - كمال أبو مصلح - أحمد سليمان الأحمد - نسيب الاختيار - محمد أحمد خلف الله - السيد شريف الأخوي - البر أديب صاحب (الأديب) عبد الحسين الأزري - صلاح الأسير - أحمد أمين - السيد أحمد حسن

الأمين ـ السيد عبد الرؤوف الأمين (فتى الجبل) ـ السيد عبد الله الأمين ـ السيد هاشم حسن الأمين ـ الدكتور عز الدين آل ياسين ـ الإمام الشيخ مرتضى آل ياسين ـ واصف البارودي ـ حسن باشو ـ شعبان بركات ـ منير بعلبكي ـ الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) محمد جميل بيهم ـ جبرائيل جبور ـ أميل الحايك ـ السيد محمود الحبوبي ـ نسيم الحلو ـ وديع ديب ـ الشيخ عبد الغني الراجحي ـ الشيخ أحمد رضا ـ السيد يوسف محمد رضا ـ السيد عبد الحسن زلزلة ـ عيسى ميخائيل سابا ـ عبد الأمير السبيتي ـ كاظم السماوي ـ بولس سلامة ـ السيدة وداد سكاكيني ـ الشيخ محمد سويد ـ محمد شرارة ـ مرتضى شرارة ـ موسى الزين شرارة ـ حسين شرف الدين ـ خليل شرف الدين ـ عبد الرحمن الشرقاوي ـ الشيخ محمد جواد شري ـ الدكتور يحيى الشهابي ـ عفيف شيخاني ـ تيسير شيخ الأرض ـ عبد الرضا صادق ـ الدكتور نمر الصباح ـ محمد صبرا ـ الدكتورة إنعام الصغير ـ ميخائيل صوايا ـ بدوي طبانة ـ عبد الله سليمان ظاهر ـ الدكتور أحمد عز الدين ـ أحمد عويدات ـ الدكتور شريف عسيران ـ محمد قره علي ـ محمد عيتاني ـ أحمد غربية ـ إبراهيم فران ـ مصطفى فروخ ـ الشيخ محمد تقي القمي ـ موريس كامل ـ محمد كزما ـ الأب أنطوان مالك ـ عبد السلام المجذوب ـ الشيخ محمد محمد المدني ـ كامل مروة ـ الدكتور حسين مروة ـ عبد الكريم مروة ـ محمد مكي ـ السيدة نازك الملائكة ـ المجاهد علي ناصر الدين ـ أمين نخلة ـ شفيق النقاش.

مجلة العرفان:

أولئك الذين واكبوا مسيرة مجلة المعهد التي حملت هموم تلك الحقبة ومعاناتها وعكستها نثراً وشعراً وبحثاً وقصة، وإن أنس فلا أنسى التشجيع الذي كان يزجيه لها المجاهد الكبير الشيخ أحمد عارف الزين رضوان الله عليه ومطبعته التي تحركت في إصدار مجلة العرفان سنة ١٩٠٩ ولا تزال حتى الساعة تزود العالم الإسلامي والوطن العربي ودنيا الاغتراب بهذه المجلة العريقة. وما عمالقة العلم والأدب والتاريخ على مدى هذا القرن العشرين سوى تلامذتها ثم فرسانها. ثم فرسان الفكر. وقد أصبحت تراثاً يصح أن نسميه (دائرة معارف العرفان)، ويستمر بإصدارها كما تعلمون ولداه القاضي زيد الزين ونجله الشاب الجامعي

الأستاذ فؤاد بعد وفاة المرحوم نزار الزين الذي وقف حياته عليها سهراً ومعاناة وصبراً. ولا بد لي وأنا أسوق هذه الذكريات العاملية من أن أسجل للعرفان أنها لعبت الدور الثقافي الأول والدور الوطني الأول في جبل عامل. ولا بد لي وأنا أتذكر أن أذكر المثقفين في بلادي وعلى رأسهم المجلس الثقافي للبنان الجنوبي وهو يلعب في هذه الحقبة الدور الثقافي الأول أن يحتضنوا هذا التراث المجيد ويعملوا على بعث مجلدات العرفان السبعين بطبعها مصورة على ألف مجموعة على الأقل ومن ثم يعملون على مواكبة مسيرتها الحاضرة والمستقبلية.

دور الجعفرية:

كما أن الكلية الجعفرية في صور تلعب منذ نيف وستين سنة دوراً رئيسياً في توجيه الثقافة الوطنية بكفاءة عالية، وقد سجلت في تاريخها الثقافي صفحات ناصعة أشرقت على جبل عامل مهندسين وأطباء وصيادلة ومحامين وأساتذة جامعيين ويكاد أن يكون جميع من يعمل في هذه الميادين في قضائي صور وبنت جبيل من خريجي الجعفرية.

وسجلت في تاريخها الوطني الدور الرئيسي في جبل عامل، وأقف عند الخمسينات التي حفلت بالصراع بين الصف الوطني وبين مشاريع الاستعمار التي قذفت بها الولايات المتحدة إلى الساحة العربية فخاضها الصف الوطني على الساحة اللبنانية بكل وعي وشجاعة حتى انفجرت سنة ١٩٥٨ وكان دور الجعفرية قوياً فاعلاً. لم يستطع تعطيله القمع والسجن، وأستطيع أن أذكر أن شرارة الغضب التي عمت لبنان بعد مقتل الصحفي المناضل نسيب المتني قد انطلقت من صور، ذلك أن طلاب الجعفرية أقاموا مهرجاناً للوحدة المصرية السورية في بلدة (عيتيت) كان أبرز خطبائه حسين شرف الدين، وقد لفقت السلطة زوراً وبهتاناً تهمة مس العلم الوطني واعتقلت كامل بيطار وإسماعيل شام ومصطفى بيضون وفاروق حمادة وساقتهم إلى المحكمة وأشهدت بعض عملائها كذباً وافتراء، وأصدرت المحكمة حكماً بسجنهم ثلاث سنوات. فانطلقت أول مظاهرة من قاعة المحكمة في صور. وتتابعت التظاهرات فسقط في إحداها ثلاثة شهداء هم معن حلاوي ومحمد قاسم وإبراهيم سلامة. واعتقل في إحداها عشرات المناضلين أبرزهم

حسين شرف الدين وياسر نعمة. واعتقل في إحداها محمد جمعة وعبد الرؤوف صفي الدين وسليم شغري وجمال قدادو، وجرح في إحداها حسين شرف الدين وحسن محي الدين وعبد الواحد المغربي. واستشهد في الخندق أبو إبراهيم زيدان وإبراهيم بيضون ومحمد حمزة. واعتقل قائد المقاومة الشعبية في منطقة صور المجاهد إبراهيم الرملاوي وسيق كاتب هذه الذكريات إلى التحقيق.

وكانت السلطة قد اشتطت في التصدي للكلية الجعفرية حتى أن بعض وزرائها وكان نائب صور اقترح إقفالها إلا أن السلطة أخذت برأي وزير آخر اقترح انتداب مفتش تربوي تتصرف الحكومة إزاءها على ضوء تقريره، وبالفعل. فقد كلف المفتش الأستاذ حاتم حيدر بهذه المهمة فقام بها محققاً ومدققاً مع الإدارة والأساتذة والطلاب وذويهم. ورفع تقريراً إلى الحكومة يخيب آمال من تربص بالجعفرية الدوائر. بل يقترح مساعدة الجعفرية على القيام بأعبائها الثقيلة.

وقد شن العملاء حملة مسعورة على الجعفرية تتهمها بإلهاء تلاميذها بأمور لا تمت إلى التربية والتعليم بصلة وقد حمل بيان الجعفرية سنة ١٩٥٩ جواباً على هذا الاتهام الغبي الرخيص وأورد منه ما يلي:

الكلية الجعفرية نور من الله، ونور الله لا يطفأ. لذلك نقول للمتقولين والمتأولين أليست الجعفرية مصدر إشعاع ومركز هداية. أليست معقل الوطنية في المنطقة؟.

وإذا كنتم تحسبون هذه المعطيات شغباً ولهواً. إذا كنتم تفهمون الجيل ترفاً وأناقة وشهادة فحسب. فإنكم تريدون جيلاً تافهاً جبناً رعديداً.

الجعفرية تضفي على طلابها صفة الشخصية بكل ما فيها من قوة وصلابة وخشونة في ذات الله والوطن والإنسان والمصير المشترك في دربنا الصعب الطويل. فخذوا من أعدائكم صفات الرجولة والفكر المنظم إلى جنب العلم والمعرفة. فإنهم بذلك انتصروا وإننا كنا الخاسرين.

وإذا كانت أحداث ١٩٥٢ـ١٩٥٨ قد وضعت الجعفرية على خط النار، فإنها ليشرفها أن مشت على النار مع الأحرار من مناضلي صور والجنوب مشت على

١

الخط الوطني الصحيح الذي مشى عليه شرفاء لبنان من أجل إعادة الأصالة اللبنانية في القوة والمحبة والتسامح.

هذا هو الخط الذي وضعها عليه مؤسسها حين وضع لبنتها الأولى. يقول في بيان ١٩٣٩-١٩٤٠: «بلغ المسلمون والعرب على ضوء رسالتهم أبعد أشواط الحضارة فملكوا أزمة الدنيا العلمية وعمروها حتى مجاهل الأرض بملكهم السياسي العتيد، حتى إذا هدأت تلك الفورة الراغبة المزيدة وانكدرت سماء العرب والمسلمين وغيروا ما بأنفسهم عاث الغاشمون بكتبهم ومكتباتهم. وراحت الأمم المغيرة تتصرف بمقدراتهم ومقدساتهم، ودهمنا الغرب بخيله ورجله فاستحوذ علينا دخولاً في مدارسه وإصغاء إلى وساوسه فاندفعنا نزج بأفلاذ أكبادنا إلى أحضانه. حتى إذا خرج الفوج الأول علمنا أن الخسارة أكبر من الربح - خسرنا فيهم الروح والإخلاص، وجهزنا منهم سلاحاً يصيب نحورنا. فالجهل أقل ضرراً من هذه المعارف المسمومة.

وفي الحق لقد خدعت أمتنا العزيزة حيث أرادت استرجاع مجدها بتعليم ناشئتها فدفعتهم إلى أحضان تلك المدارس فأضاعت مجدها على وجه آخر هو أتقن وأبرع إذ تخرجوا جنوداً علينا وعلى مقدسات مبادئنا.

كنا نشهد ذلك فينزل بنا همٌّ مقض. وفي مصارعة هذا التيار أوحى إلينا الواجب أن ننشر الهدى من حيث انتشر الضلال. فنقوم بتربية أبنائنا تربية مستقلة بأهدافها وأخلاقها ومثلها. تحمل من العلم ما تحمله المدارس العصرية وتمتاز بالحفيظة العربية والروح الإسلامية. تلك هي القوة المرجوة للفتح المبين والبعث الجديد، وعلى هذا الأساس قامت الجعفرية» انتهى.

وإذا ذكرنا الجعفرية فإننا نذكر «بناية المهاجر» للكلية الجعفرية التي شمخت صرحاً ممرداً في صور بخالص تبرعات المهاجرين اللبنانيين بعامة والعامليين بخاصة، قامت على أكتاف أولئك الميامين في أفريقيا الغربية. كما قامت كل مؤسسة عاملية عليها، وكما سمقت كل دارة في جبل عامل وارتفعت كل بناية جنوبية في بيروت وازدهرت كل أرض في الجنوب وعمر كل بيت فيه.

هذا هو المغترب العاملي في أفريقيا الغربية، يتعب ليرتاح جنوبه ويشقى ليسعد ذووه وقد خلد أبي ذلك على لوحة رخامية مثبتة في داخل مدخلها الشرقي وقد نقش عليها هذا الوسام:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وفقني الله سبحانه لبناء هذا الصرح سنة ١٣٦٩ للهجرة وقد أسميته (بناية المهاجر) اعترافاً مني بفضل أبنائي في أفريقيا الغربية. ثم وقفته معهداً علمياً لناشئتنا الحبيبة في كل خلف من هذه الأمة».

وإنني أسجل بكل اعتزاز ما كتبه أبي على لوحة رخامية ثانية نقش عليها هذا الوسام - «بسم الله الرحمن الرحيم، وفقني الله تعالى إلى إنشاء هذه المدرسة سنة ١٣٥٧ للهجرة وقد انبرى للنهوض بأعبائها ولدي «جعفر» فصرف إليها عزائمه ناصحاً وآثرها على نفسه مخلصاً حتى سما بها والحمد لله إلى مصاف المعاهد الراقية فقرت عيني وعين الأمة بنهضته. وفقه الله لما يوجب له الأجر وحسن الذكر مدى الدهر».

وكنت سافرت في سبيلها ثلاث مرات إلى افريقيا الغربية، السفرة الأولى كانت مع أخي المغفور له السيد صدر الدين موفدين من أبينا وذلك سنة ١٩٥٠ والثانية مع الأستاذ علي سلامة أحد خريجي الجعفرية سنة ١٩٥٤ والثالثة كنت منفرداً فيها سنة ١٩٥٦ وكانت حصيلة هذه الرحلات «بناية المهاجر» ولا أنسى في هذا الصدد مروءة السيد محمود صفا الذي حرك أريحية رجال الأعمال الجنوبيين في بيروت فقدموا للجعفرية ما أعان على خاتمة بنائها. ولا أنسى أنني في رحلاتي الثلاث كنت أرى في عمق الأحراج الأفريقية اللاذعة لدى العامليين المكتوين بنار الغربة والوحدة: العرفان والراديو والبراد.

ويراً بالجعفرية وبأبي أنشأت مجلة المعهد رديفاً لها وسفيراً. فكانت قلمها الصادق ولسانها الناطق. ولما توقفت المعهد، لم نتوقف، فقد كنا نصدر بياناً سنوياً ومجلة موسمية هي (رسالة الجعفرية) ولا تزال تصدر حتى الآن، وهكذا تكون الجعفرية أول مدرسة ثانوية متكاملة في تاريخ جبل عامل. ومجلة المعهد أول مجلة في تاريخ صور.

مدينة صور:

صور هذه البلدة التاريخية العريقة تبعث من جديد بعد أن أخنى عليها الدهر وراحت في سبات عميق على أثر زلزال جعل عاليها سافلها، ولم تستيقظ إلا بعد سنة ١٧٥٠ إذ أعاد بناءها حاكمها الشيخ عباس بن محمد الوائلي وأسكن فيها عائلات من جبل عامل وصيدا والشوف. ولعل المصريين الذين رافقوا محمد علي إلى لبنان واستوطنوا إقليم الخروب نزح جماعة منهم إلى صور وسكنوا إلى الحي الذي لا يزال حتى الآن يسمى حي المصاروة.

وظاهرة بارزة في صور لها دلالتها وهي أن لكل حي فيها لهجة خاصة به وسمة تشير إلى مكان سكناه.

صور هذه المدينة العريقة انتقل إليها السيد عبد الحسين شرف الدين سنة ١٩٠٧ فشدّ أوصالها بعد أن كانت مفككة ورفع صوتها بعد أن كان خفيضاً، وأنشأ فيها مؤسسات ثقافية واجتماعية ودينية بعد أن كانت صفراً منها. وجعلها عاصمة للفتيا والقضاء، ومنتدى للعلم والأدب، وموئلاً تهفو إليه قلوب المستضعفين والمعذبين في الأرض. ومركزاً تقام فيه المواسم الإسلامية والاجتماعية والتراثية: تخفق فيها الرايات وتتزاحم المناكب وتتابع الوفود من أفغانستان وباكستان وإيران والعراق، فضلاً عن الوفود اللبنانية جنوبية وشمالية، بقاعية وساحلية، بل كانت ملتقى للعلماء والأدباء والشعراء يجدون فيها محاوراً ومقدراً.

مجالس علماء جبل عامل:

وكم عقدت فيها حلقات العلماء وندوات الأدب واللغة والتاريخ، وكم التقوا فيها زائرين من قم وخراسان والنجف والكاظمية وكربلاء وبغداد، ومن حلب واللاذقية ومن بعلبك وطرابلس.

وكان أبي يزور العلماء ويزورونه وكان البشر يعم حين ننعم بزيارات السادة العلماء أو نسمع حديث هذه الزيارات التي لم نكن ندركها، وكان أركانها المغفور لهم:

السيد محمد محمود الأمين والسيد علي محمود الأمين والسيد نجيب

فضل الله والشيخ محمود مغنية والسيد حيدر والسيد جواد مرتضى والشيخ علي مروة والشيخ موسى قبلان والشيخ عبد الكريم شرارة.

وقد أدركت أول ما أدركت من مجالس كبار العلماء مجالس الشيخ حسين مغنية والشيخ عبد الحسين صادق والسيد عبد الحسين نور الدين والسيد حسن محمود الأمين والشيخ محمد والشيخ عبد الله الحر والشيخ عبد الكريم الزين والشيخ محمد علي نعمة والسيد محمد والسيد مهدي إبراهيم والشيخ يوسف الفقيه والشيخ حبيب آل إبراهيم والشيخ علي حلاوي والشيخ محمد رضا الزين والشيخ عبد الله حب الله والسيد علي فحص والشيخ حسين نور الدين والسيد هاشم الحكيم والسيد أمين السيد علي أحمد والسيد محمد حسن فضل الله والسيد نور الدين نور الدين والشيخ عبد المنعم شرارة والشيخ حسين غريب.

ولكل من هؤلاء العلماء الأجلاء سمات تميزه عن زملائه، فهذا بحر علم ومعرفة وذاك حجة قضاء وإفتاء، هذا عميق الغور في البحث والتدقيق وذلك واسع الأفق في الاستنباط والتحقيق، هذا لا ينفك تصنيفاً وتأليفاً وذلك لا تأخذه في الحق لومة لائم. هذا منصرف إلى مشاريعه العلمية والثقافية وذاك منصرف إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا منصرف للدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والكل عالم عامل منصرف إلى ما يسر له.

وأعلق هذه الزيارات في ذاكرتي تلك الزيارات المنتظمة شتاءً وصيفاً التي كانت تجمع أبي والمغفور لهما الشيخ عبد الحسين صادق والسيد عبد الحسين نور الدين. ذلك لأنها كانت مواسم غنية بجمع شمل العلم والأدب والشعر والخطابة والنكتة المستملحة والطرفة المستظرفة. بل كانت سوق عكاظ كما كان يسميها مجازاً الشيخ قدس سره أو خلية علم كما كان يسميها السيد رضوان الله عليه، وكلتا التسميتين وصف دقيق لتلك المجالس العلمائية الرائعة التي كانت تعقد حول كل منها في الشتاء والنار توقد، وفي الصيف والجو يتثاءب والمشكلات تطرح وصوت النقاش يتعالى فيؤجج النار في الشتاء ألقاً وتوهجاً، ويشحن الجو في الصيف نشاطاً وتبلجاً، ورب معضلة علمية استغرق البحث في فك رموزها وحل عقدها جلسات تتلو جلسات حتى إذا أسفر حجاب المشكلة

وحصحص الحق قرّت السيوف بالإغماد وساد ذلك الجو الحميم سعادة لا توصف، وأعطي كل ذي فضل فضله بعيداً عن الأنانية بل عدولاً عن الاستئثار إلى الإيثار.

وكذلك المجالس التي كان نجومها الثالوث العامليّ، الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر والشيخ أحمد عارف الزين، هؤلاء الذين تعاهدوا وتصافقوا على خدمة العلم واللغة والأدب والقضايا الوطنية فكانوا رأياً واحداً بل شخصاً موحداً، إذا ذكر أحدهم تبادر إلى الذهن فوراً اسما رفيقيه الآخرين.

وكثيراً ما كان الأستاذ الحوماني يضفي على هذه الجلسات ملح الأدب وطرائفه ويروي النادر من رحلاته في الأميريكتين والبلاد العربية، وما سمعت متحدثاً أبرع ولا أروع من هذا النابغة استقطاباً للعقول والأفئدة أداء وتسلسلاً بكل ما في لغة الضاد من بلاغة قول وعذوبة منطق وطلاقة لسان. أما السيد عبد الحسين محمود الأمين فكان نجم كل حلقة، بل كان مدرسة أدبية كاملة فيها من الشعر أعذبه ومن التاريخ أطرفه ومن النكتة أبرعها ومن القصص أروعها، وكثيراً ما كان يلتقي في هذه المجالس مع أخيه فتى الجيل فيفتح ملف الشعر ولا تهدأ «العواطف الثائرة» لديه حتى تثور مرة أخرى بجيد الشعر وجدانياته ووطنياته واجتماعياته.

أما مجالس آل شرف الدين فكانت تتميز بخصوصيتها وانفتاحها. ابتداء بصهرنا الشيخ عبد الله السبيتي، وإخوتنا: السيد محمد جواد، السيد نور الدين، والسيد محمد رضا، والسيد صدر الدين.

وكنا نتحلق صباح ـ مساء حول سيد الأسرة يضفي علينا بمنطقه العلوي، وحنانه الأبوي ما يفعم أفكارنا بالتاريخ والأدب والنقد والسلوك. وكثيراً ما كان يطلب إلينا أن نعرض معه أفكارنا، مقولة ومكتوبة.

فكان السيد محمد جواد أعمق تقييماً للأدب نثراً وشعراً. وكان أرقى الشعر العربي يدور على لسانه، متمثلاً ومستشهداً ومقارناً، بعبقرية ملحوظة وفكر وقاد.

أما خلافة أبي فكانت معقودة اللواء للأخ الأكبر المغفور له السيد محمد

علي بكفاءته العلمية والعملية، وبالصفات القيادية التي تميز بها. ولكن قدراً استأثر به فانتزعه من قواعده الأثيرة علماً وأدباً ورؤيا مستقبلية.

وأما الأخ الأصغر السيد عبد الله فهو اليوم متفرد في التاريخ الإسلامي، ومختلف المذاهب، وعلم الرجال. وقد أنجز موسوعة في دراسة المؤلفات الموضوعة قديماً وحديثاً في ترجمة الرجال. وينحصر منذ سنوات جهده في إنجاز موسوعة كبرى في التراجم بعنوان «معجم رجال الشيعة».

وكان صهرنا الشيخ عبد الله السبيتي يتلو فصولاً من كتبه التي كان منصرفاً إلى تأليفها. ومواضيع من (كتاب الشهر) الذي كان يصدره بمساعدة ولده الأستاذ عبد الأمير.

وكذلك كان السيد نور الدين على موعد مع (العرفان) يزودها فيه بأبحاثه العلمية، ونقده الأدبي، ويقف معها في هذه المجالس قبل إرسالها للنشر.

وكان السيد محمد رضا، يعطر تلك المجالس بنفحاته الشعرية، وقصائده التي وضعته في خانة كبار الشعراء المعاصرين. وقد أسدى للأدب العربي المعاصر خدمة ملحوظة، عبر مجلته (الديوان) التي كان يصدرها في بغداد، ويشارك في تحريرها كبار من علماء العربية وأدبائها.

أما فارس العربية غير منازع فهو السيد صدر الدين، فقد كان الأدباء في لبنان وسورية والعراق ومصر على موعد شهري مع مجلة (الألواح) في بيروت، ومجلة (النهج) في صور، ليطالعوا ما يطلع به عليهم، من أدب رفيع، وفكر منير، وأسلوب (صدري) أصبح مدرسة أدبية، تمشي كتفاً إلى كتف، مع مدارس طه حسين والعقاد والزيات.

وإذا ذكرت مجالس آل شرف الدين. فإني أذكر مجالس آل صادق. لأنهما في العلم والأدب والتوجه، متكاملان منسجمان. تجمعهما وحدة الرأي والهدف، والقربى الحميمة عائلة وصهراً.

وكثيراً ما كان فتيانهم الميامين، إلى جنب شيوخهم الأجلاء، نجوم المجالس، في بدء تفتح أكمامهم، وبروز مواهبهم. ثم أصبحوا من بعد نجوماً في

المحافل العلمية والثقافية والسياسية والأدبية. فقد برز منهم الشيخ جعفر الصادق، صاحب المنبر والمحراب في النبطية. وها هو شبلة الشيخ عبد الحسين يشار إليه بالبنان في النجف الأشرف، يعيد مجد جده العلمي والاجتماعي.

وبرز الشيخ محمد نجيب صاحب الكلمة الطيبة السواء، وحامل لواء الدعوة الإسلامية، شأن سلفه الصالح.

وبرز منهم الأستاذ محمد علي صادق، صاحب المواقف الأدبية المميزة، سواء على منصة القضاء، أو على منبر الشعر.

كذلك لمع الأستاذ عبد الرضا، بنفسه الأدبي، الذي يضعه على الأريكة بين شعراء العصر.

أما الأستاذ حبيب فهو أمين عام المجلس الثقافي للبنان الجنوبي البارز بقيادته على الساحة اللبنانية، والمتصدي لدفع هموم الجنوب ومعاناته، وبلورة قضاياه الوطنية والثقافية والأدبية والتراثية.

وهناك مجالس كانت تضم الشيخ عباس مراد والشيخ محمود عباس والشيخ بشير حمود. فالشيخ عباس ضليع في معرفة جغرافيا العالم مواقع وأرضاً وبشراً ومياهاً واستراتيجية لكأنه خريج متفوق من إحدى كليات التخصص في هذا العلم، ثم هو بارع في تحليل الجغرافيا السياسية يأتيك بأنباء غدها ومستقبلها مستنداً إلى الصراع العالمي والإقليمي القائم في الغرب وفي الشرق.

أما الشيخ محمود والشيخ بشير فإنهما بارعان في التثقيف والزهد بحيث يكتفيان من أثوابهما بطمرين ومن طعامهما بقرصين، وعلى هذا النحو العملي يخرجان على الناس راشدين ومرشدين هاديين ومهتدين بتواضع العلماء وتوجه العارفين، وقد هدى الله بهما خلقاً كثيراً.

وإذا ذكرت مجالس هؤلاء الواقعيين العاملين بصمت يتبادر إلى ذهني مجالس واقعية أخرى تبدو في ظاهرها وكأنها مجالس أنس وسمر، تلك هي المجالس التي كانت تعقد حول الشيخ محمد نجيب مروة ويتسابق محبو مجالسه إلى حجز أماكنهم في الإسراع إلى البيت الذي يستضيفه لقضاء سهرة ممتعة

يتصدرها هذا الفاضل ليشبع فضول الساهرين بما يطلبون من سرد قصص شعرية ونثرية، واقعية وخيالية، ولكنها بالنتيجة صور كاريكاتورية لمعاناته هو ولمعاناة الفلاحين مع أصحاب الأرض والمزارعين والمرابعين، وجميعها من الأدب الساخر الذي يوجع ويضحك معاً، وهي في حقيقتها دعوة إلى التغيير والتصحيح بأسلوب يتخذه الأدباء المصلحون في عصور القمع والإرهاب.

ويعاصر هذه المجالس مجالس وقار واتزان تلك مجالس الشيخين الجليلين الشيخ علي والشيخ حسين سليمان، ينتقل ذهنك حين تراهما إلى أعرق مكتبة في جبل عامل تلك هي مكتبة آل سليمان في البياض وهي من المكتبات الكبرى التي سلمت من أيدي الغزاة الطغاة بآلاف مجلداتها التراثية المطبوعة والمخطوطة، ولا زالت تنمو بعناية المائلين من هذه الأسرة، ويحتضنها اليوم الشيخ إبراهيم سليمان وقد أضاف إليها فيما أضاف خزانة تضم مؤلفاته المخطوطة التي تربو على الخمسين مؤلفاً، وفيها مؤلف ضخم مخطوط في تاريخ جبل عامل للشيخ حسين والد الشيخ سليمان سليمان.

أما مجالس الشيخ محسن شرارة فكانت خلاصة لأفكار أبيه العظيم الشيخ عبد الكريم وجده الأعظم الشيخ موسى. هذا الذي أوقد مصابيح الهدى في بنت جبيل فاستضاء بها جبل عامل. ونفخ رياح التغيير فيه من عصر إلى عصر في مدة لا ترقى إلى العشر سنوات ليحمل الراية بعده ولده الشيخ عبد الكريم ويسير بها على ضوء ذلك النور بضع سنوات أخرى، ليأخذ الراية ولده الشيخ محسن ويدخل القلوب والعقول ترفرف معه بأفكار هذا الثالوث الفذ الذي خسرته البلاد ولما يبلغ واحده الأربعين من عمره الشريف.

وعهد آخر من الذكريات العاملية يتصدر مجالسه في النبطية المغفور لهما الشيخ حسن صادق والشيخ محمد تقي الصادق والشيخ محمد علي المقداد حفظه الله وغيرهم من العلماء ممن أوردت أسماءهم في مجالس سابقة ولاحقة.

وتطرح المشكلات على بساط البحث، وما أن يتعمق الحوار ويتجذر حتى يحمى الوطيس وتعلو الأصوات وتغربل الآراء ولا تتبلور إلا بعد مخاض عسير له أزيز كأزيز المرجل حين يغلي ماؤه.

عاصر هذه المجالس أيضاً مجالس كانت تضم السيد عباس أبو الحسين والشيخ علي الفقيه والشيخ خليل مغنية والشيخ حسن والشيخ زين العابدين شمس الدين والشيخ محمد حسين الزين والسيد علي مهدي إبراهيم والشيخ محمد علي ناصر والسيد محمد علي إبراهيم، وكان لبعض هؤلاء الأعلام تطلعات في البحث العلمي، ولبعضهم توجهات للعمل الاجتماعي ولآخرين مشاركات سياسية عربية وسياسية اجتماعية، وكان فريق يعمل على صب جهود العلماء في إطار جمعيات تحتضن هذه الأفكار.

وبالفعل فقد اتخذ بعضهم المنبر سبيلاً إلى الإصلاح، وتوسل بعضهم الكتابة والتأليف وبعضهم بتأسيس الجمعيات، وبعضهم بالتدريس الإسلامي.

وقامت في صور جمعية علماء الدين العاملية وبنت معهداً للدراسات الإسلامية بقيادة الشيخ موسى عز الدين خلفه عليها السيد هاشم معروف الحسني، وقامت في النبطية الجمعية الخيرية الإسلامية برئاسة الشيخ جعفر صادق وبنت مستشفى فيها وقامت في بيروت جمعية الهداية والإرشاد برئاسة الشيخ حسين الخطيب ويرأسها اليوم الشيخ عبد الله نعمة، وجمعية الأهداف الإسلامية برئاسة السيد أحمد شوقي الأمين وإدارة الشيخ عبد الحميد الحر وغايتها تحقيق الأهداف الإسلامية بتأسيس مجلة تكون منبراً لها ومنطلقاً، وكان من قبل الشيخ رضا فرحات أسس جمعية في برج حمود وبنى لها مدرسة ونادياً سدّا فراغاً كبيراً في بحر برج حمود البشري العاملي والبقاعي، وخلفه نجله الشيخ محمود على هذه المؤسسات، كما أنشأ الشيخ حسين معتوق جمعية في الغبيري بنى لها مسجداً وحسينية خلفه عليها الشيخ حسن طراد.

وتقوم اليوم مؤسسات كبرى في بيروت والضاحية الجنوبية يرعى بعضها الشيخ محمد مهدي شمس الدين، وبعضها السيد محمد حسين فضل الله، ولديه حوزة علمية تخرّج الفضلاء، أما المنشآت الكبرى في لبنان فهي المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى وبيت الطائفة الإسلامية الشيعية في الحازمية ومدينة الزهراء في خلدة ومؤسسة جبل عامل المهنية في برج الشمالي، وجميع هذه المؤسسات وسواها معقودة اللواء للسيد موسى الصدر ردّ الله غربته. وترعى

شقيقته السيدة رباب من هذه المؤسسات، مؤسسة جبل عامل ومبرة الزهراء ومدرسة التمريض.

وفي الخندق الغميق من بيروت أسس الشيخ محمد عياد جمعية لها مسجد وحسينية خلفه عليها ولده الشيخ مرتضى، وفي المصيطبة من بيروت أيضاً أنشأ السيد أحمد زكي تفاحة جمعية بنى لها مدرسة ومسجداً وحسينية للرجال وأخرى للنساء ويقوم على إدارتها السيد بإخلاص وتضحية ومتابعة.

ومجالس في جبل عامل خطفتِ الأضواء قوامها الشيخ محمد جواد مغنية والشيخ عبد الله نعمة والشيخ محمد جواد شري. والسيد هاشم معروف. ثم خطفت مؤلفاتهم الأضواء أيضاً لأنها أغنت المكتبة الإسلامية بالفكر التراثي وتوهجت بأصالة البحث وتجدد الأسلوب. وبلورت ثروتنا الفقهية والأصولية والعقائدية والتاريخية والفلسفية.

وكان الشيخ عبد الله والشيخ موسى السبيتي من قبل فارسي هذا الميدان السابقين في حلبته، ومؤلفاتهما الخالدة لا تزال تطبع خدمة للمعارف الإسلامية ومكتباتها.

ومن الذكريات الحميمة تلك المجالس التي كانت تتمحور حول الشيخ علي مهدي شمس الدين والشيخ علي فاضل والشيخ أحمد فنيش والشيخ أحمد حدرج، فالشيخ علي مهدي إلى كونه يرتجل الشعر كان ذا موهبة عجيبة في رواية الأحداث التاريخية والنوادر الأدبية بذاكرة لاقطة ومنطق عذب وتسلسل مشوق، وكان ذا بديهة مذهلة في الحوار والمناقشة. وكان الشيخ علي فاضل يمثل توجه القدامى في تحليله لمشكلات الأدب برصانة الواثق ورزانة العالم وحسن تصرف الأديب. أما الشيخ فنيش والشيخ حدرج فإنهما وإن كانا من تلامذة هؤلاء الأعلام إلا أن مكانهما محفوظ في هذه المجالس على اختلاف أركانها يفتقدان إذا غابا ويعتدّ بهما إذا حضرا خصوصاً في حلقات الشعر فإنهما راويتان للعذب منه والفخم في جميع عصوره.

وفرسا الرهان علماً وفضلاً ورواية ونظما للشعر العباسي الراقي هما السيد

عبد اللطيف بن المغفور له السيد نجيب فضل الله، والسيد محمد نجيب الذي هز أعواد المنابر العاملية في كل فن من فنون الشعر الفخم والجزل.

وثالوث تقوى وصلاح والتزام بالعلم ومجالس العلماء هم السيد علي شرف الدين والشيخ أحمد مروة والشيخ حسن سويد، هذا الثالوث لم يفته إلا النادر من مجالس العلماء خصوصاً تلك التي تدار فيها كؤوس الشاي العقيقي، فهم أساتذة في تعليله بأدواته التراثية من سماور وقوري واستكان، وأساتذة في شحن جوه بما يناسب من استشهادات شعرية في وصف تعليله وجو مجالسه، وهم مع المشايخ شمس الدين وفاضل وحدرج وفنيش من حضور مؤتمر وادي الحجير ورواة وقائعه، وقد سمعته منهم مجتمعين ومنفردين، وكثيراً ما كانوا يروون وقائعه بلسان الخطابة حماساً وتذكراً، وسمعت معمرين من بلدة (ياثر) حيث كنا نصطاف فيها في الأربعينيات يروون هذه الوقائع. كما سمعت هذا الأسبوع معمرين من آل الأمين أحدهما السيد محمد باقر ابن المغفور له السيد علي محمود الأمين الذي يناهز التسعين من عمره ومن تربه ابن عمه السيد عبد الحسين الأمين أطال الله عمرهما سمعته منهما ومن أولئك كما رويته في هذه الذكريات عن (صفحات) من حياة أبي وعن صفحات من مجلة العروبة.

وقد تفرد السيد علي شرف الدين بكتابة نصوص ما كان يلقيه أبي في الاحتفالات الهامة. وله الفضل في تسجيل خطب أبي الارتجالية سياسية وتوجيهية والاحتفاظ برسائله السياسية والاجتماعية، وقد لازم أبي خمسين عاماً في حله وترحاله كسكرتير خاص يعتمد عليه، حتى أن جميع ما قدم للمطبعة من مؤلفات أبي هو بخط السيد علي شرف الدين رحمه الله وقد جمع خطبه السياسية الارتجالية، ورسائله وبرقياته ومذكراته التي كان يتوجه بها إلى الرؤساء والملوك والمحافل الدولية في مخطوطتين سمى إحداها (الشذرات) وسمى الثانية (رسائل ومسائل) وقد ألحقناهما بمخطوطة أبي المعدة للطبع باسم (صفحات من حياتي).

ونخبة من الأدباء شهدوا هذه المجالس وشاركوا في طروحاتها الأدبية والاجتماعية والسياسية، هم أحمد حجازي ابن البادية الكاتب الشاعر، ومحمد زكي بيضون صاحب المنطق العربي المبين والمحاور المهذب الفكرة والكلمة، والشيخ كامل سليمان صاحب المؤلفات الإسلامية والشاعر الوجداني الملتزم،

والدكتور شكر الله حداد النطاسي الأديب وصاحب القلم المصور واللسان المعبر. وفي الأربعينيات انضم إليهم سليمان أبو زيد الذي أنشأ فيما بعد ورشة عمل صحفية وأدبية وإعلامية عبر جريدة (الدنيا) والإذاعة والتلفزيون، وهذا آخر المجالس وقد استمر إلى الربع الثالث من هذا القرن.

أما أول المجالس التي أكاد أعيها في بدايات القرن الثاني ما بين ١٩٢٦ ١٩٢٨ فهي التي كان من أركانها صاحب النشيد الوطني رشيد نخلة قائمقام صور آنذاك وولده أمين نخلة، وكانا يخوضان عباب هذه المجالس وفيها كبار علماء جبل عامل كعلاّمتين في اللغة متناً وفقهاً، وبحرين من الأدب تاريخاً ورواية ومحدثين بأروع المأثور من أخبار العرب، وشاعرين بلغا قمة الهرم الشعري في لبنان.

تجديد المنبر الحسيني:

في سنة ١٩٤١ ألمّ في صور الفتى الطالع آنذاك الشيخ محمد نجيب زهر الدين صعد المنبر الحسيني فكان عرضه لثورة الحسين جديداً على خطباء الثورة الحسينية لذلك العهد المعتمد على سفائن مخطوطة فيها من المبالغات ما لا مزيد عليه. ومن السخف ما لا يقبل به الذوق والعقل. وهذا ما كان يرفضه أبي ويعمل على تغييره. حتى أنه رضوان الله عليه كان يقوم في كثير من الأحيان مقام المقرىء الحسيني معتمداً على استخراج العبرة من هذه الثورة النوعية لا على استدراك العبرة حزناً وأسفاً. فالحسين لا يبكى عليه بل يقتدى به. ومقولة: «يا ليتنا كنا معكم» تعني أن نكون مع مبادئه في أيامنا وتاريخنا فالتمني باطل إذا لم توضع الأمنية موضع التنفيذ، رفضاً للظلم وثورة عليه. حتى إذا كان الشيخ محمد نجيب زهر الدين في صور وقع أبي على ضالته فيه فاستبقاه عنده يعبئه بهذه المعطيات ويضع له كتابات فيها ويطلعه على أبحاث كبار العلماء والأدباء من القدامى والمحدثين التي تدور حول ثورة الحسين على ضوء هذه الأفكار. وهكذا تجدد فكر المنبر الحسيني في تلك الحقبة من تاريخ جبل عامل. وروائدها اليوم الشيخ محمد نجيب زهر الدين والسيد علي الحكيم.

وكان من مشاريع أبي أن ينوىء في الكلية الجعفرية فرعين إسلاميين يمنحان شهادة ثانوية. يؤهل خريجي الفرع الأول للدراسة الإسلامية العالية بالنجف وقم

فقهاً وأصولاً وما إليهما. ويؤهلهم الفرع الثاني للدراسات الإسلامية العالية إعلاماً وخطابة وتاريخاً مقارناً بالثورات الإسلامية والعالمية.

وكان رحمه الله يعطي الأولوية في اهتماماته لهذه العلوم وحامليها. ذلك أن العالم الحق هو معلم الناس وهاديهم إلى الصواب وقائدهم في مسيرتهم الخلقية والاجتماعية والوطنية. وكان يحرص على أن ينفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم. وكان يتسقط أخبار الذين نفروا إلى النجف الأشرف حتى إذا أنس في أحدهم استيعاباً لما أخذ وقدرة على عطاء ما أخذ توجه إلى بلدته في جبل عامل وبشر أهلها بنضوج عالمهم في النجف وحضهم على دعوته للعودة ثم تفقد جامع البلدة والبيت المعد لسكناه. حتى إذا شعر بموعد قدومه استقبله إلى بيروت في ثلة من أهله وقومه ورافقه إلى بلدته وصلى بصلاته تشجيعاً على احترامه وحملاً لمواطنيه على طاعته.

الحركة الأدبية في جبل عامل:

إذا عدنا إلى بدايات الثلث الثاني من هذا القرن وبالتحديد إلى سنة ١٩٣٥ لمع في الذاكرة فجر أدب جديد في جبل عامل ورأينا على ضوئه الشيخ علي الزين ينسج خيوطه بمواهب جيل أدبي طالع، كوكب من أصحابها طليعة أدبية أسماها عصبة الأدب العاملي. وكان من قبل قد بعث في النجف الأشرف سنة ١٩٢٥ جمعية الشبيبة العاملية. ونرى فتية العصبة يحملون معه المشعل فينضوي إليه كل من موسى الزين شرارة وهاشم الأمين وعبد الحسين عبد الله ونور الدين بدر الدين. ثم من نواتها النجفية محمد شرارة وحسين مروة.

وقد لعبت عصبة الأدب العاملي دوراً رائداً في إذكاء الروح الأدبية والوطنية. كما عاصر عصبة الأدب حركة أدبية ثانية عرفت باسم «الرابطة الأدبية» قوامها أحمد حجازي والسيد علي إبراهيم والسيدة زهرة الحر ومحمد زكي بيضون وعارف الحر.

وقد رافقت مجلة العرفان مسيرة العصبة والرابطة تنشر نتاج أقلامها وتحمل أخبار لقاءاتهما مع مجلتي العروبة والأمالي. والعروبة مجلة راقية أصدرها في بيروت الأستاذ محمد علي الحوماني وشحنها بروح جديد تهيب بالعلماء والزعماء

والأدباء أن يأخذوا مكانهم في المجتمع وأن يتحولوا به إلى مستوى الجمعيات المتقدمة. وكان يتوجه إليهم بنبرة حادة تشتد أحياناً وتخبو حيناً. وقد حملت العروبة طابع مرحلتها بكفاءة عالية ثم غابت. لتحاول سد فراغها وفراغ عصبة الأدب العاملي جماعة الأدب الجديد. وقد حمل لواءهم النقيب رياض طه في إطار ما أسماه «إخوان الأدب الجديد» وهم فتية من الأدباء الطالعين الناجحين منهم أحمد سويد موريس كامل وأديب مروة وخليل شقير وكامل العبد الله. وقد تولى إخوان الأدب إصدار مجلة العروبة بطلب من صاحبها الذي ارتحل إلى البلاد العربية. وبعد لأي انصرف رياض طه بكليته إلى الصحافة فخبت مجلة العروبة. بينما بقيت مجلة العرفان صامدة أمام الزعازع والأحداث وانفردت في هذا الميدان حتى طلع فجر جديد نسج خيوطه نور المجلس الثقافي للبنان الجنوبي ليملأ مكاناً شاغراً في ساحة النضال العاملي ويحتضن آمال الجنوب وآلامه فكرياً وأدبياً ووطنياً ويقف معه على كل مفترق سراجاً يلقي الأضواء على حاضره المظلم ويوقد على مفارقه مصابيح تهدي إلى غد مشرق.

ولا بد لي وأنا أستعرض الجمعيات الأدبية من أن أشير إلى نخبة من أدباء جبل عامل في أفريقيا الغربية أسسوا حركة أدبية أطلقوا عليها اسم «إخوان الأدب في أفريقيا» وكانوا يوافون العرفان والعروبة بأخبارهم ونتاج قرائحهم. وقد اتجهوا في الأربعينات الخمسة الثانية إلى مجلة المعهد بأخبارهم ومقالاتهم وقصائدهم وكانوا لها ظهيراً ونصيراً على مدى صدورها.

وأكثرهم جودة إنتاج شعراً ونثراً هم محمد يوسف مقلد وإبراهيم حاوي ونجيب صعب ويونس يونس وعبد المنعم فحص ويوسف أبو خليل.

جمعية البر والإحسان:

سنة ١٣٦٧ للهجرة الموافقة لسنته ١٩٤٨ للميلاد أسست جمعية البر والإحسان في صور مع نخبة من المؤمنين العاملين هم السادة:

الحاج حسن الرز - الشيخ عبد الحسين إبراهيم - الحاج محمد عقيل - خليل حديد - الحاج محمد عواضة - الحاج محمود بدوي - الحاج محمد علي خضرا - إسماعيل بديري - إبراهيم علي عودة.

ونتحدث في بيان الجمعية الصادر سنة ١٩٥٢ عن منجزاتها في سنواتها الأربع الأولى. وننقل منه ما يلي:

«وما عملها سوى نقل المساعدات من يد محسن إلى يد مستحق. فهي إذن صلة بين الناس. هذا موسر وهذا معسر. وحين تمتد اليد الموسرة إلى اليد المعسرة تتفتح أبواب السماء».

«قامت الجمعية بأعمال كانت حديثاً وتمنيات. ولكنها بمثابرتها جعلتها حقيقة قائمة في مدينة صور تقف أمامها فتراها:

١ - «سورا» يمتد سبعمائة متر ويعلو مترين راسخاً في الأرض متراً واحداً. وتدخل حين تدخل من أبواب متعددة واسعة في بناء جميل. إنه سور جبّانة المدينة.

٢ - قاعة بطول عشرين متراً وعرض تسعة أمتار. إنها النادي الحسيني.

٣ - قاعة ثانية بطول ثمانية أمتار وعرض ستة أمتار. إنها قاعة للصلاة على الجنائز وتقبّل التعازي».

٤ - مدارس في القرى النائية:

في مطلع سنة ١٩٥٩ أنشأت باسم جمعية البر والإحسان أربع عشرة مدرسة ابتدائية مجانية بموجب المرسوم رقم ١٢٩٣ بتاريخ أيار ١٩٥٩ وفيه ما يلي:

«أعطيت الإجازة المنصوص عليها في المرسوم رقم ٤٣٦ تاريخ ٢٣/٣/١٩٥٠ لجمعية البر والإحسان في صور بإدارة السيد جعفر شرف الدين وهي:

١ - الإعدادية الجعفرية في الشعيتية
٢ - الإعدادية الجعفرية في السماعية
٣ - الإعدادية الجعفرية في الرمادية
٤ - الإعدادية الجعفرية في جبال البطم
٥ - الإعدادية الجعفرية في عيتيت
٦ - الإعدادية الجعفرية في برج الشمالي
٧ - الإعدادية الجعفرية في العباسية
٨ - الإعدادية الجعفرية في طورا.
٩ - الإعدادية الجعفرية في باريش.
١٠ - الإعدادية الجعفرية في دبعال.
١١ - الإعدادية الجعفرية في مزرعة مشرف.
١٢ - الإعدادية الجعفرية في القنطرة.
١٣ - الإعدادية الجعفرية في تولين.
١٤ - الإعدادية الجعفرية في المجادل.

هذه القرى النائية التي لم تصل إليها السيارة إلا بعد سنة ١٩٦٠ كانت محرومة من كل ما تتمتع به البلدان الأخرى هي التي أنشأنا بها هذه المدارس. فكانت متنفساً لها وبيوت علم لناشئها.

وسنة ١٩٦٣ تركت قيادة هذه الجمعية لسماحة السيد موسى الصدر فأنشأ من بعد باسمها «مؤسسة جبل عامل المهنية».

جمعية رابطة إنعاش القرى:

سنة ١٩٦٣ أنشأت جمعية رابطة إنعاش القرى في الضاحية الجنوبية من بيروت ونقلت إجازات المدارس من عهدة جمعية البر والإحسان إلى عهدتها بموجب المرسوم رقم ١٣١٨٨ تاريخ ٢٨ حزيران ١٩٦٣ وفيه ما يلي:

بناء على الطلب المقدم من السيد جعفر شرف الدين رئيس جمعيتي البر والإحسان ورابطة إنعاش القرى تاريخ ٩/٦/ ١٩٦٣.

وبناء على اقتراح وزير التربية الوطنية يرسم ما يأتي:

نقلت إلى اسم جمعية رابطة إنعاش القرى إجازات المدارس الخاصة الابتدائية المرخص لجمعية البر والإحسان بفتحها بموجب المرسوم رقم ١٢٩٣ تاريخ ١٨/ ٥/ ١٩٥٩.

وكنت حين دخلت مجلس النواب قمت بدراسة الوضع التعليمي في دائرة صور فتبين لي أن فيها ما يزيد على أربعة عشر ألف فتى بين السادسة والحادية عشرة في دائرة صور عدا صور وجويا. وإن لكل هذه الآلاف واحداً وثلاثين معلماً فقط - عدا صور وجويا - وتقدمت بهذه الدراسة لوزراء التربية من سنة ١٩٦٠ حتى سنة ١٩٦٦ وكانت النتيجة والحمد لله أن أصبح في كل قرية ومزرعة مدرسة رسمية. وفي بعض المدارس عدد يوازي العدد الذي كان في كل دائرة صور: ففي جويا وقانا ومعركة والعباسية في كل من هذه البلدان عشرات من المعلمين. وقد نقلت بعد ذلك إجازات المدارس الأربع عشرة إلى حزام البؤس حول بيروت (الضاحية الجنوبية).

وكانت الطرقات الفرعية قد وصلت إلى القرى التي كانت هذه المدارس



• السيد، بين ولديه، السيد محمد جواد والسيد جعفر والسيد رضا الصدر رحمهم الله

1950

• السيد، يستقبل الميرزا عبدالله تشهل ستوني والسيد محمد خزانه في الجعفرية يواكبهم نجلاه السيد محمد جواد والسيد جعفر وصهره السيد جواد هاشم، رحمهم الله



السيد جعفر يستقبل الامام السيد موسى الصدر في مطار بيروت



الاخوان السيدان جعفر و عبد الله شرف الدين والعميد مصطفى ناصر



السيد جعفر في رحلته الافريقية مع المرحوم الحاج علي اسعد في دكار ويبدو معهما الأستاذ علي سلامي



السيد جعفر شرف الدين وسط الهيئة التعليمية في الثانوية الجعفرية في صور



[illegible] وسط عدد من المغتربين اللبنانيين في السنغال في حملة دعم لبناء الكلية الجعفرية

قائمة فيها وإلى كل القرى المحرومة من الطرقات. وبعد ذلك زال حرمان الكهرباء والماء عنها كلها أيضاً.

إثنتان وعشرون مدرسة:

ولجمعية رابطة إنعاش القرى اليوم إثنتان وعشرون مدرسة موزعة كما يلي:

١ ـ الإعدادية الجعفرية في عيترون.

٢ ـ إعدادية الزهراء في ساحل الصرفند.

٣ ـ إعدادية النهضة التربوية في الصرفند.

٤ ـ إعدادية الإخاء اللبناني في جبشيت.

٥ ـ إعدادية الجنوب في القليلة.

٦ ـ مدرسة الريف في صريفا.

٧ ـ الإعدادية النموذجية في أنصار.

٨ ـ الإعدادية الجعفرية في برعشيت.

٩ ـ الإعدادية الجعفرية في قصر نبا ـ البقاع.

١٠ ـ الإعدادية اللبنانية الحديثة في تعلبايا ـ البقاع.

١١ ـ الإعدادية الوطنية في سرعين التحتا ـ البقاع.

١٢ ـ إعداية الغدير في رياق ـ البقاع.

١٣ ـ مدرسة ابن خلدون ـ الشياح.

١٤ ـ مدرسة الطليعة الشياح.

١٥ ـ الإعدادية الحديثة ـ الشياح.

١٦ ـ التربية الاجتماعية ـ الشياح.

١٧ ـ العلمية الجديدة ـ الشياح.

شرف الدين ـ السيد حسين هاشم ـ الدكتور محمد بسما ـ الدكتور يوسف دهيني ـ الدكتور موسى شرف الدين.

في مجلس النواب:

سنة ١٩٦٠ ترشحت للانتخابات النيابية عن دائرة صور ذات الثلاثة مقاعد وكنت في اللقاءات الشعبية أتحدث باتجاه لم يطرق أسماع السواد الأعظم في دائرة صور. تحدثت مرة عن الحصانة النيابية فذهبت إلى أنها ضمير الشعب الذي يدلي به في صناديق الاقتراع. وهو نفسه الحصانة التي يتمتع بها النائب عن هذا الشعب فتعصمه لا عن الخطأ ولكن عن محاسبته على الخطأ. وذلك شرف لا يجوز أن يناط أو يجير إلا للأمناء على ضمير الشعب من ذوي المناعة ضد الانحراف فإذا انحرف فإنه يجدف بذلك على الثقة التي أولاه إياها الناخبون وعلى الحصانة التي أسبغوها عليه.

وحين فزت بهذه الثقة حافظت على أمانتها. وطلبت فور إعلان النتائج إلى الشباب الوطني المثقف في دائرة صور أن يؤلفوا لجنة تكون مستشاراً لي من جهة وعوناً من جهة ورقيبة علي من جهة ثالثة. تقرر المواضيع التي أطرحها أو أخوض فيها. وهكذا لم أحتكر النيابة بل أشركت فيها معي الطليعة الموثوق بها ممثلة للذين انتخبوني وللذين لم ينتخبوني. وفي المجلس طرحت ما تيسر من القضايا الشعبية اجتماعية وثقافية وعمالية وسكنية. وعارضت ما تسنى لي كثيراً من المشاريع البعيدة عن الناس. وتقدمت من الحكومات المتعاقبة بأسئلة واستجوابات هي من صميم مصلحة الوطن والمواطنين على مدى ثلاث دورات ابتدأت سنة ١٩٦٠ وانتهت سنة ١٩٧٢.

قال وزير المالية وهو يقدم الموازنة لمجلس النواب عام ١٩٦١ وكان حينذاك الشيخ موريس الجميل. قال: إنها موازنة غير موزونة وأعدكم أن تكون موازنة العام القادم موزونة. وحين وصل دوري في المناقشة عقدته على موضوع لن تكون الموازنة موزونة في ظل هذا النظام المتخلف الذي تغذي في ظله موازنة الدولة الضرائب غير المباشرة لأن ذلك يعني أن الموظفين وصغار التجار والحرفيين والسواد الأعظم هم الذين يغذون الخزينة لأن الضرائب غير المباشرة

نطالهم هم. ويعني أيضاً أن أصحاب رؤوس الأموال من كبار التجار والصناعيين لا يشاركون في تغذية هذه الخزينة لأنهم مصدر الضرائب المباشرة التي لا تدفع مع أنها هي مصدر الموازنات في الدول الراقية أما عندنا فإن الضرائب المباشرة يهربها أصحابها في ظل هذا النظام ويعضون عليه بالنواجذ لأنهم والحالة هذه هم الحاكمون فعلاً. أما الجالسون على أرائك الحكم فإنهم سماسرة لهم وممثلون حقيقيون لهذه الطبقة.

وقلت مرة بين صخب الزملاء واحتجاجهم على الغض من هيبة السلطة المتمثل بإطلاق النار على دورية من قوى الأمن من قبل المهربين. قلت إن لي رأياً يخالف آراء الزملاء. ذلك أن المهربين لم يدفعوا «المعلوم» فطاردهم قوى الأمن. وإلا فما هو تأويل هذه المظاهرة الجارية على أرصفة الشوارع الرئيسية بأكوام لا تحصى من صناديق التبغ تحت سمع قوى الأمن وبصرهم. تأويل ذلك أنهم محميون. إن رؤوساً كبيرة تحت قبة هذا البرلمان وخارجه تحمي المهربين للتبغ والمخدرات والرقيق الأبيض والأسود.

وتقدمت مرة بسؤال من الحكومة حول أمر خطير حدث في لبنان ولم يطلع عليه رئيس الحكومة ولا رئيس الجمهورية أيضاً. وقد أطلعني عليه سفير الإتحاد السوفياتي السيد عظيموف سنة ١٩٦٩ وهو دخول سبعة جنرالات أمريكين خبراء بالانقلابات العسكرية. وقد أقام هذا السؤال الحكم والحكومة بعد أن نشرته الصحف اللبنانية وأذاعته المحطات السورية والعراقية والمصرية. وعبثاً حاولوا معرفة مصدر اطلاعي على الخبر.

وبكلمة: كنت داخل المجلس كما كنت خارجه ولا أزال أغترف من طموحات الناس ومعاناتهم وأعيش آمالهم وآلامهم وأترجم تطلعاتهم. وحين انطلقت منظمة التحرير سنة ١٩٦٣ كنت في جوّها قولاً وممارسة. وحين انطلق العمل الفدائي سنة ١٩٦٧ كنت مع المترقبين لفتحها المبين. ومارست ما أطيق ممارسته في شد أزرها حتى أنني كنت مراقباً في تحركاتي مضروباً على يدي في الدوائر الرسمية من قبل الأشباح الأقوياء. وفي سنة ١٩٦٩ فتشت سيارتي وحجزت رغم الحصانة النيابية وصودر ما كان فيها.

واستمرت في قاعدتها الشعبية وعشت معها أحداث السبعينات في بطولتها والوداع والهجوم السياسي والعسكري، ثم في بطولتها في الممارسات والتجاوزات وسرف القضية المقدسة تكتيكاً واستراتيجية حتى انحسر البحر الذي لا يعيش السمك إلا في مده. وتقلصت القاعدة التي لا يمكن أن ينطلق العمل إلا في امتدادها.

المؤلفات والكتابات:

١ ـ «أدب الطف» دراسة في خلفيات ومضاعفات (مأساة كربلاء) وأثرها في الفكر الشيعي والثورات الإسلامية عصراً بعد عصر وأثر المنبر الحسيني في إذكاء جذوتها وحداء مسيرتها. بحث كتبته سنة ١٩٤٢ برسم معهد الآداب الشرقية.

٢ ـ من هنا نبدأ ـ جبل عامل من لبنان ـ إني أتهم: سلسلة كتيبات أصدرتها سنة ١٩٦٠ـ١٩٦١ الأولى دعوت بها الدولة إلى اعتماد منهج وطني سليم وأخذ مبادرة التربية والتعليم من المدارس الأجنبية وتوحيد الكتاب المدرسي وفرض منهاج الدولة على جميع المدارس غير الرسمية.

والثانية بسطت فيها إهمال جميع العهود لجبل عامل بما فيها العهد الاستقلالي وأهبت بها أن تواسيه بلبنان لأنه من لبنان.

والثالثة وضعت بها أدلة اتهام الدولة بعدم اتخاذ سياسة وطنية تشعر المواطنين بأن لبنان وطن نهائي لجميع اللبنانيين.

٣ ـ حرب رمضان حرب الغفران:

كتاب أصدرته سنة ١٩٧٣ وجاء في مقدمته: «وهكذا انتصر العرب على دواتهم فاجتازوا قناتها قبل أن يجتازوا قناة السويس. ودكوا حصن تمزقهم قبل أن يدكوا حصن بارليف. وعندئذ استجابت السماء لصدق النية وشرف القضية. واستجابت الأرض لوحدة الإرادة وخطة القيادة. وأعطت الحليفة الكبرى الضوء الأخضر من القصر الأحمر فترقصت على نوره مدرعات الصحراء والهواء ومتطورات الأرض والأجواء».

وحين أذنت ساعة الصفر تقوقع الساحر على السحر. فإذا بالكيان الذي لا يخرق هيكل من خشب. وإذا بالمدرعات حطام من قصب. وإذا الطيارون والطائرات يتساقطون عصافير ويلتهبون فراشات.

وإذا بالجيش الذي لا يحرق ولا يغرق. غرق في القناة وحرق في (بارليف) ودفن في مرتفعات الجولان يوم سبت الغفران. وإذا بليلة قدر الصائمين هي ليلة كل يوم من رمضان.

٤ ـ جذور الثورة الإسلامية:

أصدرت في مطلع سنة ١٩٨٢ طبعته الثالثة. وكان صدر في طبعته الأولى في مطلع سنة ١٩٧٩ ضمن كتاب (الخميني أقواله وأفعاله) وصدر في طبعته الثانية في الشهر الثامن من سنة ١٩٧٩.

جاء في الصفحة ٩٩ من الطبعة الثالثة: «وبذلك انتشلت الثورة الإسلامية في إيران الإسلام من هذه الغرب التي لفه بها الشاه وعصابته. لقد ارتدت الروح الإسلامية إلى جسم الإسلام. بل ارتدت أرواح الشهداء والصديقين والصالحين الذين استشهدوا في القرون الثلاثة عشر السابقة.

فهذا سيف ابن ملجم يرفع عن رأس الإمام ليرتد إلى أعناق القاسطين والمارقين. وهذا السم الذي دسه معاوية للحسن بن علي تشربه الصهيونية كأساً دهاقاً. وهذا رأس الحسين يعود من دمشق إلى جسده في كربلاء. وهذا موسى بن جعفر يخرج من سجن الرشيد ببغداد.

ها هم جميعاً في جنات البقيع والنجف وكربلاء والكاظمية وسامراء وطوس ينفضون التراب عن أكفانهم ليدلوا بأصواتهم في الاستفتاء على الجمهورية الإسلامية إلى جنب شهداء جنة الزهراء في طهران وسائر الجنات في إيران ودنيا الإسلام».

وفي صفحة ١٠٥ نداء إلى آية الله الخميني جاء فيه:

«من الجنوب أناديك. اتسمعني، إنني أناديك. من فم التنّين أناديك. وأنت قاهر أشرس تنّين.

من غاضرية جبل عامل أتوجه إليك. وأنت بطل غاضرية إيران. من تل الزينبية في الجنوب أناديك. وأنت وليّ الزينبات المقاتلات في شوارع طهران. السائحات النائحات هنا في الجنوب وفي لبنان. وفي كل مكان تهدر فيه إنسانية الإنسان.

من الخندق المشترك بين الجنوبي المحروم على أرضه وبين الفلسطيني المحروم من أرضه أناديك. لأن وطنك كل بقعة تتطلع إلى منقذ وجندك كل شعب يبحث عن قائد. وشيعتك كل المسلمين الملتزمين. وكل الوطنيين الصادقين. وكل الشرفاء المقهورين».

٥ ـ معجم أدباء المعهد:

كتاب يترجم للأدباء الذين شاركوا في مسيرة مجلة المعهد شعراً ونثراً. ويعالج ما نشروه والمرحلة التي أدت فيها مجلة المعهد دورها. أعد هذا الكتاب بالاشتراك مع السيد حسين شرف الدين.

٦ ـ تحت قبة البرلمان:

بين يدي مشروع كتاب بهذا الاسم استخرجه من مجلدات محاضر مجلس النواب من سنة ١٩٦٠ حتى سنة ١٩٧٢ وهو عبارة عما طرحته في المجلس من مشاريع وأدليت به من آراء وتوجهت به إلى الحكومة من سؤال واستجواب وما نشرته الصحف من تصريحات. وقد أصدرت فصلاً منه في كتاب بعنوان (صوت صور) في انتخابات ١٩٦٨.

٧ ـ لبنان في حكامه وممثليه بين ١٨٦٠-١٩٨٠:

كتاب قيد الإعداد يستعرض تاريخ لبنان من سنة ١٨٦٠ حتى سنة ١٩٨٠ وما تعاقب عليه من حكام ورؤساء وحكومات ومجالس إدارية وتمثيلية ونيابية.

٨ ـ دائرة معارف التراث:

وهو موسوعة إسلامية تحتضن معجم التراث الإسلامي مبنياً على معارف القرآن والسنة والمأثور واللغة والعلم والأدب والتاريخ والفن. وعلى عمالقة

التراث الذين أغنوه فكراً وحضارة. وقد جعلته أربع حلقات، كل حلقة في عدة مجلدات. الحلقة الأولى: خصائص القرآن. الحلقة الثانية: حضارة الإسلام. الحلقة الثالثة: علوم أهل البيت. الحلقة الرابعة: معارف اللغة.

وقد خضت هذا العباب منذ ثلاث سنوات. ولا أزال أعالج تياراته وأغوص على كنوزه بسهر وجلد عسى أن يوفقني الله إلى إخراجه خلال سنتين إذا قدر له أن يرى النور.

ولي كتابات متناثرة في الصحف ابتدأتها في العرفان سنة ١٩٤٢ وكثفتها في مجلة المعهد وتابعتها في مجلة العروبة بمرحلتها الثانية على عهد «إخوان الأدب الجديد» وكنت سكرتير تحرير مجلة (الألواح) التي أصدرها المغفور له أخي السيد صدر الدين في بيروت سنة ١٩٥١.

أختتم حديثي كما بدأته بتحيتكم أيها السيدات والسادة شاكراً للمجلس الثقافي ولكم هذا اللقاء الكريم به وبكم وبالذكريات العاملية التي تربط حاضرنا بماضينا وتشدنا إلى تاريخ حافل بالعطاء.



المصادر والمراجع

أسرة شرف الدين:

١ ـ كتاب «آل شرف الدين في عصورهم ومعاصريهم» للسيد عبد الحسين شرف الدين. (قيد الطبع).

٢ ـ أحداث سنة ١٩٢٠ «صفحات من حياتي» للسيد عبد الحسين شرف الدين (قيد الطبع).

٣ ـ «تاريخ الشيعة» للشيخ محمد حسين المظفر «دار الزهراء» بيروت.

٤ ـ «تاريخ جبل عامل» للأستاذ محمد جابر «دار النهار».

٥ ـ «الإمام شرف الدين قائد علم وفكر ونضال» للشيخ عبد الحميد الحر «دار الصادق» بيروت.

٦ ـ «حياة الإمام شرف الدين» للشيخ أحمد القبيسي. «دار التوحيد الإسلامي» بيروت.

٧ ـ «الفكر الديني والسياسي لدى السيد عبد الحسين شرف الدين». للدكتور هادي فضل الله.

٨ ـ مجلة العروبة العدد ٢٠ السنة الأولى للأستاذ محمد علي الحوماني.

٩ ـ «من يسمع» للأستاذ محمد علي الحوماني.

١٠ ـ مقابلات قديمة مع الشيخ علي مهدي شمس الدين والشيخ أحمد مروة والسيد علي شرف الدين. والشيخ أحمد فنيش والشيخ أحمد حدرج بين سنة ١٩٣٠ـ١٩٥٠.

١١ ـ مقابلات حديثة مع السيد محمد باقر الأمين والسيد عبد الحسن الأمين في نيسان ١٩٨٣.

معارك جبل عامل:

١ ـ جبل عامل في عهد الإمارتين ١٥١٦ـ١٨٤٢ للعقيد ياسين سويد (المجلس الثقافي لبناني الجنوبي).

٢ ـ تاريخ جبل عامل للأستاذ محمد جابر.

مدارس جبل عامل:

١ ـ خطط جبل عامل للسيد محسن الأمين.

٢ ـ تاريخ جبل عامل للأستاذ محمد جابر.

الحركة الأدبية في جبل عامل:

١ ـ الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل للدكتور السيد محمد كاظم مكي «دار الأندلس» بيروت.

٢ ـ معالم الأدب العاملي للدكتور عبد المجيد الحر «دار الآفاق الجديدة» بيروت.

حفل دار الندوة

١٩٩٣/٣/٨

٣ رمضان ١٤١٣



قهر الجهل

السيد حسين هاشم

أي حرف ينتخي فيه الكلام … وعلى ريشته يزهو ابتسام
يلج الباب إلى سيده … أزهر الوجه يحييه احتشام
وعلى استحيائه يخطو وفي … نفسه الهيبة يوحيها المقام
فإذا طالعه من «جعفر» … بسمة وادعة فيها السلام
قدم التكريم في يوبيله … ذهبياً صيغ فيه الاحترام
فالجهاد المر في خمسينه … حققت فيه أمانيه العظام
قهر الجهل وأدى للعلى … قسطها علماً لأجيال تسام
كرموه بوسام ضابط … والكريم الكفء يهنيه الكرام
في العطا تاريخه أمجاده … «جعفر» في صدره اعتز الوسام
٥٤ … ٣٥٣ ٩٠ ٢٩٩ ٤٧٨ ١٣٨

٣ رمضان ١٤١٢ هـ

٨ آذار ١٩٩٢م



التقديم

بتكريمنا اليوم للمربي الكبير السيد جعفر شرف الدين المعلم والإنسان، إنما نكرم وطناً، فهو معلم أجيال لما يزيد عن نصف قرن. أعطى من قلبه زاداً ومن روحه سراجاً، وعبد دروبنا بالأخلاق الوطنية، فكان بذلك القدوة والنموذج.

نكرم بالسيد جعفر الجنوب الصامد، المقاوم للاحتلال عبر مقاومته الوطنية والإسلامية، حيث تسجل على أرضه أروع الملاحم البطولية، التي استنهضت الهمم وأكدت أن العدو لا يفهم إلا بلغة المقاومة، وتكرم فيه الثقافة... الثقافة الوطنية الواعية والسليمة التي تقوم على المعرفة والعمل، تلك الثقافة التي جسّدها بشخصه كما الرسل والأولياء، من أجل إحقاق الحق والخير والجمال. وهو بذلك جسّد دور المثقفين الذين يعملون على استنهاض الهمم من أجل الوصول بهم نحو السلم والعدالة الاجتماعية.

أيها السادة: الكلمة الآن لدار الندوة مع الأستاذ منح الصلح.

يعلم كيف يكون الوطن

كلمة الأستاذ منح الصلح

صاحب السعادة

أيها الأساتذة المربون

أيها الحفل الكريم

قد تلتمع في مسالك الحياة الأسماء الكثيرة وتشهد الأرض ولادة النجوم كما في السماء، ولكن يبقى على التاريخ مع ذلك أن ينتظر بصبر طويل اكتمال رمز في شخص رائد أو نهضوي مكافح مترفع أو مربٍّ جديد.

والسيد جعفر شرف الدين الذي نحتفل بتكريمه في عيد المعلم هو واحد من الرموز، ورث عن والده العلامة المرجع السيد عبدالحسين شرف الدين إلى جانب مواهب الأدب. . العمل العام الدؤوب المبارك بالثقافة العربية والإسلامية، والتمسك بجمرة الإيمان بجذوتها، برسالتهما التي لا تنطفىء.

نظر في مطلع شبابه إلى التربية والسياسة على أنهما صيغتان لنفس الخدمة ولهدف واحد، ولطالما كان افتراض هذين المجالين إمارة غيره عليهما معاً.

فالحرارة التي استقبلت بها مدينة صور الفلسطينيين النازحين عام ١٩٤٨ من أرضهم بجهد من السيد جعفر وأبناء المدينة واحتضانهم في المساكن والبيوت والمستشفيات، كان صورة باهرة ومتقدمة من صور الأخوة والحدس التاريخي بما سيواجه هذه الأمة على المستوى العسكري والتحدي الحضاري. وسواءً في

التعليم أو في المجلس النيابي كان السيد جعفر هو هو على الدوام وحياته البرلمانية هي امتداد للروح التي التزم بها.

إن القطاع التعليمي في لبنان، كان ولا يزال من أهم القطاعات الوطنية للأفراد الرموز، سواء على مستوى المدن أو في البلدان والقرى، حيث المعادن الإنسانية النبيلة لهذه الرموز تشع لتفتح طريق الحياة الحقة أمام العيون... الرموز حيث كانت أجيال في أشخاص، وقضايا في سياق، وينابيع في أرض العطش الأزلي، عطش الإنسان والأوطان إلى القوة والمعرفة والعدل وإبداع الروح.

قبل أن يكون في لبنان تعليم رسمي أو مدرسة حكومية، كانت روح النهضة عند صفوة من المربين هي كل شيء في تلك الفترة. وقد كانت مرحلة آمال عريضة لشعبنا وأمتنا، حينها تعرفت إلى المجاهد التربوي السيد جعفر شرف الدين وبالمدرسة الجعفرية.

كنت لا أزال طالباً جامعياً عندما شدتني روابط الثقافة الروحية التعليمية إلى تلك المنارة في صور، فكان لا ينقضي فصل دراسي دون أن أزور الجعفرية بدعوة من إدارتها أو معلميها أو تلامذتها، مساهمة في نشاط من نشاطاتها أو لمجرد التواصل واللقاء.

وإني إذ أستذكر تلك الأيام العاملية، بعطاءات القلب والعقل تراني مسبوقاً إلى القول أن التربية الوطنية، إن كانت من فائدة للجعفرية فهي الحث على هذه التجربة، فلو كانت المدارس منتشرة في لبنان لقلة المحن التي مررنا بها ومر بها وطننا.

إنني أقول، إن تلك التربية، وذلك الوعي لو كانا مشتعلين في غير لبنان من الدول العربية، لما كانت أمورنا اليوم كما هي، ففي الجعفرية كان الجيل يتعلم على يد السيد جعفر وإخوانه كيف يكون الوطن، كيف يجب عليه أن يكون عليه دون تناقض وفي آن معاً وطنياً وعربياً تاماً.

إنها صفحة مشرقة ليس لفرد وإنما لتاريخ وطن، وقد مضى على وجود السيد جعفر بالتربية والتعليم خمسين عاماً، كان خلالها الرمز التربوي والوطني،

فمن حقه علينا ومن حقه على الدولة التي يمثلها بيننا وزير التربية الأستاذ بطرس حرب، أن يحاط بكل ما يحاط به أمثاله من الرموز من التكريم.

وإننا نشكر سلفاً الرئيس الهراوي والحكومة، وبالأخص وزير التربية على اهتمامهم بتكريم المعلم من خلال السيد جعفر وسواه من العاملين المجاهدين بالحقل التربوي، وهدفنا الدائم أن تكون قضية التعليم والمعلم حاضرة الاستمرار في أذهاننا جميعاً، لتبقى تلك البقعة المميزة من أرض العرب.

وشكراً.

في الجعفرية تشكلت حركة الاعتراض

العلامة السيد محمد حسن الأمين

كلمة جبل عامل

أيها الإخوة الأعزاء..

حسناً فعلت دار الندوة باختيارها هذا المكان الحميم، الذي يضم إلى جناحيه هذا اللفيف من الأدب والفكر والعطاء.

حسناً فعلت، أن اختارت السيد جعفر شرف الدين.. معلم جبل عامل الأول. أن اختارت له هذه الأمسية الرمضانية. فأنا أشعر أن هذا الزمان الرمضاني له شأن أساسي في العناصر التي يتشكل منها الحدث الذي نحتفل به في هذه اللحظات.

فالسيد جعفر، لا يمكن استحضاره، إلا لكي نستحضر الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين.. وصرح الجعفرية.. فهذا الثلاثي يشكل شخوص المسرح، الذي نتكلم عليه الآن، ولا بد أن يكون عنصر الزمان مقدساً لهذا الوجود الذي قامت عليه الجعفرية، وقام عليه زمن الجعفرية.

ينتمي إلى هذه الأمسية الرمضانية أيضاً الجهاد، ولكن أي جهاد، ذلك الذي ينتمي إلى قيم شهر رمضان.

إن الجهاد الصامت الذي بدون ضجيج، ذلك الذي يستدعي هذا النمط والحد من الصراع العميق الذي ينتصر فيه الإنسان على الذات ومن ثم، أي عندما

يتحقق الانتصار على الذات يبدأ الجهاد الآخر مستنداً إلى قاعدة قوية وإلى ثقة بمن ينطلق بهذا الجهاد وبالمسار الذي تأخذه حركة الجهاد حينئذ.

وأروع تجلياته في يوم المعلم هو أنه «السيد جعفر» أقام هذا الصرح العاملي المعطاء الذي اسمه الجعفرية.

والكلام على الجعفرية ليس كلاماً على مبنى من هذه المباني المدرسية المتعددة سواء في جبل عامل أو على امتداد لبنان كله. إن الكلام على الجعفرية هو كلام على الزمان، وكلام على المفاصل التاريخية التي شكلت منعطفاً ثقافياً وفكرياً على امتداد المدى العربي، يوم كان هذا المدى كله يسقط تحت إرادة التجزئة الاستعمارية، خصوصاً بعد سقوط الخلافة العثمانية حيث كانت الهجمة الاستعمارية، الهجمة الغربية على المنطقة العربية تأخذ أخطر الأشكال وأكثرها شراسة. وكان سلاح الفكر وسلاح الثقافة وسلاح التاريخ الأكثر فتكاً في جسد هذه الأمة.

ولكن أمتنا التي لم تكف عن إنجاب الأبطال، أبطال الثقافة والمعرفة والجهاد، عنيت منهم الإمام عبدالحسين شرف الدين الذي كان لا بد أن يقف في المواجهة وأن يقاتل على أكثر من جهة وفي أكثر من اتجاه وأكثر من عدو، ما بين تاريخ وتراث أريد لها أن يكونا من حكايا الماضي، وبين مستقبل لا بد أن نقيمه على أساس هذا التراث فكانت الجعفرية تشكل الحلقة الأساسية في هذا المجال.

على أن لبنان في الجغرافيا، لبنان الذي أرادوه لنا، لا يشكل أبداً جوهر تاريخ هذا البلد، فكانت الجعفرية محاولة وصرحاً من أجل أن يتواصل تاريخ لبنان، وأن تتواصل ثقافة لبنان وأن يتواصل مفهوم التربية.

إن هذه المسؤولية يتذكرها منكم من عاش في الثلاثينات والأربعينات والخمسينات من هذا القرن، ذلك أن الجعفرية لم تكن فحسب مكاناً من أجل أن يذهب أبناؤنا من كل هذا المدى الجنوبي من أجل أن يتعلموا الحرف، فإنها كانت أعمق من ذلك بكثير.

تشكلت على قاعدة الجعفرية وفي مناخها وبين طلابها وأساتذتها، حركة

الاعتراض التي كانت صرحاً من الصروح التي بدأها الإمام شرف الدين والتي صنعها أمام عينيه السيد جعفر.

وأبو محمد جزء لا يتجزأ من التاريخ العاملي، أكثر من ذلك.. بل من تاريخ المنطقة العربية التي كانت تنهل من التاريخ الذي نشأ فيه أبو محمد، ومن هنا جاء يوم تكريمه ليصبح رمزاً من رموز التربية.. ولتكريم الأمة وتكريم لبنان العربي الذي هو جزء من هذه المنطقة... لبنان المقاوم.. لبنان الذي يقاتل العدو نيابة عن كل هذا المدى العربي.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



احتفاؤنا برمز التنوير

الدكتور عصام خليفة

كلمة مدينة جبيل

أيها المحتفى به رمزاً في سبيل تنوير العلم

أصحاب الدولة

أصحاب السماحة

أيها الحفل الكريم

تقول القاعدة أنه يجب إشباع جوع أجسادنا ليتسنى لنا إشباع جوع عقولنا.

أما عند الأمم الحية، فإذا جوعت الظروف أجسام شعوبها رفعت التحدي وانكبت على إشباع عقولها، لتعود وتشبع أجسامها من جديد.

هذا واقعنا في لبنان، وهذا قدرنا، فبينما تتوالى علينا المآسي التي بحجم الوجود نرفع التحدي ونهتم بالمعرفة، ونكرم الساهرين على صحتها، ونعقد المؤتمرات التي تقوم بتشريح التربية والعلم ومستواهما، ونشكل التنظيمات الداعمة للتعليم الرسمي، الركن الأساسي لبناء مجتمع صالح ومتين يسعى لإنشاء وطن قوي متين لمواجهة الصعاب والانتصار عليها أياً تكن. وليس مخيماً صيفياً يطير عند أول عاصفة تستهدفه.

نعيش وسط طوائف مختلفة ومن أثنيات مختلفة، يجمعها وعي عظيم ووحدة المصير الإنساني، أي إذا جاز لنا باختصار فإن لبنان يجب أن يكون وعلى كافة المستويات وطن الاعتراف بالآخر كما هو يحدد نفسه.

فالانتماء إلى لبنان هو فن من أصعب الفنون وأدقها، إذ يتناول كل ما في الإنسان من تواريخ وتيارات. يسعى إلى غربلة السيء منها والإبقاء على كل ماهر جميل، عندها فقط نصبح جماعة واحدة، متناغمة صالحة لأن تكون نموذجاً لنظام عالمي طالما تاق له الإنسان في عمق مكنوناته. وليس النظام الجديد الذي يتكلمون عليه الآن، أولئك المجرمون مع مقولاتهم الكاذبة القائمة على التبعية والتشرذم والانحطاط. . . لبنان الحرية والنهضة، والعلاقة جدلية بين المفهومين، فإذا شئنا لبنان الأول أكملنا التربية والتعليم كما هي عليه الآن فيزرع عندها أجيال من المماليك ألسنتها مربوطة بالخارج. ولولا الزخم الضخم الآتي لنا من الذاكرة القومية الاجتماعية الجماعية والصراع المستميت لبعض النخبة في سبيل خيرنا وحقنا وجمالنا العام لأصبحت كل شعوبنا الآن قطعاناً من المماليك يقودها راعيها حيث يشاء. أما إذا شئنا لبنان الثاني، لانكببنا على التربية والتعليم فيه لإنشاء جيل من الأحرار والمقاومين يستطيعون خدمة الجماعة فيه وقيادتها نحو الخلود.

وبما أن العلاقة جدلية بين التيارين، وبما أنه مستحيل أن يشرف جيل من المماليك على تربية جيل من الأحرار، فالواجب القومي يفرض على أحرار اليوم القيام بمسؤولياتهم القومية بكافة الوسائل التي يمنحها الحق الطبيعي العام، وأي تلكوء في هذا المضمار يعتبر جريمة في حق الجماعة.

أيها السادة. .

يجسد المعلم في وجوده وفي ماهيته أسطورة طائر الفينيق المتجدد دوماً والمنبعث من رماده منذ الأزل. إنه العروة الوثقى فيما بين المعرفة أم الوجود، وبين الإنسان منتجها ومستلهمها ومطورها.

يا معلم قال التلاميذ للمسيح، إنه لقب وصف به الإله المتجسد، إنه لقب الألقاب عليه أن يستحقه من أراد الدخول في هذا الباب الضيق، باب اكتشاف المعرفة وتعليمها. وعيد المعلم في لبنان يعني لنا المعرفة، والمعرفة في لبنان تعني المجتمع، والمجتمع يعني القوة. . الكلمة والحكمة القادرة على توظيف القوة لخير المجتمع.

وتكريم السيد جعفر شرف الدين يندرج حكماً في هذا السياق لكونه أحد بناة هذه السلسلة الصالحة، ولكونه أحد المشاركين الكبار في إعلاء شأن وطننا بخبرته التعليمية ومن خلال مشاركته وتأسيسه الرائد والسهر على المدرسة الجعفرية وإشرافه عليها حتى الآن.

ويرتدي كلامنا نحن أهل جبيل بعداً آخر، يذهب بعيداً في الزمن.

فالحرف والكتاب والكلمة والمدرسة هم شؤون لنا فيها نحن وأهل صور شؤون وشجون. ولقد حملنا همومها قروناً طويلة تشاركنا خلالها، وتناوبنا على تطوير المعرفة على قاعدة صلبة وصدرناها إلى العالم ليبني عليها حضارته وعظمته.

فيا أيها المصارع الآتي من صور العظيمة لمدينتك المجد والاحترام وتقدير مواطنيك، أبطال مقاومة الشر الكبير الآتي إلينا في هذا الزمن المر.



بالعلم نكتب الحياة

الأستاذ بطرس حرب

وزير التربية

أصحاب المعالي

أيها الحفل الكريم

يطيب لي ونحن نحتفل بمناسبة عيد المعلم، أن يكون من نحتفل اليوم به، وفي وجوده رمزاً نقدره لمعلمي لبنان. فهو وإن بلغ مراتب عليا، اجتماعية وسياسية، وإن توج نضاله السياسي لدورات ثلاث في المجلس النيابي، فهو بالوقت عينه مثقف للأجيال اللبنانية.

يطيب لي بالمناسبة أن أؤكد على أهمية هؤلاء الرجال الذين أدركوا منذ البدء، أنه إذا كان من حياة ستكتب للبنان ولشعب لبنان. . . إذا كان من مستقبلٍ لهذا الشعب يطمح إليه ويفتخر به، فهو مستقبل لا يمكن أن يبلغه إلا من خلال المعرفة والعلم والثقافة.

وإذا كتب لهذا الشعب أن يستمر في الحياة، وأن يناضل في وجه كل الصعاب التي واجهها خصوصاً في تلك البقعة العزيزة على قلبنا ـ أعني بها الجنوب ـ كتب لهذا الشعب أن يناضل، أن ينجح وأن يستمر، إنما بمعرفته وعلمه وتربيته وتوجهاته الوطنية، إلا أنه وللأسف الكبير لم يكتب لهذا العالم العربي أن يسجل انتصاراً، لأننا كعرب أخطأنا في تقدير ميدان المعركة، بالرغم من

التضحيات الكبيرة التي قدمتها الشعوب العربية، وبالرغم من التضحيات البطولية التي قدمها اللبنانيون، وخاصة شعب الجنوب المناضل.

ورغم ذلك لم يدرك جميع العرب أن المعركة الحقيقية مع إسرائيل ليست عبر المدفع والطيارة، إن المعركة الحقيقية التي يمكن للعرب أن يكتبوا انتصاراً فيها، هي معركة الثقافة والتكنولوجيا.

إن من نحتفل به اليوم أدرك هذه الحقيقة، وكما قلت بالرغم من تبوئه مركزاً سياسياً هاماً، لم يترك يوماً مسؤولياته التربوية والتعليمية، لأنه أدرك تماماً أنه بمقدار ما يبلغ شعبنا درجات من المعرفة والعلم بمقدار ما يكتب له الانتصار، وما كان أحوجنا في تلك الأيام التي دفع فيها شعبنا دفعاً نحو الجهل والاقتتال إلى أمثال السيد جعفر شرف الدين.

إن السيد جعفر من الذين آمنوا أن في المعرفة بلوغاً للحقيقة وأن العلم طريقنا نحو النجاح، وإلى تسجيل الانتصار... وهؤلاء هم القادرون في لبنان على توعية الشعب وتحصينه ضد المؤامرات التي تحاول أن تدخل صفوفه لتفرق فيما بيننا.

نحن اليوم إذ نكرم السيد جعفر شرف الدين، الذي وضع خمسين إكليلاً من الغار على رأسه... خمسين عاماً لتربية الأجيال، إنما نكرم من وعى الحقيقة... الحقيقة في كيفية الانتصار وعبره نكرم أبناء الجنوب الصامدين الواعين لحقيقة المعركة.

إننا بتكريمنا ندعو السيد جعفر - وإن قال عنا - ندعوه إلى الاستمرار في البناء، في توعية الناس وتثقيفهم وتربيتهم التربية الوطنية الصالحة، التي لا يمكن للبنان أن يبنى إلا على أساسها.

إنني باسم فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية أقلّد النائب والمربي المسؤول التربوي السيد جعفر شرف الدين وسام الأرز الوطني، وذلك تقديراً لخدماته التربوية والوطنية الكبيرة.

جذره أصالة وعنفوان

الأستاذ حبيب صادق

أمين عام المجلس الثقافي للبنان الجنوبي

مثلي، ما تراه يقول في مثله، ماذا يسع الأخ أن يقول في أخيه يوم تقويم حرفه والحصاد.

الشهادة هنا مهما حاولت الإفلات من جاذبية الذات، فلا مندوحة من وقوعها في حبال التجريح. ولا جناح على أحد، فنحن الاثنين ننحدر معاً من توأمين.. من جذرين توأمين، ونحن الاثنين معاً ننتسب معاً، انتساب وراثة وانتساب اختيار إلى موقع في الجغرافيا والتاريخ له سيماؤه الخاص في النسيج العام الإسلامي والعربي. هذا الموقع عرف تاريخياً باسم جبل عامل رمزاً للأصالة والعنفوان قبل أن يطلق عليه اسم جنوب لبنان غداة قيام لبنان الكبير في سياق تنفيذ القرار الاستعماري الخاص بتقسيم المشرق العربي.

ولدت يقول السيد الشقيق، ولدت في أتون المحنة الكبرى التي اجتاحت جبل عامل عام ١٩٢٠ في غير بيت أبي، لأن الفرنسيين حين أحكموا الحصار على شحور مسقط رأسي، فلم يجدوا أبي هناك، فاعتقلوا شباب عائلتنا وآخرين غيرهم، وأحرقوا بيتنا في شحور وأباحوا بيتنا في صور بالسلب والنهب، فأتت عليه بكامل محتوياته، وفيه تلك المكتبة الإسلامية الكبرى.

ويعلق: هذا هو شأن الغزاة في التاريخ سواء كانوا من الأتراك في ثوب الجزار أم كانوا فرنسيين أو صهاينة، ما أشبه ليلة الجنوب بالبارحة.

ولد السيد جعفر شرف الدين في خضم الاجتياح الفرنسي لجبل عامل، كما أخبرنا.

ولادته الفردية تلك جاءت مترافقة مع ولادة جماعية لفعل داخلي، نقيض لذاك الاجتياح الإسرائيلي، تمثل هذا الفعل تجسد هذا الفعل في ممارستين وطنيتين رائدتين، الأولى في انفجار شعبي واسع النطاق عمّ أنحاء جبل عامل، والثاني في انعقاد مؤتمر عام بقيادة النخب الدينية، حيث راية القول فيه للإمام السيد عبدالحسين شرف الدين، فجاء قوله في الجمع الحاشد شعاراً لمرحلة تاريخية فاصلة، وجاء منهجاً للعمل حكيماً ونذيراً للتعبئة العامة.

نحن هنا، حسبنا اليوم أن نصغي إليه في مقطع قصير لنقف على تلك الرؤية النفّاذة المستقبلية التي صدر عنها، متجلية في شجاعة موقف وبعد نظر وسداد رأي، لنستمع إليه يخاطبنا من شرفة ذلك العام السحيق ١٩٢٠ قائلاً:

فوتوا الفرصة على الدخيل الغاصب برباطة جأش، وأخمدوا بالصبر الجميل فتنته، فإنه والله ما استعدى فريقاً منكم على آخر إلا إلى الفتنة الطائفية، ويشمل الحرب الأهلية.

وتحت رعاية السيد الوالد استوى السيد جعفر إلى ما صار إليه، فمن تلميذ طري العود في كتاب من كتاتيب صور إلى طالب يافع، إلى إصدار مجلة من معقله التربوي عام ١٩٤٥ التي استمرت أربع سنوات في رسالة فكر وأدب شارك في تحريرها كبار وناشئون من لبنان حتى الوطن العربي، وكنا نأمل أن يمتد بها العمر طويلاً أسوة بصديقتها مجلة العرفان، فتتواصل علينا مواسم القطاف شهية، سخية.

وبعد، فعذراً يا أبا محمد، فالصدر بك مترع ولكن صخرة الوقت سدت الأبواب علي، ولكن حسبي اليوم أن نستزيد منك ماءً وخيراً. وغداة غد سنعود معاً لمتابعة السير، فالطريق أمامنا طويل وحديثه عذب وممتع، ما أخصب حرفك أيها المعلم الجليل وما أغنى حصادك بالعافية والنضارة، مبارك أنت في الرجال الأخيار.. ومديدة مديدة سنوات الإتيان بولادات جديدة.

وأخيراً اسمح لي أن أقف بين يديك وإلى جانبك في يومك البهيج... أرد عليك التحية بمثلها.

نشكر الأصدقاء المحتفلين بك صنيعهم ومعهم الإخوة في دار الندوة عن بالغ الشكر والامتنان على بادرتهم الكريمة، معتبرين معاً هذه المبادرة، ترجمة أمنية مشتركة بين هذه الدار العامرة والمجلس الثقافي للبنان الجنوبي... وأنت أنت ركن كبير من المحاربين القدامى والجدد سامته المرصودة بقضيتين، قضية الجنوب عنواناً للوطن.. وللحرية والعدالة، وقضية الثقافة في أبعادها الثلاثة الوطنية والديمقراطية والتراثية العربية والإنسانية.

وشكراً.



معلمي.. الإنسان هويته

الأستاذ حسين حماده

أصحاب المعالي

معلّمي أبا محمد

السادة الإخوة

قد تختصر أمّة بهومير، بأرسطو، بشكسبير، بكونفوشيوس، بغاندي، بنبي، لأنهم المعلمون المعلمون.

فالأمّة معلمها، وهل شرف لها كعقلها بوعيه، وقلبِها بحسّه؟

قديماً قيل: قيمة كل امرىء ما يحسنه.

ونضيف: قيمةُ كل امرىء ما يحسنه وما يعطي ممّا يحسنه لأن أخلاقية العلم إنفاقُه.

بين يدي المعلم أمانةٌ هي كلُّ الأمّة، ولو عُرضت على الجبال لأَبَيْنَ أن يحملْنها وحملَها المعلم فكان الرسولَ وإن بغير وحي.

عيد المعلم هو عيد الأعياد. ويضخم العيد في الناس ويعلو بمقدار ما تعطي يداه من قيم القداسة، ومعاني النصر. وعيدُ المعلم في العطاء هو عن حركة كحركة الليل والنهار، وتعطي وتعطي بدون حساب.

وحين تكرّم الأمّة معلمها تكون قد وعت نفسها فكرّمت نفسها، وحين تجفو صانع حياتها، وإنسان حرّيتها وأحلامها وحضورها تكون في غفلة من أمرها. وأيّة أمّة في قائمة الأمم حينذاك تلك الأمّة تكون؟

فالمعلم هو الأمّة في هويتها، وغيره يمور ويغور فيحور.

وهل فرد في الأمّة إلاّ وتمسُّه يد المعلم بالغامر من العطاء الأقدس؟

ليس لكلمتنا الموقف إلاّ أن تأخذ سبيلها إلى التربية والتعليم اللبنانيين.

أليسا هما ضائقتَنا ومأزقَنا؟

أليسا وحدهما حربَنا بويلاتها الزلزال؟ هما مهب الريح العاصف. لا هوية لهما تجمع، ولا غاية لهما توحد.

كل مؤسسة بكتابها، بتربيتها، بمنحاها هي وزارة تربية.

لعلّ الشيخ حرب، الصالحَ المصلحَ بعقله وقلبه يخوضها معركة ليس إلاّها المنقذ، وليس سواها إلاّ قبض ريح.

إن المبادىء بأهلها كما هي بذاتها أو تكاد.

وكانت شهقةٌ للإمام الإمام شرف الدين (قدّس سرّه) صدرت عنها جعفريته المؤسسات لتنقلب إماميةَ الرسالة إنسانية الغاية.

وكأن إمامك، إمامنا، يا معلمي، قد شلح برديه على منكبيك فكنت عنه وله وللآخرين، لتكون جعفريتك للجنوب أو قل للبنان.

من هنا ما اطمأنت كلمتنا بضميرها وعقلها وقلبها إلاّ في يومك.

ما قرّت في قرارها ومستقرها، وما كان خبرها لمبتدئها كما هي في مناسبتك.

وما أدراكم ما الجعفرية الرسالة؟

حين من الزمان كانت فيه نجماً في ليل الجنوب، لتنقلب هناك أمّ المؤسسات، وتصدر أجيالُها كلَّ الجنوب المثقف، أو قل تصدر عنها صدور الشعاع عن الكوكب، والأريج عن الزهر. فكان حضورُها وتشخّصُها النهارَ لمحو عسعسة ليل، والرسالةَ لمحق الأباطيل الميكيافيلية، والعلمَ لإزالة الغشاوة للجهالة والضلالة.

إن كلمة معلمي بجعفريته كانت لبنانيةً من جنوبه. وانطلق منها إلى نشاط الأغنى فأغنى. شعاره السياسي والاجتماعي والتربوي هو قولة أميره، أميرِ الكل.

من أراد أن ينصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، فمعلمّ نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم.

خصوصية معلمي مدينة وتحار الكلمة من أيّ باب تلج.

خصوصيته أن قلبه في عقله وعقله في قلبه.

«سيماهم في وجوههم» ووجهُه بنورانيته هو كل دخائله لوضوحه كفلق الصبح.

هو أقرب إلى نفسك من نفسه.

يده قلب في كل قلب متعب، عهده وثيق، يده صديق، طريقه معك خير رفيق، قلبه رصين وشفيق. سرّه بيت الإمامة العتيق. مكتنز علماً. قولته عدل. ورأيه موقف، وحكمه فصل. أرأيتم ثمّ رأيتم كمعلمنا إنساناً يطوف الشوارع والأزقة في ليله قبل نهاره ليضمّ أطفال الفقر والتشريد واليتم بجناح قلبه ويده لينتهي بهم إلى جعفريته الملاذ والتي تكفل لهم جملةَ حاجات التلمذة.

هو ذائقة فن وجمال. فالمنبر يسعى إليه، لسانه إن شاعراً وإن خطيباً هو في البلاغة مرسل إرسالاً، وفي الفصاحة هو البيان والتبيين. ولا عجب فهو خريج مدرسة القرآن والنهج والإمامة. أي نشاط مجاهد لم يخض ميدانه، ولم يكن فيه الباذلَ ببذخ، والشاخص بموقف؟ فالتعليم رسالته. والإدارة كفاءته. والسياسة علويته. والخدمة النصوح طبعه. والمنبر الخافق قلبه وعقله ولسانه.

معلمي حسبه الإنسان هويتُه. ميزان الحق يعتبره كلمته في الناس. أو قل يعتبره ندرة يومنا في الصالحين المصلحين أو يكاد.

العذر العذر ترسل كلمتنا.

إنها لخجول خجول، والمناسبة إزاء الخمسين من العمر جهاداً عجول وعجول. فليس لكلمتنا أن تختصرك، ولا أن تنهض بحق الوفاء معك.

جنوبك المنبت المحك

الأستاذ حافظ الشمعة

معالي الوزير

أيها الحفل الكريم

أن تكون من الجنوب الصامد يعني أنه على صدرك وسام.

أن تكون من صور الأبية يعني أنك مكرم.

وأن تكون من تلك الدوحة الأصيلة التي يستسقى منها المطر يعني أنك مبجل.

فالجنوب محك الرجال ومنبتهم، وعلى بطاحه تتحول شتلة التبغ إلى سنديانة، والقرى المتواضعة المنسية إلى قلاعها.. والجنوبي الطيب البسيط إلى مارد.

ففي الجنوب الذي تركته الدولة وأهملته.. وفي الجنوب حيث صدرُ لبنان والعرب ودرعهم يكون الإنسان فيه البديل في عصر التخلي هذا.. ولهذا كان لأعلام الجنوبيين نكهة خاصة إن في الشعر أو في الأدب أو التربية والتعليم والاجتماع، وإن في مقارعة الاحتلال والبطولة والاستشهاد.

فالأرض المهددة هناك تلد غير رجال.. والرجال الصامدون هناك يتبعون غير مآثر، وحتى الفتى الذي عفر وجهه بتراب الجنوب يجترح غير عجائبه، في الجنوب يكون الإنسان من عجينة أخرى ملحها المعاناة والقهر والحرمان، وفي

قمحها عرفوا كدح الفلاحين وفي مائها عذوبة الانشداد نحو الحرية ولهذا نحب دائماً خبز الجنوب ونشتهيه.

تطلعاتهم كلها أعمال جليلة وغنية تؤكد قدرة الإنسان الذي يتحسس آلام شعبه ومجتمعه وتدفعه إلى البذل والعطاء وبالتالي على قدرته على التغيير والتطوير. وكم نحتاج إلى المزيد من هؤلاء الرجال في هذا الزمن، ومنهم السيد جعفر شرف الدين، هذا الإنسان والمربي الذي حاكى عصره بلغة العلم والمعرفة، فكان له هذا اليوم المشرف الذي يعلق على صدر المعلمين كافة.

وشكراً.



حجارتنا من مقالع العمر

السيد جعفر شرف الدين

رئيس المؤسسات الجعفرية

دولة الرئيس

سعادة ممثل دولة رئيس مجلس النواب

حضرة نقيب الصحافة اللبنانية

أيها الإخوة الأعزاء

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أنبياء الله ورسله. على إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، وعلى أصحابهم وحوارييهم وأنصارهم، وعلى آل محمد الذين عكسوا عنهم النور إلى أفكارنا والطمأنينة إلى قلوبنا وعلى من اتبعهم بإحسان من أول عالم وشهيد في صدر الاسلام إلى آخر عالم وشهيد في صدر جبل عامل لبنان. . وقلب لبنان ومهجة فلسطين من سيد شهداء الإسلام الحسين بن علي إلى سيد شهداء جبل عامل السيد عباس الموسوي، إلى سادة شهداء أطفال الحجارة في فلسطين ومن مدرسة الباقر والصادق والكاظم إلى الجعفرية والمقاصد والعاملية.

والجعفرية مؤسسة سقيناها دمع العين، عصير القلب، ماء الجبين، فإذا العين مفتوحة وإذا القلب كبير، وإذا الجبين مرفوع.

هذه منشأة أسسها الإمام الراحل على التقوى، حمل إليها الحجارة بأهدابه

حجراً حجراً من مقالع العمر، ومن أهداب عينيه، فإذا هي صرح ممرد، وإذا هي بناية المهاجر في أفريقيا الغربية.

الجعفرية تطوي عامها الرابع والخمسين، وما الزمن كما تراه إلا عمر تجارب ومختبر معرفة، تحمل الرسالة على منكبيها واضحة المعالم ما انحرف يوماً حرفها ولا زاغ، نمخر عباب العواصف، والصخب يتكسر على مرساتها. تقتحم الحواجز. والمترصدون بها ينكفئون أمام زحفها المظفر.

عرفتها أجيالها شهد نحل، نبع طلّ، طيب ظل، فوح ورد وفل، فإذا جبل عامل الأشم يرى أبناءه يدخلون رحابها أفواجاً، ويخرجون جداول عطاء تروي عجاف الأيام، وتمتمات صلاة يتحرك بها على شواطىء العالم بالعلم والطب والهندسة والصيدلة والحقوق والتعليم الجامعي والأعمال الكبرى.

في عامها الرابع والخمسين، جاوزت دار الندوة الكلمات دون غيرها من المؤسسات، ودفعت الباب، ودخلت وحدها. فالطريق إلى الكلام واضحة المعالم.

مشت وحدها إلى صرح الجعفرية الخضيب، تستعرض موسمه، فإذا هو موسمان فيه من كل ثمر زوجان، عنب ورمان نرجس وريحان ورد وأقحوان وشقائق نعمان، وتتغزل دار الندوة بأبجدية الألوان بداليات قطوفها فاكهة وأبا وحدائق غلبا.

وأدركت مرساة دار الندوة أن الجعفرية علم لمعطية من معطيات جبل عامل ومنجزاته، نفح اجتماعي وتقدم ثقافي وما من وثبة شعبية إلا وكانت الجعفرية تربة بذرانها وحديقة غرساتها.

أدرك فرسان الندوة بنظرهم الثاقب وفكرهم الصائب أن الجعفرية أعطت ما لم تعطِ أية مؤسسة في ظروفها، فهي في نقطة من وطننا كانت متخلفة ومهملة دعتها فأجابت، ونادتها فلبت، فمنها، من الجعفرية انطلقت الطلائع الشعبية توقظ النائمين وتأخذ بيد المستضعفين.

نظرة إلى منطقة ما قبل الجعفرية ونظرة إلى ما بعدها.

إن جماع ما في النفوس من تحسس وما في القلوب من ترصد، وما في الأفكار من توقد، إلا معنى من معانيها، ومأتى من مآتيها. وهكذا شاء الله أن يختص دار الندوة بهذه اللفتة الكريمة نحو هذه المؤسسة العريقة، التي كانت لها الفرادة في جبل عامل والجنوب في التربية والتعليم من عام ١٩٣٨ إلى عام ١٩٦٠ حيث تأسست أول مدرسة رسمية في مدينة صور، بينما لم يكن في طول الجنوب وعرضه سوى جعفرية صور ومقاصد صيدا.

للدار الندوة وفرسانها، لمنبرها وخطبائه هؤلاء الذين أثقلوا عاتقي بدين لا أقوى على وفائه. تحية من القلب إلى القلب، من الفكر إلى الفكر ومن الرؤية الوطنية إلى الرؤية الوطنية.

وأقف هنا، لأحيي وزير التربية الشيخ بطرس حرب، وأحيي فخامة رئيس الجمهورية، وعبر ممثل مجلس النواب دولة رئيس مجلس النواب.

وأحيي أصحاب السماحة والسعادة، وكل المثقفين والأدباء الذين تكوكبوا في هذه القاعة يضيئون دربنا، ويشحذون عزيمتنا وأبرزهم المركز الثقافي للبنان الجنوبي بشخص عميدها الأستاذ حبيب صادق. إن أنسى، لا أنسى أن أقدم تحية قلبية لأجيال الجعفرية الزاحفة وإدارتها وهيئتها التعليمية المعطاء.

وسلام من الله عليكم جميعاً.

أما الوسام الذي تفضل معالي وزير التربية فزين به صدري باسم رئيس الجمهورية. . فإنني أعتبره وساماً على صدر معالي الوزير.

وشكراً.

حفل الحركة الثقافية

انطلياس

في إطار تكريم أعلام الثقافة في لبنان

الرعيل التاسع ـ ١٩٩٤

الرئيس شارل الحلو	السبت ٥ آذار
سلام الراسي	الأحد ٦ آذار
جعفر شرف الدين	الأثنين ٧ آذار
د. أفتيم عكره	الأربعاء ٩ آذار
د. بيار غناجه	الجمعة ١١ آذار
د. محمد المجذوب	السبت ١٢ آذار

دمتم الظل الظليل لجعفريتكم وغير جعفريتكم.

ولو كثر أمثالكم لما كان لبنانُ العشائرَ والقبائل.

جعفريتكم تكاد تكون وحدها لبنانَ الواحد. لبنان الكل.

لدار الندوة، وأهلها الكبار في الوفاء للعلم وأهل العلم الشكرانُ الباذخ، والعرفان البالغ من جعفرية الوفاء، إن إدارةً بحكمتها ورؤياها على شباب وإن مربّين بكفاءة والتزام.

نهنىء بيوم المعلم، عيدِ الأعياد.. والسلام.



نهجه محبة وانفتاح

المطران مارون صادر
مطران صور والأرض المقدسة

إن السيد جعفر شرف الدين مكرم في صور وفي الجنوب وفي انطلياس لما يرمز ويمثل من قيم روحية وثقافية ووطنية تلتقي بشخصه الغني المواهب والطاقات العديدة.

إنه امتداد لشخص والده الكبير المغفور له السيد عبدالحسين شرف الدين الموسوعة الشيعية والإسلامية العميقة الجذور في الفقه والفكر الإسلامي والإفتاء والتاريخ والإطلالة المستقبلية على الوطن وعلى العالم العربي، والذي بذات الوقت رسول علم وثقافة وتربية دينية وأخلاقية. ويكفي للتدليل على هذه الأدوار التي قام بها أنه أسس معهد الجعفرية، معدن العديدين من رجالات جبل عامل.

والسيد جعفر غرف من هذا المنهل الفياض العطاء وأغناه بعطاءاته العديدة فتابع وثمّر ووطّد ما أسس المرحوم والده في حقلي الثقافة والتربية. فكان المربي الكبير الذي يشرف ويوجه ويسوس الجعفرية المعهد. ولقد أغنى مكتبة «المعهد» بمقالاته العديدة وبمؤلفاته وبنوع خاص أغنى المعهد وعزز دوره بما تربى وتثقف في عهده من رجالات جنوبية مرموقة ومعروفة.

والسيد جعفر رجل وطنية وسياسة. دخل المعترك السياسي وعمل فيه فمثل الجنوب في الندوة اللبنانية طيلة اثنتي عشرة سنة خير تمثيل فكان صوت صور وصوت الجنوب الصارخ وتفاعل بذات الوقت مع النزاعات القومية التي وجهت

أفواجاً عديدة طيلة نصف قرن فكان دائماً في مقدمة الذين تجاوبوا مع هذه النزعة.
ولكن هذا لم يمنعه أن يكون رجل وطنية وعطاء وتضحية في سبيل تعزيز روح الوطنية وفي سبيل العمل من أجل السيادة والحرية والاستقلال.

وما يُلفت بنوع خاص في صفات السيد جعفر العديدة تواضعه وعفويته وانفتاحه على كل أبناء صور والمنطقة من كل الأديان والطوائف والمذاهب. فما بشّر يوماً إلا بالانفتاح والتواصل بين جميع أبناء الجنوب.

وعمل من أجل تعزيز روح الوطنية وروح الوحدة بين جميع أبناء الجنوب فكانت حياته الاجتماعية إشعاع محبة وألفة وانفتاح، فما من مناسبة دينية أو اجتماعية أو وطنية في صور أو في الجنوب عامة إلا وكان يشترك فيها معطياً المثل الصالح بالقول والفعل.

فشكراً للحركة الثقافية في انطلياس التي أتاحت لنا هذه الفرصة الثمينة لكي نشترك معها في تكريم السيد جعفر شرف الدين في قلب جبل لبنان.

إن هذا التكريم برهان ساطع على الوحدة الحقيقية بين جميع اللبنانيين التي تنظر إلى الإنسان وإلى الصفات والقيم التي يمثل ولا تتوقف عند الدين أو الطائفة أو المنطقة أو المنحى.

إن العامل الإنساني والوطني هو الذي يجمع اللبنانيين وهو النسيج الحقيقي الذي يربط اللبنانيين بعضهم ببعض دون التوقف عند الدين أو الطائفة أو المذهب أو المنطقية إنما تكريم لمن يستحق التكريم والسيد جعفر استحق هذا التكريم.

أطال الله بعمر السيد جعفر شرف الدين المكرّم اليوم وقدر الله الحركة الثقافية في انطلياس على تكريم كل اللبنانيين الذين خدموا ويخدمون وطننا العزيز لبنان دينياً وثقافياً ووطنياً.

الصدق السياسي مصدر قوته

الأستاذ معن بشور
رئيس اللجنة التنفيذية للمنتدى القومي العربي

أستاذي الكبير السيد جعفر

أيها السيدات والسادة

أعترف وقد تستغربون أنني ترددت كثيراً في الكلام في يوم عزيز وكبير كهذا اليوم، ومن على هذا الصرح، وعلى رجل مميز كهذا الرجل.

والتردد ينشأ عادة إما لشح في الأفكار والمعلومات التي تتصل بالمناسبة، أو لنقص في الحماسة تجاه الموضوع، أو لتهيب أمام موقف. لكن مبعث ترددي هذه المرة جاء من اتجاه مغاير تماماً، فالأفكار والمعلومات عن سيرة جعفر شرف الدين مزدحمة تتدافع إلى درجة ترفض معها الانضباط في سياق كلمة محدودة بالدقائق، وفي مجال لا يتسع للإسهاب.

والحماس للحديث عن السيد جعفر شرف الدين، متدفق في نفسي إلى حد أخشى معه أن تطغى الذاتية على موضوعية بتنا نحتاجها في خطابنا اللبناني وعالمنا العربي المعاصر، لكي ينتقل إلى مصاف العصر ويلج عالم الحداثة.

أما التهيب فموجود طبعاً، وخاصة في حضور نخبة ممتازة في هذا الصرح، لكنه مع ذلك يتضاءل الحديث عن رجل له كل هذا الحب والتقدير ومن على منبرٍ كان نموذجاً للشجاعة والعطاء في أصعب الظروف.

وأعترف لكم مرة أخرى أنه لا المكانة التي يحتلها الرجل في قلبي هذا المربي والمجاهد والباحث والأب الكبير ولا حتى ضعفي أمام دعوة كريمة أتلقاها من هذه الحركة الرائدة كانا كافيين وحدهما لتمكيني من التغلب على التردد لولا اقترانهما بشعوري أن تكريم السيد جعفر شرف الدين وما يمثل هو نوع من ممارسة الوحدة التي كان للحركة الثقافية شرف المبادرة إليها في لحظات بالغة الدقة والخطورة. وهذه الممارسة إذا لم تتسع وتتجذر في كل اتجاه سيبقى لبنان مهدداً برياح القهر ونار الفتنة ومخاطر الاندثار.

إن الحركة الثقافية إنما تكرم بالسيد جعفر شرف الدين رجلاً علمياً وموضوعياً مميزاً، أمضى العمر كله بمجالس العلم والفكر والأدب التي كانت تمثل ثروة كبرى للتفاعل الحضاري في جبل عامل، كما أمضى بشكل خاص يجمع، ويحقق ويمحص ويدقق حتى يُثبت للقارىء اللبناني والعربي والمسلم ثلاث موسوعات دفعة واحدة هي الموسوعة الإسلامية والموسوعة العربية والموسوعة القرآنية، التي هي علس وشك الصدور.

كما أننا نكرم فيه أيضاً نوعاً من السياسيين لم تبعده المواقع النيابية عن المعاناة الشعبية وعن الهموم التربوية والثقافية، فكانت خطبه سياسته واستجواباته في مجلس النواب بعيداً عن هذا التميز، تماماً كما كان حرصه أن يختار نخبة من أهالي صور مجلساً استشارياً له، يعود إليه في كل أمر من قضايا الشعب والوطن.

ويكفي أن نستعيد معكم في هذه العجالة بعض كلماته في المجلس النيابي قبل ٣٣ عاماً حول الموازنة والضرائب، ومدى انطباقها على واقع الحال هذه الأيام، ليتكشف لنا أن الصدق السياسي هو المصدر الأول لقوته حاضراً ومستقبلاً.

زمن الشهداء.. الزمن المنتصر

الدكتور وليد خوري
الحركة الثقافية في انطلياس
أستاذ الإسلاميات في الجامعة اللبنانية

أيها الحفل الكريم..

لئن كان زمن الساسة زمناً منكسراً، يغرق في الخيبة والغيبة وتقلب الأحوال، فإن زمن الشهداء، زمن منتصر يتربع مجد الصحو والحضور والموت.

زمن درسه، إشاراته على امتداد الأرض الضاربة من سيدة النجاة إلى الحرم الإبراهيمي. وماء هدرها الحقد وأزهقها الباطل. وتعين بداياته ونهاياته دموع الثكالى وسواعد الأبطال ووعد المتنورين المخلصين من أبناء هذا الوطن.

جعفر شرف الدين، التي تتشرف الحركة الثقافية بتكريمه اليوم، ابن الشهادة الكبرى، كربلائي يختزن في أعمق أعاميقه فرادة التجربة الحسينية وغناها، وبأبعادها الإنسانية نضالاً يزرع المحبة، يقيم العدل على نزاهة في السلوك وتوازن في النهج والاعتقاد.

عاملي هو، تعلو جبينه علامات الفخار، حبكته سيرة القهر على طول الزمن، أصقلها إيمان بالحرية لا يلين وصبر على البلوى لا ينضب.

بدأ رحلته مع الحياة مع والده الفقيه السيد عبدالحسين شرف الدين.

عماد بيت صوري ضمخت فضاءاته مجالس التثاقف، فغدا مشكاكاً، أنوارها أمسيات عاملية في سماء الجنوب تشيع الحب وتبني العقول.

في هذا الجو العابق بالعلم والأخلاق، أخذت تتشكل الشخصية الفكرية عند جعفر شرف الدين، إلى أن استكملت بنيتها خلال المرحلة الدراسية التي توزعت بين الدراسة الرسمية في صور والمدرسة الجعفرية التي أسسها والده والكلية الشرعية، ومعهد الآداب الشرقية.

وعليه كان من طبيعة هذه الشخصية، أن تتجه عند انخراطها في معترك الحياة، صوب استثمار هذين الركنين في مسيرة بناء الإنسان والوطن. أن تحقق في الأعيان ما توفر واستقر في الأذهان.

بعد انتهاء المرحلة الدراسية انطلق جعفر شرف الدين إلى العمل، فقام بإدارة الكلية الجعفرية، ثم أسس مجلة العهد فغدت أقلام الذين كتبوا فيها بالإضافة إلى والده، ميخائيل نعيمة، بنت الشاطىء، مارون عبود، عمر فروخ، عبدالله العلايلي، بولس سلامة، رياض طه وجبرائيل جبور، غدت مرجعاً يكشف مخبوءات التراث بمعانيه الثقافية ومدلولاته الإنسانية.

تحت عنوان بالمحبة وليس بالخبز يحيا الإنسان كتب جعفر شرف الدين يقول:

أن تحب، فإنك تعيش إنسانيتك، تطيع الله فيمن خلق، لأن المحبة جوهر الفرد خلقه الله الواحد جوهراً واحداً.

تلك الكلمات ترسم بوضوح درسه في الحياة. فتراه في موقف هذا الالتزام الفاضل ينصرف إلى إنشاء الجمعيات الخيرية، كجمعية البر والإحسان، وكجمعية رابطة إنعاش القرى، وجمعية إحياء التراث اللبناني، إلى جانب مشاركته ببعضها. هذا بالإضافة إلى أنه كان وما يزال رئيساً للأمسيات العاملية في صور وجبل عامل.

ويدخل جعفر شرف الدين، الندوة النيابية نائباً عن صور بين عامي ١٩٦٠ و١٩٧٢، وهو على يقين من أن الوعي يقود إلى المحبة وشرطه التربية الصحيحة، فكان أن وضع دراسة حول وضع التربية في قضاء صور، وقدمها إلى وزارة التربية عام ١٩٦٠، وبالنتيجة استجابت الوزارة وأصبح في كل قرية مدرسة رسمية.

إن الحركة في حياة جعفر شرف الدين لا تقتصر على الفعل الخيري الاجتماعي، إنما تعدته إلى الفكر الإنتاجي الكبير، وقائمة كتاباته ومؤلفاته غنية ومتنوعة تمحورت بشكل عام حول القضايا السياسية وسائل دينية، وهي عبارة عن مقالات توزعت في مجلات العرفان والمعهد والعروبة والألواح ومن بين هذه الدراسات دراسة مميزة حول أدب الطف، تبحث في خلفيات مأساة كربلاء وأثرها في الفكر الشيعي.

وعالج جعفر شرف الدين عام ١٩٦١، موضوعات تتصل بالسياسة التربوية للدولة، وما يشوبها من خلل على صعيد الكتاب المدرسي، وتقصيرها في منطقة جبل عامل، إلى أخذه على الدولة عدم اتخاذ سياسة وطنية تشعر الناس أن لبنان وطن نهائي لأبنائه، هذا إلى جانب مؤلفات عن الحرب العربية ـ الإسرائيلية، وحول جذور الثورة الإسلامية، وأخرى قيد الإعداد تؤرخ لحياته البرلمانية، وتبحث في التاريخ السياسي للبنان.

أما دائرة معارف التراث، تبقى المشروع الثقافي الأرحب وهي موسوعات على ثلاث موضوعات، تحتضن معجم التراث الإسلامي، مبنياً على معارف القرآن والسند والمأثور من الأدب والتاريخ والفن، حسب الحروف الأبجدية.

وبعد، جعفر شرف الدين.

أمام سيرتك هذه العابقة في الحياة والغنية في العمل وفيض العلم، ليس لنا إلا أن ننحني تقديراً وإجلالاً... للوطن أن يكبر بك وبأمثالك.

وشكراً.

من جبل عامل حججت إليكم

السيد جعفر شرف الدين

من الجنوب. من ساحل جبل عامل. إلى انطلياس. إلى ساحل جبل لبنان. من الجنوب المعفّر بدماء الشهداء، بزهر الليمون ونكهة الأدب العريق. إلى ساحل جبل لبنان المضمخ بعطر مهرجان الربيع في انطلياس، بعامية انطلياس. بالقسم على وحدة الموقف الإسلامي - المسيحي موقف الأصالة والنبالة.

من جبل عامل حججت إليكم.

وجبل عامل كما جبل لبنان: قرى ومزارع تهبط وادياً وتعلو جبلاً. ورب قرية امتطت قمة من قممه، تحلق حولها هضاب ووهاد. تعمشق بالأولى قرى، تزحلق بعضها حتى لامس الوهاد. وثبت حتى أصبح وتداً من الأوتاد.

ولبنان معقل العلماء والأدباء والمفكرين، من تربته انبثقوا وعلى أديمه درجوا ومن تراثه اغترفوا وكانوا من قبل ومن بعد مورد الخصب لهذه التربة ومبعث البركة لهذا الأديم ومصدر الثروة لهذا التراث، وبذلك أصبحت أرض لبنان خصبة العطاء يزدهر في ربوعها الزرع. ويدر في بطونها الخير والضرع. وتعرش على هضباتها الأغصان. متهدلة بالعصف والريحان. ويضحَك في كل فصل من فصولها من كل فاكهة زوجان. وتتوالد مواسمها فإذا كل موسم موسمان.

وكما أن تربة لبنان خصبة في زرعها وضرعها، فإنها خصبة في إنسانها ذلك الذي صنعه أعلام لبنان على أعينهم: وفكرهم صَناع. فازدهرت فطرته بالطيبة والصفاء ودرت سليقته بالتقدير والذكار وعرشت في طبعه الشجاعة والأمانة والوفاء.

وإذا كانت تربته قد أينعت فاكهة وأباً وحدائق غلبا. وبإنسانه فطرة وطبعاً، سليقة ووضعاً، فكيف تفعل هذه التربة بمعطيات هذا الإنسان. غير حسن مشبوب لشاعرها الملهم. وفكر موهوب لأديبها المَعلَم. ولوح مكتوب لمفكرها العيلم. غير لسان هادف هو أفصح من نطق بالضاد وقلم راعف هو واضع النقاط على الحروف.

حتى أصبحت الموهبة في وطني تولد مع النبتة وتحبو مع الشتلة وتترعرع مع الشجرة. وتزدهر في كل زوج بهيج. ويكاد سمت الإيمان وسمات النجدة والنخوة والعنفوان. تكاد هذه الخصائص تكوّن هوية اللبناني وهوايته. بل يكاد يرى الإنسان في تراثه يضيء إنسان عينيه، هو قلبه يخفق في سويداء قلبه. وروحه تسكن لحمه وعظمه، وبخوره يعطر تربته ويراود ديمته.

من معطيات ترابه استلهم اللبناني وألهم وبها كان ملء السمع. ملء البصر على أرضه وعلى كل أرض نفر إليها أبناؤه، وتحت كل كوكب انتشروا مصحرين ومبحرين وعلى كل طائر. ففي أدغال أفريقيا السوداء وصحاريها وقع أقدامهم وخفق أعلامهم. وفي الأميركيتين بصمات أصابعهم وبدائع أفكارهم وعلو مناصبهم. وفي أستراليا محط رحالهم ودار قرارهم. وبهذا يكون اللبناني قد فتح العالم بقاراته الخمس.

والتزاماً بالحفاظ على التراث أنشئت المجالس الثقافية والصالونات الأدبية. وتقديراً للملتزمين به والداعين إليه كان هذا الموعد الثقافي. على هامش معرض الثقافة، معرض الكتاب الذي دعت إليه أحد أبرز المؤسسات الثقافية كظاهرة إبداع تكوكبه الحركة الثقافية في انطلياس تكريماً لمن تتوسم فيهم الإبداع الثقافي والنشاط الرسالي على طريق محجتهما. ولا أرى ذلك إلا تكريماً عفوياً لها نفسها ولكل منبر ثقافي في لبنان.

وأول منبر ثقافي، في الكون كانت الكلمة وكانت الحياة في أربعة رياح الدنيا، سماء وأرضاً بشراً وشجراً.

السماء وما يتكوكب فيها، والأرض وما تختزنه، والبشر وما يتمايز وتتعدد الوانه وأشكاله وعاداته ولغاته.

وكانت الكلمة ثانية، فكان الأنبياء والرسل وما حملوه من رسالات وشرائع. هذه وتلك كلمة الله فيمن خلق وما خلق، ثم تنزلت كلمة خاصة بالإنسان، هي مفتاح الثقافة:

﴿اقرأ باسم ربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾.

إن هذه الآية الكريمة تقول: القراءة والكتابة هما ألف باء العلم. والعلم ميزان الثقافة. والإنسان هو مرتشفها ومرشفها، تلميذها ومعلمها.

وكان أول معلم لي وآخر معلم هو أبي منذ نعومة أظفاري حتى استويت رجلاً في السابعة والثلاثين حين افتقدته: أباً ومعلماً ورفيقاً. نعم رفيق له من العمر سبعة وخمسون.

وكنت قد أكملت السابعة حين مارست التلمذة عليه. ومارس الصداقة معي. وحين فارقنا كان قد أتم السابعة والثمانين وكنت قد أتممت السابعة والثلاثين.

زقني رضي الله عنه وأرضاه المعرفة زقاً من حروفها الأولى إلى يائها، يتدرج فيها معي حرفاً حرفاً وكلمة كلمة وجملة جملة. وكان يقف ويستوقفني على كل مرحلة حتى إذا آنس مني استيعابها أمرني بتقريرها وتمثلها، فالكلمة عند أبي قطع نادر. والجملة ثروة لا تثمن. والموضوع لا يستقيم لديه إلا بعد غربلته لفظاً ومعنى، بحيث تتزاوج فيه الكلمة مع الجملة، والجملة مع الفقرة، لأن الكلمة ركن الجملة، والجملة ركن الفقرة، والفقرة ركن الموضوع. ولا يرتاح إلا بهذا التزاوج والتناغم بين اللفظ واللفظ، وبين المعنى واللفظ، يستقرىء ذلك بتكرار قراءته صورة وصوتاً، بصراً وسمعاً.

واستمر في هذا العطاء، لم توقفه الثمانون، ولم تفقده السبع بعدها، ولم يسكت عطاؤه المباشر إلا بعد أن سكت قلبه الكبير.

وكان نوّر الله ضريحه قد ألقاني في يمّ التطبيق عام ١٩٣٨ حين شرع أبواب المدرسة الجعفرية لكل طالب. إذ عهد إليّ بتدريس اللغة العربية وبعد أن أرضاه عومي في يمّ التربية والتعليم، عهد إلي بإدارة المدرسة سنة ١٩٤٥ وانطلقت بنفس

الوقت إلى إصدار مجلة ثقافية لأعجم عودي في هذا الامتحان المتقدم في فترة تفجرت فيها الثقافة على صفحات مجلات أبدعت العصر الذهبي للصحافة الثقافية في هذا القرن العشرين. وعلى وهج هذه المجلات التي كانت تصدر وقت ذاك في لبنان. إذ احتضنها كبار من أرباب العلم والأدب في لبنان وسوريا والعراق ومن أرض الكنانة بنت الشاطىء الدكتورة عائشة عبدالرحمن. وسيتفضل الأستاذ سمير فرنجية بلم شمل أعداد هذه المجلة بإعادة طبعها في مجلد واحد كتراث يعرف بفترة ١٩٤٥ـ١٩٥١.

وكانت مصر في تلك الفترة أهم معقل من معاقل الثقافة يتمثل بمجلتي الرسالة والثقافة الأسبوعيتين. ومجلتي الكتاب والكاتب المصري الشهريتين، وقد تخرج عليها جيل يحمل أسلوبها وطابعها الذي أسبغه عليها رؤساء تحريرها: أحمد حسن الزيات، أحمد أمين، عادل الغضبان، د. طه حسين. إلى نفر من فرسان هذه المجلات القاهرية المميزة، وكذلك تخرج على مجلة العرفان في لبنان أجيال من الأدباء وقد أصبحت بحق دائرة معارف جبل لبنان بعد مضي ثلاثة وثمانين عاماً على صدورها.

وكانت مجلة الآداب ولا تزال تنحو منحى تجديدياً خصوصاً في الرواية والقصة والشعر وأسلوب معالجة المواضيع المطروحة. وكان صالون مجلة الأديب عامراً بالعلم والمعرفة تدور على لسان أعلام لبنان: عبدالله العلايلي، البر أديب، نبيه أمين فارس، محمد جميل بيهم، إلياس خليل زكريا، عمر أبو ريشة، د. عمر فروخ، محمد علي الحوماني، صلاح لبكي.

وكنت بالفعل أمارس التلمذة على مجالس هؤلاء الأعلام وأعترف أنني كنت ناصحاً لنفسي. باراً بتلك المجالس المنابر أستمتع بالمثول أمامها وأختزن أفكارها وطروحاتها.

هذا الإبداع الثقافي لا يزال مستمراً، ولكن المعاهد الأجنبية والمعاهد التبشيرية أفرزت جيلاً هجيناً يشبه الأعشاب الطفيلية التي تنبت في السهول وفي الهضاب حول شوامخ الحقول وبدائع الأزهار كالجراد لتقضم السنابل الحبلى بعطاء الأرض وتشوّه الورد المتجلي بجمال الله.

نعم هذا الإبداع الثقافي لا يزال مستمراً. ولكن موجة ثقافية تتكسر على شاطىء هذا البحر الخضم، وما كان لهذه الموجة أن تتحرك، لو أتحنا لأجيالنا منهجاً واحداً تلتزم به المدارس القائمة على أرض لبنان من وطنية وأجنبية من طائفية وعلمانية. . . لنشأ جيل واحد موحد يتمتع بمناعة ذاتية أمام التناقضات والحساسيات.

هذه المدارس المتعددة الثقافات أفرزت جيلاً متعدد الاتجاهات فكان الشقاق، وكان الانشقاق حول توجه الحكم وحول اتجاه الثقافة فكانت الحداثة وكانت الأحداث، حداثة خرجت على البنية العربية التي تميز بها أمراء البيان العربي في لبنان: اليازجي والشدياق والبستاني وعمر فاخوري وشكيب أرسلان وعبدالله العلايلي. وامتاز بها الشعر العربي على لسان جبران والملاط والأخطل والمطران وأمين نخلة وناصر الدين وتقي الدين والشيخ عبدالحسين صادق والسيد عبدالحسين شرف الدين.

هذه هي الحداثة التي خرجت على عمالقة الثقافة هؤلاء، تعلة أن المفردات العربية محنطة لم يعد لها مكان بين المفردات الحضارية. وهم لو لم يكونوا أدوات لأعداء اللغة العربية لتبينوا أن الأبجدية العربية كالبستان فيها من كل فاكهة زوجان وكما ننتقي منه الفاكهة التي نحب، ننتقي من الأبجدية المفردات التي نتذوق. ورب فاكهة ضامرة أو متآكلة تأباها النفس فتدعها مصلوبة في مكانها. لا يستسيغها ذواقه، بل يعافها كل ذي ذوق سليم.

كذلك المفردة على شجرة الأبجدية تقبل عليها السليقة المعتدلة بشوق وتشرب نخبها على شرف اللغة التي يتكلم بها شعب خمس وعشرين دولة عربية التي كتب فيها القرآن المجيد والحديث النبوي الشريف ونهج البلاغة المنيف. وأنشد العرب على ميزانها قصائدهم وأشرق بها بيانهم. شذّ عن هذا الإجماع من اضطلعوا بالحداثة. وقد وصفها الشاعر العاملي موسى الزين شرارة بوصفه لأحد شعرائها بقوله:

وحدثني فلم أفهم عليه كأن حديثه الشعر الحديث

ومن العجب أن شعراء الحداثة اقتدوا بعمالقة شعراء الحداثة: بدر شاكر السياب، نازك الملائكة، عبدالوهاب البياتي، صلاح عبدالصبور. ولكنهم تاهوا عن طريقهم.

نعم هذه هي الحداثة، الضحية الأولى للتعددية الثقافية، أما الضحية الثانية فهي الأحداث الدامية التي اعترت لبنان سنتي ١٩٥٨ و١٩٧٥ ولا تزال آثارهما ماثلة في البشر والحجر قتلاً وسلباً ونهباً وبناء في ملك الدولة وملك الغير.

أيام تذكر ولا تعاد بفضل الحصانة التي نأمل أن تضفيها الدولة على شعبها عبر المنهج الموحد والكتاب الموحد وصولاً إلى الشعب الموحد.

وأمام الحركة الثقافية في انطلياس ممثلة بمؤسسيها وفرسان ميدانها أضع قلبي على لساني بعد أن غمست فيه قلمي متوجهاً بالتحية والتقدير لها ولهم ولكل سادنٍ للغة إزاء اللغو. من كل واضع للنقاط على الحروف. معرب دون عجمة فصيح دون رطانة.

تحية حارة مكررة للحركة الثقافية في انطلياس وفرسانها ولفارس المؤسسات الثقافية والقومية والشبابية معن بشور.

وإليكم أيها السيدات والسادة رموز الثقافة والأدب والوطنية من كل من جعل من قلمه سيفاً يكتب به لغة الضاد ولسانه ترساً يدافع به عنها... إليكم وعليكم السلام ورحمة الله.

تكريم الأمسيات العاملية

١٩٩٢/٤/٢٥



مع الذكريات الحبيبة

السيد حسين شرف الدين

باسمه تعالى

أخواتي وإخوتي

لن اقول إننا في احتفال تكريم للسيد جعفر، بل نحن في إلْف مع ذكريات حبيبة الخطرات، حميمة اللقيا، حنونة اللمسات.

الحديث عن السيد جعفر شرف الدين ليس حديث تكريم للسيد جعفر بل تذكُّر وتذاكر عن لمحات إنسانية تشكلت سلوكاً ملؤها المحبة والاحتضان للأحلام الزهر، الأمر الذي يرفع عني افتراضات الإحراج بالتحدث عن السيد جعفر العم الذي ارتقى بعمومته إلى موقع الأبوة، وما كان ذلك إلا لأنه إنسان. ثم ما الذي يحرجني بالقول وفي سلوكي أكثر من حالة ممهورة ببصمته؟

فقدت الأبوة وأنا في الرابعة من العمر فكان لا بد أن يحوط هذه الأسرة بالعطف الأبوي من هو قادر على ذلك، فكان عمي السيد جعفر، وقدرته كيف يوفرها وهو لا يتعدى بالعمر من أن يكون الأخ الأكبر، إذ يكبرني بتسع سنوات، بينما يكبر بكر أسرتي بسنتين، ولذلك فقد كانت والدتي تعود إليه كما هو العود إلى الابن الأكبر، وكان هذا واضحاً من رعايتها لها وطريقة استعانتها به، في الوقت الذي خرج فيه إلى الحياة العملية مع تأسيس المدرسة الجعفرية، وتعيينه معلماً للغة العربية، فصفة الأستاذية كانت تخرجه أحياناً - وبمثل الظروف التي كانت تحتاج إليها والدتي - تخرجه من حدود الرفاقية إلى حدود السلطة ولو

جزئياً، وهذا ما كانت تحتاجه والدتي، وبنفس الوقت منحنا وإياه فرصة أكبر للتواصل، وأتاح لنا أن نكشف فيه الإنسان.

إذا أردت أن أحدد صفات علاقة مع السيد جعفر فهي عمومة ترقى إلى مقام أبوة، ورفاقية، وكلاهما يغطيان كامل مساحة عمري، ولم يتداخل فيهما حالة صداقة، ومن المفترض أن أقتحم هذا المجال من طرفي، ولم يكن، وربما خشية التداخل مع مشاعر البنوة عندي.

قد أكون أطلت في هذه النقطة، وأمامي أكثر من جانب أرغب في إبرازه مستفيداً منه، ومعبراً عن الجانب الإنساني في السيد جعفر.

الحلقة الثانية في العلاقة معه كانت التلمذة باللغة العربية على يديه منذ السنة الأولى لافتتاح المدرسة الجعفرية حتى نهاية المرحلة الابتدائية، فكان يسبغ المحبة على الطلاب بتحبيبهم للمادة وتلمس جماليات الكلمة، ويشبع عشقه للمادة بتخير أبهى وسائل توصيلها وأزهى مظاهر تحبيبها، وقد طبع بعضاً من تلامذته بأسلوبه، وإنني حتى الآن، ما زال بيني وبين ما يصدر عني من كتابات فيها نفحات أسلوبه، حناناً وحنيناً.

في أسبوع الامتحانات للسنة الدراسية الأولى في الجعفرية، توفي جدي لأمي، مما فرض أن نقيم أسبوعاً في بيت جدي لأبي (قدس سره) لتتفرغ والدتي لواجباتها الاجتماعية في بيت أبيها، وربما أطمعتني العواطف التي شملتنا بأن أطلب من عمي السيد جعفر أن يريني علامتي النهائية بالعربية، وكانت القوائم بين يديه، فأخذني إليه متحبباً وقال: أنا هنا عمك جعفر وهذه الأوراق للأستاذ جعفر، وكان هذا كافياً ليكون سلوكاً لرؤية الحد الفاصل في المهام والأدوار.

ومن هذا السلوك الاجتماعي إلى السلوك الوطني، وأنا لا أزال في بدايات المرحلة الابتدائية وفي سنة ١٩٤٠ يستدعيني السيد جعفر ويسلمني ورقة فيها مقاطع موزونة ويعلمني بأن مظاهرة ستقوم الآن من الجعفرية تنديداً بوعد بلفور، وكانت أول مرة تتردد هذه العبارة في صور، وسرت كما طلب أمام المظاهرة أعلي الهتافات التي سلمنيها.

وفي نمط آخر غير مباشر من التوجيه الوطني كان أن جمع السيد جعفر ولسبب ما صفان في غرفة واحدة، وكان بين التلامذة ذو صوت جميل، فطلب منه السيد جعفر أن ينشد: يا تراب الوطن. وفي الأثناء رؤي من شباك الصف ضابط أمن يعبر ملعب الجعفرية، ولم يكن العقار مسوّراً، والنشيد هذا كان ممنوعاً من قبل السلطات الفرنسية، فلذلك همس أحد التلاميذ يحذر المنشد: اسكت يا إبراهيم، ضابط فرنسي. فسمع السيد جعفر هذا الهمس فرفع أعلى صوته منشداً:

يا تراب الوطن ومقام الجدود
ها نحن جينا لما دُعينا إلى الخلود

والتهب حماس التلامذة، وكأن الجدران تصطفق، وكأن الأجداد قد بعثوا من قبورهم يستقبلون صغارهم عندالمقطع.

وكذا كانت أول صورة للتحدي، وفي هذا المجال له أكثر من صورة.

استدعاني يوماً، وإذا أنا أمام أكداس من الأسلحة الخفيفة والقنابل والذخيرة، وقبل أن أستفسر قال: هذه لمجموعات فدائية، وعليك أن تجد لها مخبأ الآن، وبعد هذا تعرف التفاصيل. وكان أن اخترت مخزناً مهجوراً في الجعفرية فلم يمانع، واستمر العمل سنتين، إلى أن كشف الأمر، واعتقلت المجموعة وحكمت بالسجن بين ثماني سنوات وخمس عشرة سنة، ولم يبق خارج الاعتراف أو الشبهة سوى السيد جعفر وأنا، والباقون وعددهم ثلاثة وعشرون مقاوماً، قضى بعضهم مدة قليلة في السجن ثم أخلي سبيلهم، وبعضهم فرّ إلى الشام، وأحدهم كان المخبر عن العملية واحتمال مكان السلاح، مما أخافه على نفسه وفر إلى الأردن.

وسبب الكشف عن الحركة هو الصراع الدائر حينها بين جناحي كميل شمعون رئيس الجمهورية والعماد شهاب قائد الجيش حينها، إذ أن شهاب كان على علم بالتنظيم، وكان مطلبه الوحيد أن تجري العمليات في داخل فلسطين حتى لا يعرف مصدر انطلاق المقاومين، وهكذا كان.

وفي السياق نفسه، كانت سيارة السيد جعفر ذات الرقم ٤٥ مجلس النواب،

وسيلة نقل الأسلحة لمقاومي حركة فتح لفترة طويلة حتى أبلغ عنها وضبطت الأسلحة فيها وأوقف سائقه المكلف بعملية النقل.

وقد يجد البعض تناقضاً في التصرف بهذين المثالين وبين القول في ما سبق من رؤية الحد الفاصل بين المهام والأدوار. وهذا أمر صحيح في يوميات حياتنا العادية أما في ما هو أبعد من المجريات العادية، وبالخصوص ما يرتبط بمبدأ الجهاد فليس من حدود إلا الشهادة أو النصر.

قد تكثر النماذج والأمثلة، ولكننا لا نستطيع إلا أن نلقي ضوءاً على جوانب مختلفة في السيد جعفر، فالتقدم هاجس يميز تكوينه الذهني ولهذا يعمل اقتحاماً لتحقيق التقدم:

ألحت حاجة المنطقة للتعلم على السيد جعفر فعزم أن يرتقي بالجعفرية من الابتدائية درجة أو درجات، وكان ذلك صيف ١٩٤٥ ولكن اعتراضات عدة ثارت في وجهه تحسباً لمستقبل هذه الخطوة وبالخصوص الجوانب المالية، لأن الجعفرية مجانية، وكلفة التجهيز والبناء والرواتب لما هو أعلى مكلفة، ولكن ترقية المستوى الاجتماعي يحتاج إلى تضحيات، فكان أن أقنع أحد المتمولين بإقراض الجعفرية كلفة اليد العاملة، أما مواد البناء فلها حكاية أخرى ترتبط بالمرحومة أم محمد زوجة السيد جعفر التي احتضنت حلم زوجها وغذته ليستقيم حقيقة.

كان أبوها المرحوم درويش أسعد قد أرسل لها من مهجره مالاً لتختار سكناً مستقلاً لأسرتها إذ كانت تسكن في غرفة واحدة في بيت المقدس عمها وأعدت لبيتها الجديد وسائل إصلاحه وترميمه والإضافة عليه من حديد وأحجار وكلس وترابة، فتنازلت عن حلمها بسكن مستقل لتبني غرف في الجعفرية للصفوف التكميلية، وإضافة عليه سلمت مصاغها لزوجها للتصرف بما يحقق الأمل.

الصفوف التكميلية رتبت تكاليف لا تقوم به المبالغ الرمزية التي وضعت بعنوان رسوم مدرسية على الطلاب، وبالخصوص أن الطلاب هم من بيوت ضيقة المعيشة، فكانت المدرسة أقرب إلى المجانية.

كان السيد جعفر قد أسس مجلة باسم (المعهد) وخصص صفحات كملحق باسم (المهاجر) يحررها المهاجرون، فاهتم المهاجرون بهذه البادرة وجمعوا مبلغ

اثني عشر ألف ليرة لتأسيس مطبعة، ولم يكن في الجعفرية ما يسدد رواتب الصيف للمعلمين، فبذل السيد جعفر ما أرسل إليه وأبرق للمهاجرين يشكرهم ويعتذر منهم بأنه اضطر أن يئد البنت لحفظ حياة الأم.

كان إذا التقى بولد يتسكع في السوق وهو بعمر الدراسة، يتعرف على حاله ثم يدخله إلى المكتبة فيمتحنه ويحدد صفه ويشتري له كتبه ويرسله إلى الجعفرية بورقة لإلحاقه.

في أول دورة نيابية له، وبعد اطلاعه على الأوضاع التعليمية في قضاء صور، أسس ست عشرة مدرسة في القرى النائية، وكان يتابع مع وزارة التربية لإنشاء مدارس لهذه القرى وكان ينقل رخصة مدرسته من القرية التي تنشىء لها الدولة مدرسة، وهكذا نشر المدارس الحكومية بلا ضجيج ولا عجيج.

في الأربعينات كان الحزب السوري القومي مهيمناً على الساحة السياسية وكان الأوحد تقريباً، ولهذا كان التلامذة بغالبيتهم من أشبال هذا الحزب.

كان التلامذة في الجعفرية ينتخبون جمعية خطابية، ومن الطبيعي أن تكون الهيئة الإدارية من هذا الحزب.

كنا أربعة فقط ذوو توجه عروبي، فطلبنا أن يفسح لنا بالمجال لإقامة نشاط ثقافي في المدرسة ونحن على ثقة بتلبية الطلب لثقتنا بعروبية المدير السيد جعفر، ولكنه فاجأنا بالقول: الجمعية الخطابية جمعية مدرسية تنتمي للمدرسة الجعفرية، والهيئة الإدارية من تلامذة الجعفرية، وبهذه الصفة كانوا، ولا أسمح بأي صراعات داخل الجسم الطلابي.

وفي بداية الصيف استدعانا وقال: الآن تفتح لكم المدرسة أبوابها لتنشطوا كما يحلو لكم، والمدرسة تتبنى نشاطاتكم.

هذه لمحات ذكرتها ليس للتكريم، وإنما للاقتداء، فهي أرقى من كل العبارات التي تحاول أن تضفي مهابة وجلالاً، فالتكريم الحقيقي هو في ترسم الخطى وإنني أعتز بما تأثرت به من السيد جعفر، وهي أرقى عندي من أنني ابن أخيه، ومن هذا التأثر تمتلكني مشاعر البنوة وفخر الرفقة.

إنسان وطن لكل غريب

الأستاذ محمد جمعة

عشّاق الفروسية وحدهم أصحاب الحق في تكريم الفارس، وعشّاق التربية والمربون دون غيرهم معنيون بروّاد التربية. وهواة الكلمة أكثر الناس تذوقاً للجمال في خصائص أرباب الكلمة.

أليست المعادلة التي تربط بين هذين الطرفين تشكل جدلياً ذات اللحمة التي تجمع بين المجاهد والقضية وبين الفارس والميدان وبين المصلح والمهمة الموكولة إليه.

وشرف لي أن أقف اليوم من على هذا المنبر، منبر الأمسيات العاملية؛ برفقة الأخ المتاضل «أبو الرائد» الذي أتاح لنا الفرصة لأكون أصغر المشاركين في هذا المضمار، لا لقصورٍ عندي من الإدلاء بدلوي مع إخوان أكثرهم من قادة الرأي وأغلبهم يتعاطون قضايا الفكر، إنما للعلاقة التاريخية التي تربطني بشخص المحتفى به كأبٍ وكأخ وكمعلم لي أجد نفسي أتعاطى مع مناسبته من موقعٍ صعب!... وحتى لا أنساق مع المناسبة بالحديث عن نفسي وكي لا أسقط في شرك النرجسية أحاول أن أكبحَ جماحَ الفكر وأمسكَ بعنان القلم متوخياً الموضوعية فيما أتقدم والمصداقية مع من أتعاطى في مسألة تكريمه.

هو في نفسي قضية؛ لم يتسوَّل مجداً؛ لأنه خبرَ المجد على الحصير في بيتِ أبيه منذ الولادة.

والمجدُ جبار على أعتابه   تهوي العروش ويسقط الجبارُ

جعفر شرف الدين وطن لكل غريب وملجأ لكل خائف، إذا صادق صدق، وإذا أؤتمن فهو الأمين وإذا طُعِن سامح من موقع القدرة على الردا . . .

عرفته وهو يخوض معاركه، فرأيته يتميز بخصائص لا تتأتى إلا للأفذاذ من البشر. إنه يصارع وهو محكومٌ في سرِّه بشرف أصيل؛ فالعسكري إذا قطع بعهدٍ يُقسِم بشرفه العسكري حتى يُطمئن ويُؤتمن! أما هو فإن سلوكيته محكومة أساساً بانتمائه النبوي وكلمة شرف بحروفها الثلاثة: مهجَّرة، يتيمة، مطاردة!

وفي هذا الزمن الرديء أصبح الشين فيها: شيطنة والراء رياء والفاء فساد ومهمتنا نحن وفي طليعتنا صاحب التكريم أن نعيد لهذه الكلمة المسفوحة احترامها بتجسيدها وهي أساس مهمتنا كتربويين؛ ومهمتنا الأساس هي صنع الإنسان مترافقةً مع زق النشء بالحروف، مهمتنا بأدلجتها تحكي جهاد علي ومعاناة المسيح وهدف السلام عند غاندي فالتربويون هم قادة الشعوب ومن هذا المنطلق ولدت فكرة تأسيس الجعفرية برأس حفيد علي المغفور له الإمام شرف الدين. وجاءت الولادة كردٍّ عملي على واقع الاستعمار والتخلف، واقع الجهل والفقر. والجعفرية في ذهن مؤسسها العملاق كانت ترجمة لفكرة الثورة التي طرحها (أبو ذر). كسر المولود المارد احتكار العلم يوم كان العلم وقفاً على أبناء الذوات والميسورين من الأثرياء ووضعه في متناول أبناء الطبقات الشعبية الفقيرة وكنا يومها في جنوب الجنوب وقبل ولادة الجعفرية نتسكَّع كالأيتام على مأدبة النظام الذي تبنى تهميش المحرومين من نعمة العلم وهم الغالبية من شعبنا.

فالجعفرية في المكان وعلى امتداد الزمان تتصدى في صعودها الحضاري إلى الإمساك بناصية التحول الاجتماعي عبر تمددها الثقافي في عملية التواصل لتنوير هذا الجيل، تمسك المعرفة بيدٍ وتقبض باليد الأخرى راية التحرر الوطني.

فكانت تكبح بفعل رسالتها المزدوجة معوقات الداخل بتصميم جعفر شرف الدين وصموده وهو يحمل بروحه ويثبِّت كل حجر من أحجار الجعفرية بدم قلبه ودموع عينيه، وتصدَّت الجعفرية في الخارج لفلول المحتلين يوم كانت تختزن في جوفها وتحت رمالها مخازن السلاح للطليعة الأولى من المقاومة ضد العدو في فلسطين وتحديداً على مشارف نهاية العهد الشمعوني البائد. ويوم كان جعفر

شرف الدين ينقل بنادق المقاومة في سيارته الخاصة وهو نائب في البرلمان اللبناني؛ هذا الدور الذي كان يمارسه وهو يتعاطى العمل السياسي تجعل منه نموذجاً للمناضل الوطني في وضع رسمي.

إن الذي يتحدث فيه بالعروبة يعتبره القانون اعتداءً على أمن الدولة ومؤامرة على الكيان رضي الله عنه.

إن إنجازاً بهذا المستوى وبهذه الشمولية يجعل من المحتفى به رمزاً متقدماً من رموز النضال الوطني ورمزاً شجاعاً من رموز العلم في هذا البلد.

نبارك لأبي محمد هذا الإنجاز ونستميحه عذراً إن قدمنا له في تكريمه ما لا يتوازى مع ما أعطاه.

وإذا كانت الدولة اللبنانية بالأمس قد وضعت على صدره وسام الاستحقاق تقديراً لخدماته ولجهاده فإن وسام شعبنا سيبقى هو المزيد من الثقة بشخصه والعزم على استكمال مسيرته.

والسلام.



كرّموا العلم

السيد علي هاشم

ياحفيد النبي يا بن إمام / طاب علماً ومنطقاً وفخارا
ملأ الخافقين ذكراً وعلماً / ووحيداً بعصره لا يبارى
زقّك العلم في البكور فأغنى / فيك خلقاً، معارفاً وذمارا
ثم كنت الرشيد في كلّ أمرٍ / ولك السبق ما عرفت الفِرارا
شمس فكر على الأنام أطلّت / فأنارت صغاره والكبارا
نصف قرن بخدمة العلم زينت / دارة المجد عسجداً ونضارا
قلّدوك الوسام والكل يدري / حيث زاد الوسام فيك ازدهارا
قدم المحتفون من كل صوبٍ / كرّموا العلم والهدى والوقارا
فأبانوا مناقباً ومزايا / من كثير، وكان هذا اختصارا
أنت نعم الإنسان يبني ليعلي / صرحَ علم للجيل يبقى منارا
مهر المجد عمره من صباه، / وأخدموا العلم، كان منه الشعارا
وبياني، ماذا يُبين بياني / إذ يراعي في بحر علمك حارا
عِقد شعري أهديه يوم زفافٍ / لعروس الآداب أحلى العذارى
حيث زُفّت «الجعفر» في احتفالٍ / ضمّ أهل الآداب صحباً وجارا
فأهني الوسام فيك وأطري / شيماً كالشموس تُبدي النهارا

جددوا العزم

المحامي الأستاذ محمود بيضون

رددوا شعري بزهوٍ وسرورْ ... راقصوا النجمَ على لحن السطورْ
وازرعوهُ خفقاتٍ في القلوبْ ... فهو سكبُ النور في جفنِ البدورْ
زينتْ ألوانه قوسَ السما ... رشقتْ بالوردِ أحلامَ الطيورْ
كل حرفٍ من قصيدي ثائرٌ ... كل بيت فيه نسجٌ من حريرْ
رَضِعَتْ ألحانه مِنْ أدمعي ... رشفتْ زهري ومنقوعِ العطورْ
لا تسلْ عنه، وعن أسفاره ... عانقت مجدافَهُ كلُّ البحورْ
عامليُّ العزمِ في ساحِ الوغى ... وهو في السلم قبابٌ من شعورْ
وهو في أرضي شموخٌ، بل منىً ... وهو رغم البغيِ روحيُّ الخمورْ
نهلتْ من دنهِ مرُّ السنين ... ثملتْ من عطرِهِ أبهى الشهورْ
عربُ نحن، وما ماتَ الإبا ... بالإبا نُسْغُ حياتي والجذورْ
نحن في التاريخ عنوان الفدا ... عزمنا من دفقِ أضواءٍ ونورْ
هذه «صورُ» بروحي نفحةٌ ... عمدتْ بالحرفِ جسراً للعبورْ
واستطالتْ شمخةً من عزةٍ ... لشريف الدين، من دونِ شرورْ
جعفرٌ أعلى صروحاً للعُلا ... دون بذخ، وفجورٍ، وقصورْ
لا تسلْ عنه وعن آبائِهِ ... قد أضاؤوا النجمَ من دون غرورْ
قد أذابوا بالتقى أطماعهم ... مثل ذَوبِ الشمسِ من فوقِ الصُخورْ
وأناروا الدربَ من وهجِ الهُدى ... إنهم في القلبِ، في عمقِ الصدورْ
ملأوا الكونَ عطاءً مزهراً ... لم يزل وشماً على خدِّ الدهورْ

ولحودُ الأرضِ قد ضجتْ بهم
صوتهم يزأرُ من عمقِ القبور

إن أزيحوا العارَ وأمضوا للفداء
فالفدا حقٌ على مرِّ العصور

أين نحن اليومَ من أجدادنا
حلقوا بالمجدِ تحليق النسور

بينما نحن حضيض وحُطام
غرقت في وحله جلُّ الأمور

لا تقولوا أخوتي ضاع الرجا
جددوا العزمَ، سنحيا سنثور



عربون وفاء

السيد حسن يزبك

أيها السيدات، أيها السادة.

تكريم معلمي وأستاذي السيد جعفر شرف الدين شيء أعتز به وأفتخر، وأعترف هنا يا أستاذي أنك أول من علمني الحرف العربي اللامع المتحرك.

ولو اضطررت أن أجمع ذكرياتي ومعالم احتكاكي معكم، لما اكتفيت بمجلد واحد.

بدأت الجعفرية في الجنوب عندما كان الجهل مخيماً، وعندما كنا نبحث عن كلمة نقولها، أو نكتبها، وكنت أنت الهدى، والمنارة التي أرشدتنا إلى بداية الطريق.

أستاذي.

سأكتفي بهذا القدر، وتحية. لكن من هنا أعدكم أن أوراقي وكتاباتي الكثيرة عنك، سأجمعها في كتاب من ذهب، ليكون عربون محبة ووفاء، وهذا وعد أقطعه على نفسي.

وشكراً.

بتكراري فيكم أتكرم

السيد جعفر شرف الدين

بسم الله الرحمن الرحيم، أنزل القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، الشمس والقمر بحسبان.

اقرأ باسم ربك الأكرم، الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم.

هذا الكلم العربي المبين، قصر الله فيه مصادر الثقافة من علم بركنيه الرياضيات والعلوم ومن أدب بزينتيه البلاغة والبيان أدوات هذه الثقافة، عاملين بها وعليها من كتاب يقرأ ويكتب وإنسان يمارس القراءة.

وصلى الله على من أمره بالقراءة، بعدما أنزل عليه آياتها ووضع في ذهنه أسرار مكنوناتها. وعلى أول من نشأ في حجره وفقه كنه رسالته وعلى ما ورد في هذه الرسالة وحفظ ما في هذه الأمانة.

وما ذلك إلا علوم القرآن وثقافته وعلم الحديث وروايته ونهج الإمام وبلاغته، وعلى من اتبعهم بإحسان على مدى اثني عشر جيلاً، الأربعة ختموا بسفراء الإمام الثاني عشر، وكان السفير منهم واحداً بعد الآخر مرجعاً لشيعة الإسلام في كل هذه الفنون، حتى إذا انتهى أمر الغيبة الصغرى للإمام وابتدأت الكبرى سلام الله عليه، رجع المسلمون كما علمهم أئمة الهدى إلى الفقيه العازف عن الدنيا. وقد بلغ درجة من علم النبي وآله ما يؤهله لاستنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية من الكتاب والسنة والحديث على هدى الأئمة المعصومين ونهجهم.

جرى ذلك من الغيبة الكبرى ولا يزال يجري حتى عصرنا هذا الذي أنجب الإمام الخميني (قدس) في غياهب مدلهمة من غربة الإسلام، ذلك المجتهد العلم الذي تبلورت في شخصيته الفذة جذوة الثورة الإسلامية، فقاد على نورها قطار الإسلام ووقف على المحطة التي تركها أمير المؤمنين عليه السلام ليستأنف القيادة عن الإمام الثاني عشر ولياً لأمر المسلمين ومرشداً للدولة الإسلامية التي أنشأها في إيران وفق دستور محمدي وضعه الفقهاء والخبراء من جهابذة أعمال الإسلام.

أقف هنا، عند اهتمام الجمهورية الإسلامية باللغة العربية وآدابها وعمالقتها، إذ أصدرت تشريعاً بوجوب تعليم لغة القرآن في المدارس الرسمية والخاصة، من أول سلم مناهجها، من الروضات إلى الابتدائية، فالمتوسطة فالثانوية، حتى إذا بلغت أجيال الأمة الإسلامية في إيران الجامعات بلغتها وهي متقنة للغة القرآن والحديث ونهج البلاغة والصحيفة السجادية.. تلك اللغة التي حفظ رونقها وبلورها الأئمة من أهل البيت، ثم الأئمة من أساطين اللغة وأبطالها جيلاً بعد جيل. من كل كاتب أفحم العقول فكراً وعلماً وتاريخاً وأدباً، ومن كل شاعر هز القلوب والمشاعر بفحولته نغماً وطرباً.

ولا تزال المجامع العلمية واللغوية والأدبية، والجامعات الأكاديمية تدرس كل كتب هذه الأسفار، وتردد في منتدياتها وقاعاتها تلك الأشعار. والجعفرية معقل من هذه المعاقل التي تحتضن هذا التراث وتعتز بهذا الميراث، وكأنني بعد نصف قرن تتوجه خمسة أعوام أخرى، كأنني أنجبت مع الجعفرية أجيالاً تحمل لواء العربية والعروبة ذات الرسالة الإسلامية التي بعثها النبي العربي العظيم.

وأنتم، أيها المحتفلون بمناسبتها، المكرمون لسنواتها أنتم طليعة أجيالها، متحدثين ومشاركين بالأمسيات العاملية التي يقودها المناضل الكبير السيد حسين شرف الدين، وقد فرعها جدولاً من نهرها الكبير الجعفرية.

وإنني تكرمت في رحابها منكم، من كل منكم، لأشعر بذلك أنني تكرمت بقدر ما تكررت.. تكررت فيكم، فكل منكم أنا وكفى بهذا التكرار، تكريماً للجعفرية منكم وتكريماً من الجعفرية لكم.

عشتم ثقاة ثقافة وإباء وعاشت الجعفرية منارة علم ونماء.

حفل المنتدى القومي العربي

١٩٩٩/١٠/٢٩



تجمعنا الأرض المقاومة

الدكتور موريس أبو ناضر

أيها الأحباء

قد يتساءل سائل باستغراب ما الذي يجمع بين ابن الجنوب، ابن صور، وبين ابن جبل لبنان، ابن بسكنتا يسطر واحدهما الكلام في الآخر دون حرج.

أهي هويتهما اللبنانية؟ أم إنسانيتهما؟ أم صداقة ما تجمع بين الاثنين على حبّ الحياة، وابتغاء الآخرة.

في الواقع، إن ما يجمعهما، أو بالأحرى إن ما يجمعني بهذا الجنوبي الكريم حبي لأهل الجنوب، هذه القطعة الغالية من أرض لبنان التي تقدم بصمودها ومقاومتها للغزو الصهيوني المثل الحيّ على أن لبنان ليس بلداً كبقية البلدان وإنما هو رسالة في هذا الشرق، رسالة بعيشه المشترك، ورسالة بتوجهه الديمقراطي، ورسالة بعشقه للحرية والتحرّر.

وإن ما يجمعني بهذا الجنوبي الكريم حبي للإسلام ولآل البيت، ولمن انحدر من سلالتهم. وهو واحد من هذه السلالة التي تحمل عبق النبوة، وحرارة الإيمان، وعمق الدين بمنحاه الإنساني، وتوجهه السماوي.

وإن ما يجمعني بهذا الجعفري الممتاز إدراكه لمعنى التعليم فالكلية التي أنشأها في صور قاهرة الإسكندر، وقاهرة الصهاينة خرجت جيلاً من المتنوّرين الأحرار الذين شاركوا في بناء الوطن على أساس أن العلم يقرّب والجهل يفرّق، على أساس أن العلم يبني والجهل يهدم.

وإن ما يجمعني أخيراً بهذا السيد العزيز وطنيته وعروبته.

فأثناء ممارسته للنيابة كان ينهج نهج الشهابية التي أنشأت دولة المؤسسات، وجمعت اللبنانيين على احترام القانون، والتمسك بأهداب الدولة. دولة الحق والعدل والكرامة الإنسانية.

وفي ممارسته للعروبة كان وما زال المثال الذي يحتذى في تقديمه العروبة على أي انتماء آخر. وفي نشره لقيم العروبة الحضارية التي تجمع العرب على التضامن في وجه أعداء الداخل والخارج، وتجمع العرب على حبّ الديمقراطية، والحرية، وتسير بهم نحو السلام فيما بينهم، والسلام مع الآخرين انطلاقاً من مبدأ السيادة والتكامل، والحرية والتحرر من الفقر والحاجة.

سيدي اقبل مني في هذه المناسبة أسمى آيات التقدير لشخصك الكريم ولصور الصامدة ولمقاومة الجنوب الحرّة والمحرّرة.



راياتك التي رفعت هي العالية

الأستاذ ياسر نعمة

مدير عام جريدة السفير

أن يُكرم العَلَمُ وهو في ذروة عطائه، وهنا في بيته، في مدينته ومنطقته، وفي وطنه، ومن أصدقائه ومريديه، ومن المؤمنين بما آمن، على تعددهم واتساع رقعة عيشهم، من صور الملامسة للبحر في الجنوب، حتى الأرز الوضاء في الشمال.

فهذا واجب نحوه يؤدى.

جعفر شرف الدين..

اسم علم، لرجل علم، نشأ وتربى وتجسد وفعل وتفاعل وبنى وغذى حياة أجيال بالمعرفة والثقافة والعلم والوطنية ولا يزال مستمراً معتزاً بما أقام وصنع.

لذلك تجدني وقد أُعطيت شرف المساهمة في كلمة أضعها، أضيع بين ما ينبغي أن يقال وما أستطيع قوله.

عليّ أن أرتقي كثيراً لأقدر على القول وأُعبر فيه.

فللسيد المكرم وهو أمامي بكل ما فيه من تاريخ وحياة ولديه الكثير الكثير مما ليس عندي، فالمهمة صعبة علي.

أيها السيد المكرَّم..

خذها مني صادقة كما هي.

إننا نكبر في تكريمك ونُكرم أنفسنا بك.

والمكرمة مأثرة جديدة يضيفها المنتدى القومي العربي إلى مبادراته، إذ يبحث فيهتدي ويختار، لينير طريقاً ويفتح سبلاً للنضال الراهن والآتي.

يتقدم الزمن أيها السيد.

ويتجدد الحلم الدافق ثم يتلاشى ويتوقف، فلا يخبو ثم يعود وفيه ما يتحقق.

الرايات التي رفعت أيها السيد هي الآن عالية في أيدي آلاف الشباب المقاوم.

وفي هذا ما يرضيك.

إنهم يكتبون مقاطع نيرة في تاريخ هذه الأمة، يصنعون من جديد في صياغة قل نظيرها وقد شارفوا على تحقيق الانتصار لخطوة هي الأهم حتى الآن على الرغم من سوء الوضع العربي العام الذي تتولاه أنظمة قيل فيها الكثير ولن أكرر ما يقال لأنني لا أحب أن أبتعد كثيراً عن موضوع هذه المناسبة الغالية.

أنت تتابع أيها السيد منطلقاً من بدايات دافقة لك في شباب مبكر وأرجو لك عمراً طويلاً تشهد فيه وتعيش بكل ما ترغب.

لقد مضى علينا وعليك عقود وأجيال لا ندري عدد شموسها وأنجمها.

فأنت زرعت في صور بستان شجر وارف يعطي الفيء والحياة.

وأنت بثثت في صور المدينة روح المقاومة الوثابة التي لم ترض يوماً بوضع اليد، وترفض الهيمنة، ووقفت إلى جانب كل جماعة تواقة للحرية، وتقدمت الصفوف، ورفعت الصوت وأعليت المنابر، واعتليتها، وكتبت وأنشأت وغيرت وحددت سبل التغيير والتعبير.

أيها السادة،

لا يمكنني أبداً إعطاء السيد جعفر شرف الدين كل حقه في كلمتي

المحدودة هذه، ولكنني أقول بأنني أدركت تقديره وحبه واحترامه متأخراً بعض الوقت!

ففي وقت لاحق من العام ١٩٦٠ تسنى لي وفي مبادرة وفاء وتقدير منه لرفيقي المناضل صديقي محمد الزيات أن رافقت السيد في زيارة له أثناء مرضه، وأدركت قبل وبعد وخلال الزيارة كم يختزن هذا الرجل الذي نكرم من محبة وسمو خلق ما شكل عندي انعطافاً نحوه نما واستمر ولا يزال وسيبقى.

لقد كنا مع السيد واحداً في التوجه القومي التقدمي الديمقراطي، وفي الثورة الداخلية الوطنية، وفي كل انتفاضة قامت بها مدينتنا ضد الإقطاع والسلطة المعادية للشعب، وفي وجه السياسيين المنحرفين، وعلى الرغم مما بدا كما لو كنا على خطين متباعدين لهما اتجاه واحد، ولفترة قصيرة، فإننا وفي قرارتنا كنا ندرك أنه لا بد ونلتقي.

والتقينا وفور انتخابه لأول مرة نائباً ذهبنا إليه يتقدمنا محمد الزيات ووضعنا خلافاتنا البسيطة جانباً واتفقنا معه على رسم ومتابعة العمل النضالي المشترك.

نحن لا ننسى أيها السادة ما فعله السيد جعفر شرف الدين للمدينة وللمنطقة وللبنان، إنه راعي المقاومة الأول بوجه إسرائيل، ويوم أن كان مثل هذا العمل ارتكاباً يعاقب صاحبه وينكل ويشهر به. ولا أذيع سراً في هذا عندما أقول بأنه ومنذ نكبة العرب في فلسطين شرّع أبواب الجعفرية وملحقاتها للنازحين الوافدين من الجليل وعكا وحيفا ويافا إلى صور، وهو منذ مطلع الخمسينات بدأ عمله المقاومة بالإعداد وبالتخطيط وبالسلاح وهنا نذكر معه رفيقه المجاهد البطل ابن هذه المدينة المرحوم محمود نعناعة، ونذكر رفيقه ورفيق محمود نعناعة المناضل أبداً إبراهيم الرملاوي، ونتذكر كم أعطت الجعفرية وعميدها من مناخها النضالي المغذي وكم أفسحت في المجال لقادة أنموا في الشباب روح العمل الشعبي الجذري وكانوا أبطالاً في مجالاتهم، قادة، كإنعام الجندي وحسيب عبدالجواد ومعهم عشرات الأساتذة ومئات الطلاب.

إن السيد جعفر شرف الدين بعد السلاح وقبله ومن بعد، أعطى وبجهد

خاص ورعاية دؤوبة لثورة الزعيم الخالد جمال عبدالناصر كل تأييد وعون، فالجعفرية هذا الصرح الوطني والقومي الكبير أسهمت إسهاماً كبيراً في بلورة الوعي القومي العربي، ولا يفوتنا أن نذكر ما فعلته بعثة الأزهر الشريف التعليمية وحمدي غرابة العربي المصري الأستاذ المقيم في الجعفرية وفي مساجد صور وأنديتها يجول وينشر الوعي ويلهب الحماسة في بنيها، ثم نذكر، الشيخ محي الدين حسن الأزهري القومي العربي الآخر وما فعله ويومياً في هذا المجال بتشجيع من السيد جعفر وبرفقته.

هذا القليل الذي أذكره له، هو من كثير فيه.

لقد نهل من بيت أبيه ومنه وعنه العلم والمعرفة والأدب والثقافة والسياسة، ولهذا البيت دائماً رب يحيمه وحدٌ يبنيه، فالوالد العلامة الأكبر آية الله الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين ذو الفكر العظيم النير والقامة العملاقة التي نبتت على ضفاف الليطاني وشعت من جبل عامل وملأ نورها العالم العربي والإسلامي يذكر الناس هنا وفي كل مكان أنه عندما عاد من النجف عالماً مجتهداً عاد مطوقاً بفتوى المرجع الأكبر التي قالت إن الرادَّ عليه كالراد على الله.

ويذكر الناس وفي كل مكان وقفاته الجبارة في وجه المستعمرين، ويذكرون له رعايته لمقاومة تلك الأيام التي انطلقت من وادي الحجير ملعب المقاومين اليوم، ويعرفون أن أئمة اليوم ينهلون ما زالوا من علمه وفتاواه وكتبه كما أئمة الأمس وطلاب العلم في الغد.

أيها السيد المكرم،

إنني في يوم تكريمك أهديك الصدق وليس لي منك إلا الصداقة، إلا الحب الذي أحسه منك.

لقد قلت بعض ما عندي ولم أقل أكثر مراعاة مني لتواضع مغروس فيك.

يرضيك، أعرف، أن أتحدث عن سواك في يوم تكريمك لهذا ابتعدت عن شخصك وتراني لا أبتعد حتى أعود.

يكفي أنك حافظت على جذوة المقاومة في الجنوب، وها هي ذي المقاومة

تضرب في كبد العدو، توجعه وتفزعه وتفرض عليه معاودة مراجعة حساباته وهو يُحار أمام أرقام ونوعية خسائره، أن ماذا يعمل؟

إنك رافقت ودفعت وغذيت معظم التنظيمات التغييرية الحزبية وغير الحزبيرة وكنت تتطلع دائماً إلى غد أفضل وأكثر إشراقاً وأبعد مدى، تتطلع إلى تحقيق عدالة اجتماعية لأمة لا سبيل إلى نهضتها سوى الإيمان بالحرية واعتماد الديمقراطية والتوجه نحو الوحدة.

إنك لم تيأس ولم تُحبط لأنك كنت تدرك بعلمك وفهمك وسعة المعرفة لديك بأن أمة العرب عانت في الماضي مما هو أسوأ من معاناتها في الحاضر.

وما علينا إلا أن نعمل ونعمل، فالأمة ولادة ولها الغد.

بورك تكريمك يا سيد.

وبورك لنا بعافيتك وبعمرك المديد.

تحيتي لك.

شكراً لكم أيها السادة.

نسيجه من رحلة التاريخ الإنساني

الأستاذ معن بشور

رئيس اللجنة التنفيذية للمنتدى القومي العربي

ليست هذه هي المرة الأولى التي يتسنى لي فيها شرف المشاركة في تكريم الصديق الكبير السيد جعفر شرف الدين.

فلقد كانت المرة الأولى في (دار الندوة) في بيروت التي كرمته مربياً كبيراً في عيد المعلم، وكانت المرة الثانية في دير مار الياس في انطلياس حيث كرمته الحركة الثقافية كعلم من أعلام لبنان، ولكن تكريمه اليوم يكتسب معنى مختلفاً ومميزاً، فهو تكريم في صور المجاهدة وفي الجنوب الصامد والمقاوم.

فصور مدينة الخمس آلاف سنة، مدينة المقاومة المتجددة، والحضارة المتواصلة، (صور متروبول فينيقيا وأم الصيدونيين) مسقط رأس عشتروت، مقر ملقارت، وملجأ ايزيس، ومنطلق اليسار (ديدون) الهاربة لتؤسس قرطاج، ومملكة أحيرام، صور التي قال عنه النبي حزقيال في سفره: «كاملة الجمال، تخومك في قلب البحار، أبناؤك تمموا جمالك، أخذوا أرزاً من لبنان ليجعلوا لك سواري.. كتان مطرز من مصر هو شراعك، وأهل صيدون وأرواد كانوا ملاحيك».

بل صور هي الثغر العاملي الذي رابط فيه أحرار الأمة عبر القرون دفاعاً عن هويتها وكرامتها، بل هي التي انطلق منها في مثل هذه الأيام عام ١٩٨٢ المجاهد البطل الشهيد حسن قصير ليفجر مقر الحاكم العسكري الإسرائيلي بعد أن حوله المحتل إلى قاعدة لإرهاب الأحرار، وإلى مركز لاستقبال العملاء والجبناء، فكانت تلك من أوائل العمليات النوعية التي طالت فيما بعد العديد من مراكز

الاحتلال، والتي ساهمت في إطلاق مقاومة مجاهدة ما زالت حتى الساعة تهز ركائز الاحتلال وتعيد رسم تاريخ جديد للبنان والأمة.

ولقد ظن كثيرون قبل عملية صور الاستشهادية في ١٢ تشرين الثاني ١٩٨٢، أن ليل الاحتلال سيطول، وأن الهزيمة قدر الأمة، وأن معادلة الغزو قد باتت حقيقة العصر، وأننا قد دخلنا العصر الإسرائيلي إلى الأبد.

لكن قلة من اللبنانيين آنذاك لم تستسلم للاحتلال أصلاً حتى تستسلم لمعادلات يفرضها، ونتائج يقود إليها، بل أنها أدركت بحس تاريخي وبالتزام وطني، أن لبنان قد دخل عصر المقاومة لا الخنوع، عصر التمرد على المعادلات المفروضة لا عصر الإذعان للاتفاقات المعقودة، عصر خالد علوان وراغب حرب، وبلال فحص، ونزيه القبرصلي، ومحمد سعد، وخليل جرادي، ولولا عبود، وسناء محيدلي وعباس الموسوي، وهادي نصرالله، وبيار أبو جودة، أبو علي الديب (أبو حسن سلامة).

بل هو عصر الأخضر العربي وأبو علي حلاوي وواصف شرارة وملحمة الطيبة التي سطرتها عائلة شرف الدين، علي وولديه عبدالله وفلاح.

من هذه القلة كان جعفر شرف الدين، بل كان صوته هو من الأصوات النادرة التي ارتفعت مبكراً في وجه الاحتلال وإفرازاته ونتائجه، فكان حاضراً في كل منبر وطني، وكانت مقالاته تشع في صفحات الرأي، وكانت خطبه تدوي في العديد من الاحتفالات.

في تلك المرحلة بالذات، أي عام ١٩٨٣، تعرفت إلى السيد جعفر، وتوطدت علاقتي به، وازداد احترامي لمواقفه، وإعجابي لحيويته وتدفقه، وأذكر أنه والرئيس تقي الدين الصلح - رحمه الله - قد تركا في نفسي، ومن موقع الجيل الذي ينتميان إليه، تأثيراً عميقاً في تلك المرحلة، لكلام جريء قالاه حول مقاومة الاحتلال ورفض إفرازاته. في زمن كان الخطاب الانهزامي هو الخطاب السائد.

قبل تلك المرحلة كان جعفر شرف الدين بالنسبة لي مؤسساً لصرح تربوي وطني مميز تعرفت إلى العديد من خريجيه رواد النضال الوطني والقومي في الخمسينات والستينات والسبعينات، وكان بالنسبة لي أيضاً نائباً وطنياً وشعبياً تطلعت بحماسة إلى فوزه - وأنا فتى - عام ١٩٦٠ مع زميله الآخر الوطني البارز

السيد محمد صفي الدين، ولا أخفيكم في هذا المجال أنني كنت أتمنى أن ينجح معهما أيضاً المناضل القومي العربي البارز آنذاك، والذي خطفه الموت منا باكراً، المغفور له محمد الزيات.

لكن بعد عام ١٩٨٢ تحول جعفر شرف الدين بالنسبة إلي إلى رمز جنوبي مقاوم، مقاوم للاحتلال، ومقاوم لإفرازات الاحتلال البغيضة وأبرزها الإفرازات الطائفية والمذهبية التي حاولت أن تعصف بالوطن.

ولا أنسى وقفته آنذاك، في مهرجان دعينا إليه في أواسط الثمانينات في قاعة جمال عبدالناصر في جامعة بيروت العربية وفي ذكرى الوحدة المصرية ـ السورية، بل لا أنسى كلماته التي أطلقها كسد في مواجهة كل محاولات التفرقة والإثارة الفئوية والمذهبية.

أيها الأخوات والإخوة

ما كان للسيد جعفر شرف الدين، أبي محمد، أن تجتمع فيه هذه المزايا، فكراً وخلقاً ونضالاً ومقاومة، لولا أنه قد تلاقت في نسيجه الفكري والإيماني والنفسي رحلتان عابقتان بأسمى المعاني والقيم والدلالات.

رحلة التاريخ الإنساني بكل محطاته الحضارية التي تعاقبت على مسقط رأسه صور، إلى الرسالة الخالدة التي نزلت على النبي العربي الكريم فحملها مع صحبه وآل بيته، وإليهم ينتسب أبو محمد انتساباً اعتبره تكليفاً بقدر ما هو تشريفاً، ومسؤولية بقدر ما هو مصدر فخر واعتزاز، إلى المقاومة المتجددة للاستعمار الغربي وقد انطلقت في مطلع العشرينات من مؤتمر وادي الحجير بقيادة والده المجتهد الأكبر الإمام عبدالحسين شرف الدين رحمه الله، لتتواصل في الخمسينات نضالاً ضد الأحلاف والمشاريع الاستعمارية انطلاقاً من الكلية الجعفرية، ولتتوج اليوم منذ أوائل السبعينات بمقاومة باسلة هي اليوم شرف الأمة ورمز كرامتها.

أما الرحلة الأخرى، فهي رحلة الجغرافيا حيث التواصل لم ينقطع يوماً بين صور وكل لبنان، بل بينها وكل الساحل المتوسطي الممتد من الاسكندرونة إلى الاسكندرية إلى قرطاج في المغرب العربي.

فكما عاش حياته مسكوناً بتلك المحطات التاريخية الشديدة الحضور في تكوينه الشخصي والعائلي، بل بذلك الإرث الحسيني الجهادي، فإنه أيضاً بقي مشدوداً إلى تلك الآفاق والمسافات الرحبة داخل وطنه اللبناني الصغير وعلى امتداد وطنه العربي الكبير.

وبهذا المعنى فقد تصالحت في داخله هويات، وصفها أمين معلوف في كتابه الأخير «بالقاتلة»، لا بل تفاعلت وتكاملت، فلا صوريته وعامليته قلصت من حضوره الوطني اللبناني بل عمقته، ولا لبنانيته انتقصت من التزامه العربي القومي بل أغنته وأخصبته، ولا عروبته أضعفت من إيمانه العميق بالإسلام بل اعتزت بهذا الإيمان وتعززت، ولا إسلامه حال دون انفتاحه على المسيحية والمسيحيين من أبناء وطنه وأمته، بل إنه التزم بحماسة بالأمر الشرعي الذي رأى فيهم «الأقرب مودة» في الإيمان، كما بالشعور القومي والوطني الذي رأى فيهم شركاء في الوطن والمصير.

أيها الأخوات والإخوة

لو سئلت عن أسباب تعثر مشروع النهضة في أمتنا، لأجبت باختصار شديد أن السبب الرئيسي يكمن في غياب فضائل ثلاث عن نهجنا وسلوكنا وآليات عملنا. وهذه الفضائل هي: التواصل، والتكامل، والتراكم.

ولو سئلت عن الفضيلة الأولى بينها لاخترت فضيلة التواصل، لأنه بدون التواصل لا يقوم تكامل، ولا يتحقق تراكم.

فالتواصل المطلوب هو تواصل بين الأقطار، وتواصل بين الأفكار، وتواصل بين الجماعات، لكنه بشكل خاص تواصل بين الأجيال، تواصل الخبرات والتجارب، تواصل التراث والعصر، تواصل المراحل والمحطات.

من أجل هذا التوصل، كركن من أركان النهوض، نحرص في المنتدى القومي العربي أن نلتقي دوماً رجالاً ورواداً، حول تجارب وخبرات، وها نحن اليوم في صور نلتقي حول علم من أعلام الوطن، ورائد من رواد العروبة، بل حول تجربة مضيئة متدفقة مثلتها سيرة الأخ الكبير السيد جعفر شرف الدين.

اقتران أسماء وتلازم أهداف

المحامي الأستاذ خليل بركات

رئيس الهيئة الإدارية للمنتدى القومي العربي في الجنوب

عندما نتكلم عن السيد جعفر شرف الدين، يتبادر إلى الذهن فوراً اسم الكلية الجعفرية والعكس هو الصحيح أيضاً.

ذلك أن اقتران اسم الكلية الجعفرية باسم السيد جعفر، كان بمثابة اقتران الاسم بالمسمى، بحيث يستحيل الكلام عن السيد دون الوقوف عند تاريخ الكلية.

فدور الكلية الجعفرية في منطقة جبل عامل، في حقبة الأربعينات والخمسينات والستينات من هذا القرن الذي نودع... كان دوراً تاريخياً على الصعيدين التعليمي والوطني.. وكان فيها السيد جعفر فارس تلك المرحلة. فعلى منكبيه قامت الجعفرية برعاية وتوجيه من والده المرحوم المقدس عبدالحسين شرف الدين. وبعد وفاة والده، استمر في حمل مشعل الجعفرية، وحتى يومنا هذا.

ولا نغالي إذا قلنا، بأن للكلية الجعفرية فضل على كل من تجاوز في علمه المرحلة الابتدائية. في منطقة جبل عامل. حيث كانت الحاضن الوحيد لكل راغب في التحصيل العلمي للمرحلتين التكميلية والثانوية، فكانت بذلك الشمعة الوحيدة وسط ذلك الظلام الدامس، وكان السيد جعفر الحارس الأمين لتلك الشمعة.

وإذا كانت الكلية الجعفرية، قد أدت رسالتها التعليمية في أصعب الظروف، فإن أداءها لرسالتها الوطنية والقومية، لم يكن أقل شأناً. فقد كانت الجعفرية

صرحاً عروبياً متميزاً، لا سيما في الخمسينات والستينات، حيث كان تلامذتها ينهلون من الفكر القومي، مثلما كانوا ينهلون من الكتاب المدرسي.

في تلك الحقبة التاريخية، كان العلم والوعي القومي هدفان متلازمان في الجعفرية. وفي الوقت الذي كانت فيه حركة التحرر العربية في أوج حماسها وعنفوانها، كانت الجعفرية منارة قومية، كما كانت ثانوية الإتحاد ونادي التضامن بقيادة المرحوم محمد الزيات منارات مشعة قومياً، بحيث بدت صور العروبة بأبهى صورها.

ولم تكن الجعفرية لتقوم بهذا الدور الطليعي، لولا أن القيمين عليها، وفي طليعتهم السيد جعفر شرف الدين، كانوا من حملة الراية. راية العلم وراية العروبة.

لهذا، كان من الطبيعي، أن يكرم المنتدى القومي العربي في الجنوب السيد جعفر شرف الدين، وفاء منه للدور الذي قام به، في منطقة جبل عامل، ووفاء منه للشخص الذي أعطى من عمره الكثير من أجل العلم والعروبة.

إن حفلة التكريم هذه، تأتي في ظروف يعاني فيها شعبنا من الاحتلال والعدوان الصهيوني وعلى الرغم من ذلك، فإن شعبنا صامد في أرضه وقوي بمقاومته التي تكتب بالدم تاريخ أمتنا بعزة وكرامة.

إن المنتدى القومي العربي، الذي هو صيغة للحوار الثقافي والفكري بين أبناء التيار القومي، والهادف إلى استنهاض هذا التيار، بانفتاح كلي على التيارات الأخرى، يحيي بهذه المناسبة، السيد جعفر شرف الدين وأسرة الجعفرية على حملهم الرسالة رسالة العلم والعروبة ويعاهد على الاستمرار في حمل راية العروبة من أجل أن تنتصر أمتنا على أعدائها وتحرر الأرض وتبني المستقبل الذي يليق بماضيها المجيد...

معك نعيش في حضرة الهدى

الأستاذ غازي قهوجي
كلمة خريجي الجعفرية

نتجه نحوك فيسبقنا الكثير الكثير من الورد إليك.

نتلمس وهج نهجك فتزهر الذاكرة، وتبسم جذلى شبابيك حواري المدينة، فيضج عبقاً ياسمين الدار، ويشع وشم الرسوم الطفولية على بقايا حجارة الفينيقيين وتيجان عُمُد الرومان، وتفتح صدرها شوقاً كل بساتين الجنوب، بساتين الزهر والثمر والعطر والمتراس، شجر الصمود وعباءة المقاومة.

نرد غديرك فيباغتنا على دهش حمام أبيض يهدهد ذاكرتنا بين «مقام» الهديل و«حال» صفق الجناح، لنغيب «وجداً» ونعود عبر البوح والدوح وأيام العمر الجميل. لكأنها «الحضرة» رفعت على الهدى وثبوت الاعتقاد، فأدت إلى رؤياك بعين القلب، على ألقِ «حسيني» الشهادة والمواجع، مجسداً «القطب» الجامع الموحِّد لبَرٍّ، بفخر شكّل فضاء ومدى جبل عامل، وبحرٍ، بشغف أطلق الحرف واللون والشراع.

ومنذ البدء برقت عيناك مباركاً، وتُوِّجت هامةً هامَّة في هذا الوطن بعميق انتمائك القومي وثوابت عروبتك النقية: مربياً وطنياً وأديباً علماً، ورجل فضل، وفضيلة، حملت مسيرتُه مواقفَ ومنجزات أعطت زمننا علامة فارقة في الممارسة السياسية، عبر كسر تقليد السائد والمألوف.

ومنذ صباحات العمر برزتَ خطاً عالياً مبنياً على ما غرسه فيك الرائد العربي

الكبير الراحل العلامة السيد عبدالحسين شرف الدين، صاحب العلم وحافظ الدين وثوري الجهاد، الرافض وثيقة الود والغش والمصالحة بين حدّ السكين المسنون وغفوة وريد العنق، يومها حين أطلّ عاصفاً على «الوادي» مواكباً ومظلّلاً برفّ حمام وسرب سيوف، واضعاً - كثيفاً - قطعاً من الليل في عباءته ليتخفّى بها نهاراً أيام عسف الانتداب وطاغوت عيونه.

وعلى صراط هذا الدرب الوطني الجهادي العروبي المنفتح أصبح لا فصل ولا فكاك بين نهج السيد جعفر وبين رسالة الإمام المؤسس.

حلت الجعفرية كمنارة وطنية وهرم متجذر في المدينة مؤكدة على الدوام أصالة تراثنا وحتمية انتمائنا، لتنطلق من هذه الكلية أولى التظاهرات وأولى الانتفاضات وأولى العمليات الفدائية ضد العدو الإسرائيلي في فلسطين بثمن كبير جعل قاماتنا تعلو وجباهنا تتمجد من الشهداء والمعتقلين والمفقودين وحين صيح كما على عهد المؤسس الأول في أرجاء الجعفرية تخريباً ودماراً ونهباً.

أيها الأصدقاء

كان جسراً مكيناً - للتواصل - هذا الصرح المسمى «بناية المهاجر» وهو من قام بدعم من بحر مغتربينا في أربع جهات السفر. الجنوبيون الذين ترحّلوا وأخذتهم المسافات والصحارى والغابات ليدمنوا البعاد على أمل الوصال، كما يبتعد الجناح عن الطير في طيرانه، والغصن عن الشجرة في نموه، وكما يغادر الجدول النهر وهو فيه إلى تراب جديد.

فمن أعطى لا ينبغي له أن يتذكر، ومن أخذ لا ينبغي له أن ينسى.

أيها الأحبة

عرفت وأترابي السيد جعفر كل مراحل العمر، ومعه مشينا سوياً على وتر الضفتين معاكسين مجرى النهر للوصول إلى المنابع، وأعترف الآن يا أبا محمد بأننا كنا منك على قرب خاص وكنا نعرف عن ظهر قلب جميع حسناتك وأنت تدرك ببساطة كل أخطائنا وسيئاتنا.

ولهذا غَمَرَ ودك جوانحنا وأصبحت لخيرك وتسامحك ملكاً عاماً للمدينة والجبل والوطن عرفت السيد طويلاً وأدركت كيف كان يحتكر حزنه لنفسه، وكيف كان يهب فرحه للآخرين.

إنها شهادة متواضعة لطالب لديك، فالكلام أمامك وعنك يطول ويصيب شتى المطارح والمحطات ومئات السمَّار والأهل والأصدقاء، فلا زال يسكن الأسماع هدير موج الشاطئين، ولا زال يقيم في العيون بدر الرمل المتكامل، حيث تتجمهر البيوت وتتلاصق على محبة ووداد محيية وجهك، لكأن طيفك الساري بينها مخترقاً الأهازج هو من أجبر الحوت على ترك خد القمر.

ما أبهج صيغة الحاضر في الكلام عنك، وكيف أنت - غزيراً - جذبتنا لهوى اللغة وزرعت فينا فخر الانتماء القومي أيها الحاضر الدائم المقيم في القلب والعين والذاكرة.



جدي الذي أحببته

غفار علي شرف الدين

باسمه تعالى

الصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين..

أيها الحضور الكرام... السلام عليكم.

نحتفل اليوم بتكريم جدي المخلص الحبيب الذي أحببته طيلة حياتي وسوف أظل أحبه إلى أن أموت، لأنه يحبنا كلنا أحفاده وأولاد أحفاده ولا يغمض له جفن قبل أن يسأل عنا، ولا يلمس طعامه قبل أن يطعمنا ولا يشرب الماء قبلنا، ويخاف علينا وعلى سلامتنا ويمنعنا عن الأشياء المضرة.

لكنه هو أيضاً مخلص ومحب لعمله، لقد حافظ على الصرح الذي أسسه أبوه، جدي الكبير، الإمام الراحل السيد عبدالحسين شرف الدين قدس سره.

ألا تعتقدون يا ضيوف الجعفرية أن هذا الجد مخلص لعائلته ولعمله؟

وأنتم تعرفون القصص والقصص عن الجد الكريم، فأنتم تعرفونه ولا داعي لأن أخبركم عن أفضاله التي لا تنتهي.

إن كلمتي المحببة لجدي الحبيب لا تعبر عن كل ما في قلبي المحب لجدي.

مئة قبلة بل آلاف منها إليك من أحفادك يا جدي... وشكراً.

بك أنت وحدك تستجير الدار

الأستاذ حسين نجيب حمادة

بسم الله

أنا والهوى والليل والسمّار ... وشباك صياديك والقُبار
وبنات وحي مهرهن محارة ... للشاطئ الغافي بهن أوار
ورفوف أحلام على أهدابنا ... لا الشال ينكرها ولا الزنار
جئناك من وجع السنين يشدنا ... شوق الأحبة والدموعُ غزار

* * *

يا صور بُحّتْ فيك حنجرتي فهل ... يرضي صباحك بلبل وكنار؟
والشيب لف ربيع أيامي فهل ... لي في ربيعك معلم وسوار؟
فأنا غريب الدار منذ فراقنا ... عمر الغريب مراكب وبحار

* * *

صور التي أحببت بلُّل دمعها ... صدري فسالت والدموع جمار
نفرت من الحبر الحروفُ ولم يعد ... يحلو لها من شطِّيَ الإبحار
والريح مزقت الشراع وعنف ... الموج الشُّباك وصودرت أفكار
والساهرون على غلال بيادرٍ ... حملوا البيادر والغلال وطاروا
والطالبون المجد فوق منابر ... حملت عمالقة البيان قصار
يا دار ها قد عدت، عفوك سيدي ... بك أنت وحدك تستجير الدار
لك كلما أعطيت منبر مجدها ... تهفو القلوب وتشخص الأبصار
وتصير أحلام الحروف مساكباً ... يلهو ويلعب فوقها آذار

وتمر بالنهر العجول لتنتقي   من بينها شالَ الهوى عشتار

* * *

غنيت أوجاع الجنوب فحولت   غضباً حنانَ الريشة الأوتار
وملاعب الفصحى وقد حفّت بها   مهج الجموع وأسرجت أمهار
شدت على الداني البعيد وأعلنت   من دون مُهرك لا يثار غبار

* * *

شدوا على الخيل السروج وساروا   لا الخيل خيلهم ولا المضمار
رفعوا على الضّعة الجباهَ وحولهم   يتحلق الأزلام والأنصار
والغار في وادي الحجير يعب من   عبق التقى والطامحون كثار
ألقى عليهم نظرةً وعليه من   جبل البطولة هيبة ووقار
رفض الجباه وعاد من وَلَهٍ على   قدميك دلل وجنتيه الغار

* * *

لو قيل من سكب الإباء على أسى   جرح جنوبي إليك يشار
ومن ذا الذي حمل الحروف مشاعلاً   في ليل عاملة إليك يشار
ومن الذي بالصدق توج منبراً   تاريخه كذب إليك يشار
ومن الذي زقته خيرُ عمامةٍ   أسرارَ واديها إليك يشار
فكأن قافلة الضياء سفينة   تمضي وأنت البحر والبحار
وكأنما الأقلام لا يحلو لها   إلا على صفحاتك المشوار
قانا وللجرن المبارك قصة   لا الكرم أدركها ولا العصّار
صارت مياه الجرن صخراً فارتَوَتْ   أمم وفاضت أكؤس وجرار
وسكبت فوق الخمر من أعماقنا   وجعاً، وحين استنكف الخمار
حولت خمر الجرن صبراً فانتشى   فرحاً جنوبُ الخيرِ والغزار
والجعفرية عند رهبة سورها   سجد الزمان وكبر الأحرار
اليوم صافية الكؤوس تدار   وتشق صدر الظلمة الأنوار
والشمس تطلع من نسيج عباءة   ناراً فتلتهم الغزاةَ النار
فالناشران البشر فوق مساحة   الآتي صهيل الخيل والتزآر
والزارعان الرعب في آذانهم   عرس الرصاص وصوتك الهدار

* * *

التكريم لتيار الجهاد

بسم الله الرحمن الرحيم

نحتفل اليوم سيداتي سادتي بتكريم صفوة الهيئات الثقافية في لبنان. تلك الشريحة المتميزة من الطليعة اللبنانية. لأنها الواقفة على قدم وساق في رعاية من حولها من المتطلعين إلى حياة أفضل تسير على ضوء ما تدعوها إليه هذه الطليعة المثقفة من معرفة ذاتها وتقدير حجمها.

هذه الذات وهذا الحجم المفترى عليهما من المترفين الغارقين في رغد العيش يريدون ليحافظوا على امتيازاتهم بتحجيم من حولهم كأنهم رعايا. يستخدمونهم ويدوسون حقوقهم كأنهم همل لا حول لهم ولا قوة. حتى إذا قامت هذه الطليعة الثقافية بما تحمله من أفكار شعبية واجتماعية فتحوا عقولهم على ذواتهم. ويفتحونها اليوم في هذا الحفل التكريمي بتكريم أنفسهم بأفصح بيان وأكرم معاني زنة الفعل والقول والكتاب والخطابة التي توزن بالذهب التبر بما لا يوازيه الشكر. تماماً لجهاد المقاومة الإسلامية التي تخوض الحرب المقدسة ضد العدو الصهيوني باسم كل المسلمين وكل العرب لا باسم لبنان وحسب، أو الجنوب لا غيره. فحفرت في التاريخ المعاصر ما حفرته بدر وأحد وخيبر في صدر البعثة النبوية المباركة. فسلام الله على المجاهدين والمستشهدين في أي زمان ومكان.

أخي المجاهد

الأستاذ معن بشور وإخوانه المجاهدين في دار الندوة والمنتدى القومي العربي وتجمع اللجان والروابط الشعبية واتحاد الشبيبة اللبنانية.

هذه المؤسسات المباركة هي التي كونت التيار العربي الذي تفاعل في لبنان فأيقظ النائمين وأوقف القاعدين ودفع بالقائمين إلى السير قدماً نحو الأهداف التي رسمتها هذه المؤسسات بفعل النوعية المنبعثة بالمحاضرات التي صدرت عن رموز هذه المؤسسات وبالندوات التي عقدتها وبالتوجيهات التي أعلنتها تلك المحاضرات والندوات والتوجيهات والآراء التي بثتها هذه الرموز في صفوف الجيل الطالع والأجيال التي يتألف منها المجتمع. الأمر الذي جعل من لبنان مصدراً رئيساً للحس القومي والوطني. وميداناً مترامي الأطراف للدعوة إلى بعث المبادىء العربية التي بعثها من قبل زعيم العروبة الراحل الرئيس جمال عبدالناصر ويبعثها اليوم زعيم العروبة القائم بعده الرئيس حافظ الأسد وما أفرزت سيرتهما من حركات وأحزاب تتمثل بالقومية العربية وبحزب البعث العربي الاشتراكي وبدار الندوة وبالمنتدى القومي العربي وتجمع الروابط واللجان الشعبية. هذه الرموز الرسالية التي صدرت عن النهضة العربية التي أشرت إليها بالتفصيل هي الجديرة بالتكريم لتفعيل دورها الحضاري العربي بتفعيل مؤسساتها ومشاريعها.

أهلاً بكم في الجعفرية التي رفع مؤسسها سمكها برموش عينيه لبنة لبنة وأقام دعائمها على كتفيه قربة إلى الله ورسوله وأهل بيته ليستقبل بها أجيال الأمة تزقهم العلم زقاً وترسي الخلق في نفوسهم حناناً ورفقاً..

وها هي تستقبلكم الآن يا ورثة القومية العربية ورموزها محتفلة بتكريمكم يا من توفقتم لإنشاء هذه الأجيال على بركة الله ويسرتم لهم في جبل عامل سبل المعرفة على أسس التراث العاملي الذي زرعه أبو الثوار أبو ذر الغفاري صاحب رسول الله وحبيبه وتلميذ علي وربيبه. ذلك الذي أورث العلم والتقوى لعلماء جبل عامل أولئك الذين أورثوا علمه وعمله لجبل عامل جيلاً بعد جيل فكان منهم العلماء المجاهدون والمرابطون والمهاجرون إلى أرض الله الواسعة والمجاهدون بالحق أمام المستبدين الجائرين لأن كلمة الحق أمام حاكم جائر أفضل من عامة الصلاة والصيام.

هؤلاء هم المكرمون الأوائل تراث هذا البلد وثروته الذين نعتز بهما ونفتخر.

هذه الثروة وهذا التراث أفرزتهما كلمة الحق التي جأر بها أبو ذر أمام سلاطين عصره أينما حل وارتحل مبعداً مشرداً. فنال بحق ثواباً يعدل ثواب من زرعهم على شاكلته أوتاداً للأرض فإن العلماء في الناس جبال يحمونهم من الزعازع والأخطار كما تحمي الجبال الأرض القائمة عليها من الزلازل والكوارث.

نعم: إن التكريم إذن لهذه الثروة وهذا التراث وأنتم منهم وإليهم نسباً وحسباً. انتماء واقتداء ومن الانتماء الاقتداء إقامتكم هذا الاحتفال وأنا منكم أقوم إن قمتم وأتحرك إن تحركتم فدار الندوة داري والمنتدى القومي منتداي ومحياي. وكذلك المجلس الثقافي للبنان الجنوبي والحركة الثقافية في كل بلد أو دسكرة في جبل عامل.

إن كل ذلك روح البلاد وخفقات قلوب ذويها وساكنيها فحياكم الله وحياهم وكوثرهم وأحياهم. والسلام عليكم وعليهم والازدهار لكم ولهم. شاكراً لكم ولهم إقامة هذا الحفل الكريم.

جعفر شرف الدين

دار التقريب بين المذاهب الإسلامية

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

مؤسسات الكلية الجعفرية في صور

تكرم السيد جعفر شرف الدين

بمناسبة

صدور كتابه : الموسوعة القرآنية

قصر الأونيسكو

١٨ ـ ٥ ـ ٢٠٠٠



من غار حراء الرحلة

المهندس حسين نجيب حماده

ممثل فخامة رئيس الجمهورية معالي الدكتور حسن شلق

ممثل دولة رئيس مجلس الوزراء سعادة الأستاذ عدنان دمياطي محافظ جبل لبنان

سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ د. محمد رشيد قباني

سماحة رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين

ممثل سماحة الشيخ أبو حسن عارف حلاوي

أصحاب الدولة والمعالي

أصحاب السعادة النواب

السادة سفراء الدول العربية والإسلامية

السيدات والسادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في زحمة أحلام اليقظة..

وقف الكلُّ في باب السلطان ينتظرون النعمة.

وقف السلطان وحدّق، فلم ير بين الحاضرين المارد الجنوب، واستعجل الرسولَ الجوابَ فكان: عُذ لسيّدك وقلْ له:

إذا رأيت الملوك على أبواب العلماء، فنعم العلماء ونعم الملوك. وإذا رأيت العلماء على أبواب الملوك، فبئس العلماء وبئس الملوك.

يومها صارت العباءة الكساء..

راية الجنوب المقاوم..

وعلى مسافةٍ من الجعفرية أفلتت ريشة من جناح النورس الغافي على صدر التعب واشتد لهاث الريح عند عناد السور.

حطت الريشة على البرج المطل على الشهادة، رأت اللوحة ضمته البحر وارتمت الريشة تستحم. دللتها أحلام الصغار على صدر اللوح المدى.. فكانت الثقافة المقاومة.

وفوق شموس أسرجتها الريح، دقت حوافرها أعناق الفوارس شدَّ فارسها الأحب، فانطلى الخندق على ذاته..

ويبدأ من غار حراء الرحلة، مع أول سورة الكتاب.

سلام الله على جدك وأبيك وسلام الله عليك سيدي. لا يحلو لنا الإبحار إلا في كتابك.

هو أمر قد قُدِر

د. الشيخ محمد رشيد راغب قباني
مفتي الجمهورية اللبنانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله عز وجل الذي نزَّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً معاني تقشعر جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴿**ذلك هُدَى اللَّهِ يهدي به من يشاء * ومن يُضلِلِ اللَّهُ فما له من هاد**﴾.

وبعدُ أيها السادة:

فإن القرآن العظيم هو كتاب الله عز وجل وخاتم رسالاته إلى الناس، إنه كتاب علم ونور وهداية من الله، الذي خلق هذا الكون العظيم وما فيه، وخلق الإنسان على أرضه في أحسن تقويم، وهو العليم والأعلم بما يصلح الإنسان في حياته الدنيا على الأرض، وفي الدار الآخر بعد معاده إلى الله، وقد قال الله في القرآن العظيم: ﴿**هو أعلمُ بكم إذْ أنشأكم من الأرض وإذْ أنتُم أجنَّةٌ في بطون أمهاتكم فلا تُزَكُّوا أنفُسَكُم هو أعلَمُ بمَنِ اتَّقَى**﴾.

إن الله حينما خلق هذا الكون أيها السادة، وأودع فيه كل شيء مما خلق، جعل له نُظُماً وقوانين ينتظم بها، لولاها لخرب هذا العالم، وكذلك حينما خلق الله الإنسان في هذا الكون وهبه العقل الذي به قوام الإدراك والفهم والتفكير، وبعث له الرسل والأنبياء، وأنزل عليهم الكتب والرسالات، لتنتظم بها حياتهم،

من لدن آدم عليه السلام، إلى أن ختمها بالقرآن وبخاتم الرسل والأنبياء، سيدنا ونبينا محمد ﷺ.

والقرآن العظيم أيها السادة، وهو خاتم رسالات الله إلى الناس، هو نص فذ، يؤسس لحضارة الإنسان الراقية على الأرض ويمهد لها، ويمنحها اتزانها ورؤيتها، وهو معين لا ينضب كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو حبل الله المتين، وهو النور المبين، وهو الصراط المستقيم، وهو الشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لا تلتبس به الأهواء، ولا يشبع منه العلماء، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: **﴿إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾**».

والقرآن العظيم أيها السادة، وهو كتاب الله عز وجل، وآخر رسالاته إلى الناس، هو ينبوع كل خير.. ومصدر كل علم.. وأصل كل نعمة.. كان نزوله فيض رحمة.. وبدء رسالة.. وبداية أمة هي خير أمة أخرجت للناس.. فأنار الله به للذين آمنوا به والتزموه كل طريق.. ومنحهم الله به كل صواب وتوفيق.. قدرته متجددة على العطاء لمن تدبره ووعاه.. وفهمنا له ينمو ويتسع ويزداد على مر الزمن عمقاً واتساعاً وشمولاً، مصداقاً لقول الله العظيم في كتابه الكريم: **﴿سنريهم آياتنا في الآفاق * وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق * أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾**.

إن حفاوة القرآن أيها السادة، بالعقل والتفكير والمعرفة التي تزخر بها آياته البيّنة، ينبغي أن نجعلها في أولويات سلوكياتنا بل في أولها، ذلك أن الإنسان في الإسلام لا يكون مُكلَّفاً ومسؤولاً عن عمله إلا بالعقل الذي اشترطه فقهاء الإسلام مناطاً للتكليف والمسؤولية في تصرفاته على أنواعها.

لقد عالج القرآن أيها السادة، قضية العلم والمعرفة، فوضَّح لنا وسائلها وميادينها وغاياتها، ورسم لنا فيها صراطاً مستقيماً موصلاً إليها، على قواعد حُسن

الصلة بالله، الذي خلق فسوّى والذي قدّر فهدى، والذي أضحك وأبكى وأمات وأحيا، وحذَّرنا القرآن فيها من المزالق الخطرة، التي تعترضنا في الطريق إليها، وأرشدنا إلى وسيلة نتخطى بها المزالق، ونقتحم ما يعترضنا من عقبات، وذلك كما قال الله تعالى في القرآن الكريم: **﴿لِيَهْلِكَ من هَلَكَ عن بيِّنَة ويحيَى من حَيَّ عن بيِّنَة وإن الله لسميعٌ عليم﴾** [الأنفال: ٤٢]؛ **﴿إن هذه تذكِرَة فمن شاءَ اتَّخذَ إلى ربِّه سبيلاً﴾** [المُزَّمِّل: ١٩].

وإذا كان الأمر كذلك في القرآن أيها السادة، فما قيمة الذين يُسَوِّدون الكتب وصفحات الورق البيضاء، بظلام عقولهم ونفوسهم وقلوبهم، تارة بكتاب «وليمة لأعشاب البحر»، وتارة بكتاب «ارتعاشات تنويرية»، وتارة بكتب تحمل عناوين مشحونة بالظلمات ولا ذرة فيها من التنوير والنور، بل ظلمات بعضها فوق بعض، تحقّر الدين، وذات الله عز وجل، والنبي محمد ﷺ، والقرآن العظيم، واليوم الآخر، والقيم الدينية كلها، وتحرّض على الخروج على الإسلام والشريعة الإسلامية وقواعدها.

إننا نُدين أيها السادة تلك الكتابات العابقة بالظُلمات، ونَفَثات الأفكار الاستشراقية الحاقدة على القرآن وأهله، والتي يصدُق فيها وفي كُتّابها قولُ الله تعالى في القرآن العظيم: **﴿قل هل نُنَبِّؤُكُم بالأخسرينَ أعمالاً * الذين ضَلَّ سعيُهُم في الحياة الدنيا وهم يَحسبون أنهم يُحسنون صُنعاً﴾** [الكهف: ١٠٤].

إن الغرب في حملته الاستشراقية على القرآن أيها السادة، لم يكن غرضه أن يُقارع ثقافة بثقافة، أو أن يُنازل ضلالاً بهدى، أو أن يصارع باطلاً بحق، أو أن يمحو أسباب ضعف بأسباب قوة، بل كان غرضه الأول والأخير أن يترك في ميدان الثقافة في عالمنا العربي والإسلامي جرحى وصرعى لا تقوم لهم قائمة، وأن ينصب في أرجاء العالم العربي والإسلامي عقولاً لا تدرك إلا ما يريد لها هو أن تدرك، ولا تبصر إلا ما يريد لها هو أن تبصر، ولا تعرف إلا ما يريد لها هو أن تعرف، فكانت جرائم الغرب في تحطيم ثقافة القرآن أعظم ثقافة عرفها البشر إلى اليوم، كجرائمه في تحطيم الدول مثلاً بمثل.

ولذلك أيها السادة، فإن لقاءنا هنا هذا اليوم، جاء على أمر قد قُدر، إذ شاءه الله عز وجل، أن يكون لقاء تكريمياً للموسوعة القرآنية وصاحبها العلاّمة الكبير السيد جعفر شرف الدين، الذي بذل جهداً فائقاً، وسنوات طوالاً، من عمره وعقله وفكره، ليُخرج للأمة والعالم عملاً موسوعياً رائداً، يتناول القرآن الكريم بِسُوره وخصائصها، وترابطها وأسرار ترتيبها، وعربيَّتها ومعانيها اللغوية والبلاغية وإعجازها، وحكمة التنزيل فيها؛ كما جاء لقاؤنا أيضاً في هذا اليوم بالذات، والأقلام الملوَّثة تسوِّد الصفحات بكتاباتها ضد القرآن، ليكون لقاء جامعاً مباركاً، ودليلاً جديداً على تحقيق وعد الله الدائم بحفظ قرآنه كما قال عز وجل في كتابه العزيز: ﴿**إنّا نحنُ نزَّلنا الذِكْرَ وإنّا له لحافظون**﴾ وفَّقكم الله أيها السادة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



أمة يتوالدها القرآن

آية الله الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين
رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه الكرام حملة القرآن الذين اتبعوه بإحسان، والتابعين لهم إلى يوم الدين.

نخص بالذكر حملة القرآن في عصرنا وفي ما يأتي من العصور ونسأل الله أن يجعلنا من خدّام القرآن العزيز.

حضرة ممثل فخامة رئيس الجمهورية وممثل دولة رئيس مجلس الوزراء وأخي مفتي الجمهورية اللبنانية وفضيلة ممثل الشيخ الجليل أبي حسن عارف حلاوي ودولة الرئيس حسين الحسيني.

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

القرآن الكريم هو كلمة الله الدائمة، خطابها الدائم للإنسانية منذ أنزله الله جملة واحدة على قلب رسوله الأكرم في الليلة المباركة من ليلة القدر.

ومنذ أنزله الله عز وجل منزلاً على قلب رسول الله، منذ بعث به في مكة، وإلى أن اصطفاه الله إلى جواره في المدينة على مدى حياته الشريفة في البعثة النبوية. كان ولا يزال وسيبقى كلمة الله الدائمة.

هو كتاب لا عمر له لأنه واحد حي. هو نزل الآن، كما نزل في الماضي ويتنزل الآن كما تنزل في الماضي، وسيظل يتنزل في المستقبل. فهو ليس كتاباً من كتب التاريخ، وليس كتاباً من كتب الماضي، بل هو كتاب من الحاضر والمستقبل الدائم.

ومن هنا ورد في السنّة النبوية عن أئمة أهل البيت قوله: إن هذا القرآن يجري في حياة الناس، كما هو يتجدد في كل آن ويمد الناس بالحيوية والهدى في كل حين.

وقد تكونت هذه الأمة بالقرآن. لا ننسى أن اللوحة الخالدة في التاريخ التي هتف فيها الملاك الملك جبرائيل عليه السلام لرسول الله قائلاً له إقرأ. إن هذه اللحظة الخالدة في التاريخ هي اللحظة التي ولدت فيها هذه الأمة الإسلامية. في تلك اللحظة، في ذلك المكان في مكان ما، في المسافة الفاصلة بين غار حراء وبين منزل رسول الله في مكة.

هذه اللحظة التي شهدت ولادة هذه الأمة التي تشكّل الآن ما تشكّل في الجنس البشري.

وشكلت وتشكل حضورها الدائم في الحواضر الإسلامية من هؤلاء الرجال القليلين، ولدت هذه الأمة بالقرآن من الأمة الإسلامية. هي بنت هذا القرآن وإذا كان القرآن قد ولّد هذه الأمة في الماضي فإنه لا يزال يلدها الآن وسيظل يلدها دائماً ما دامت موصولة الحبال به، وما دامت وثيقة الوشائج معه، فإذا ما انقطعت عنه أو اهتزت وشائجها فيه فإنها لا تعود أمته، وإنما ستكون أمةً أخرى. وهذا ما نلاحظ نحن أن الأمم المحاربة للإسلام والمسلمين والتي لا تدّخر سلاحاً في حربها الإسلام والمسلمين. نلاحظ أن هذه القوى بعد أن عجزت عن تحريف هذا القرآن وبعد أن عجزت عن تزويره هي تبذل الجهود الآن لتفصل هذه الأمة عنه، لتحوله إلى كتاب من كتب التراث، ولتحوله إلى حقيقة تاريخية، ولتجعل له بدائل في حياة الأمة وفي ضميرها. ابتداء من أعمال الاستشراق الذي ما كان يوماً نظيفاً، وما كان يوماً عاملاً إلا بنسب ضئيلة لا تكاد تذكر من دروس الاستشراق إلى الجهود التي يفوق بها رجال ونساء ينتسبون إلى الإسلام أو لا ينتسبون إليه.

ويتحدث عن خصوص من ينتسبون إليه ممن استخدموا أسلوباً آخر، تعلموا أسلوباً آخر في طرح وشائج هذه الأمة بالقرآن، هو أسلوب مزري فيه التحقير والسخرية، وتحويل القرآن إلى أداة من أدوات المضغ والبسط. العمل الاستشراقي عمل وسيلته أن يدعي البحث في القيم الموضوعية، وأن يحوّل القرآن، كلمة القرآن الحيّة إلى موضوع تاريخي يدرسه وكأنه يدرس نصاً شعرياً ويبحث في أوهامه، يبحث الاستشراق في أوهامه عن مسائل ومداخل ليؤنسن هذا النص القرآني ويجعله باللغة التي كان يقولها مشركوا مكة وأمثالهم، يجعله فيما يدعون نصاً بشرياً قابلاً للدرس. وكما لوّثوا الأناجيل وحقروها وجعلوها مادة لا قيمة لها في نظرهم. يريدون أن يعملوا هذا العمل في القرآن. يريدون أن يهدموه عن طريق العقل والفكر.

أما هذه الأدوات الأخرى من حيث نعي أو لا نعي التي تحقّر القرآن بالشعر تارةً وبالأغنية تارة وبالقصة وبالمسرحية تارةً. هؤلاء يحولون القرآن إلى مادة للسخرية وإلى مادة للهزء.

هذا العمل نحن نستشعره ونراقبه ونتقصاه في دار الفتوى الإسلامية والمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، ونتواصل في شأنه ولعله عما قريب يسمع الناس إن شاء الله بما يتصل بهذا الشأن من المؤسسات والدور المباركة إن شاء الله. على صلة في ذلك كله بالأزهر الشريف وبما يقوم به القيمون عليه من عمل كريم في هذا الشأن وعلى صلة في ذلك كله في كل مراكز حفظ القرآن وحمايته في العالم الإسلامي. لأننا نشعر شعوراً قوياً مبرراً بأن أحد أهداف الحملة الغربية على الإسلام في الماضي كانت هي القرآن ولا ننسى أبداً أن رئيس وزراء بريطاني أسبق، وقف في مجلس العموم أو النواب البريطاني وفي يده نسخة من القرآن وقال قولته الشهيرة إنه لا يتوقع أن يتغلب الغرب على العالم الإسلامي ما دامت هذه الأمة تتمسك بالقرآن، وعلى هذه الحقيقة، وعلى هذا الهدف شواهد كثيرة.

نحن نشعر شعوراً قوياً الآن بأن أحد أهداف الحركة الصهيونية وكل المراكز الموالية لها في الغرب في الولايات المتحدة وفي أوروبا أن أحد أهدافها في طعن الثقافة العربية والإسلامية في المرحلة الجديدة هي هو طعن هذا القرآن سواء في

ذلك ما يتداوله المفاوضون في نطاق المفاوضات المتعددة الأطراف، في ما يتصل بالشأن الثقافي والنصوص التي تتصل بهذا الشأن أو ما يتصل بالشأن العام كالذي حدثتكم عنه من نصوص التحقير تحت ستار الشعر، وتحت ستار النثر، تحت ستار القصة والمسرحية والدراسة التاريخية والنقل. لأن أحد أهداف المستقبل بالنسبة إلى العالم الإسلامي هو هذا الهدف والشعار الذي يصر عليه الغرب، على مستوى المنظرين الكبار، الذي ينحت عدواً جديداً للغرب هو الإسلام والمسلمون والذي عبرت عنه أقلام كبيرة ومهمة عندهم، قلم يوكوهاما وقلم كلنتون من هذا القبيل، إذ تتحدث عن عدو المستقبل الذي هو الإسلام وهي تتحدث عن صراع الحضارات وليس هناك إنسان عاقل واعٍ لا يعرف أن الحضارة الإسلامية أساسها القرآن..

الحضارة الإسلامية، الدولة وكل مظاهر العمران والفكر والمجتمع من بعض أركان هذا النداء الإلهي المبارك.

هؤلاء كلهم هدفهم قطع صلة هذه الأمة بينبوع الحياة، بدل أن يتربى الناس على القرآن يتربون على الأغنية الماجنة وعلى الموسيقى الصاخبة وعلى نمط الحياة الذي لا صلة له بأخلاقنا ولا بإيماننا ولا بثقافتنا أو بحضارتنا.

هو الذي ينتج أصنافاً من السلوك يراد لها أن تكون هي السمة الغالبة في المرحلة القادمة، مرحلة ما يسمونه سلاماً وهو ليس بسلام، هي مرحلة تسليم العقل والقلب إلى المشروع الصهيوني.

لا أريد أن أطيل عليكم...

الله سبحانه وتعالى كلفنا جميعاً أن نكون حراساً على كلمته إذ قال إنه يكبر هذا القرآن وقد حفظه وسيحفظه في الناس: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾**.

ولكن القرآن يحفظ بالعلماء والجهاد والمؤسسات التي تعيه وتعقله وتفهمه وتنشد جميع ما يؤدي إلى حفظه هدايةً وتفسيراً وتعليماً.

ونحن نحتفل الآن بأحد هذه الأعمال المباركة التي طيّب الله لها علماً جليلاً

من علمائنا من صور، من الذرية المباركة، من ذرية السيد عبدالحسين شرف الدين. وهو العالم الجليل السيد جعفر شرف الدين.

من صور حاضرة جبل عامل التي كان لها زمان طويل يتصل بنهايات عصر البعثة الشريفة ويبتدىء من بدايات عصر الانطلاق الإسلامي كان منبراً للقرآن وكان فيه تراثه ومساجده وبيوت أهله مدارس للقرآن، تربى الناس فيه على سذاجتهم وعلى بساطتهم.



الموسوعات والازدهار الحضاري

الدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري

المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

- إيسيسكو -

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّهِ والصلاة والسلام على رسول اللّهِ وآلهِ وصحبه

حضرة ممثل فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية العماد إميل لحود

حضرة ممثل دولة رئيس مجلس الوزراء الدكتور سليم الحص

سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ الدكتور محمد رشيد قباني

سماحة رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى الإمام محمد مهدي شمس الدين

السادة سفراء الدول الإسلامية

السادة الحضور

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،

فيُسعد المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة أن تشارك في هذا الحفل الأدبي الذي تقيمه دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بمناسبة صدور (الموسوعة القرآنية). ويطيب لي أن أهنّئَ الأمة العربية الإسلامية بصدور هذه المَعْلمة الكبرى التي تعززت بها المكتبة القرآنية، وأن أهنّىء أيضاً، وفي المقام

الأول، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بهذا التوفيق الكبير الذي حالفها في إنجاز هذا العمل الثقافي العلمي الممتاز. كما أود أن أهنّئ لبنان، موطن الفكر والعلم، وموئل الأدب والإبداع، ومعقل الثقافة العربية الإسلامية، بصدور هذه الموسوعة عن إحدى دور النشر اللبنانية التي كان لها السبق في إصدار طائفة من الكتب الرفيعة، بأقلام صفوة مختارة من المفكّرين والعلماء والمبدعين.

ولقد كان بودّي لو أتيحت لي فرصة المشاركة شخصياً في هذا الحفل، لولا ارتباطات لي بمواعيد سابقة تحول دون ذلك.

وأريد أن أقول بهذه المناسبة إن لبنان في قلوبنا جميعاً، ونحن في المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، حريصون جداً على أن تتيسَّر الأسباب قريباً بحول الله، لانضمام الجمهورية اللبنانية إلى صفوف شقيقاتها الدول الأعضاء في الإيسيسكو، وذلك للاستفادة من خبرات لبنان، ومن تجارب لبنان، ومن عطاء أبنائه ومساهماتهم في الثقافة العربية الإسلامية، وفي النهضة التعليمية والتربوية والعلمية.

أصحاب المعالي والفضيلة والسعادة،

حضرات السادة والسيدات،

إن هذه الموسوعة القرآنية التي نحتفل بصدورها، هي بكل المقاييس، عمل علمي وثقافي متميز من الجوانب كافة، وإنجاز بالغ الأهمية بكل الاعتبارات؛ فعلى الرغم من صدور طائفة من الكتب في هذا الموضوع، فليس منها ما يستحق أن يكون موسوعة في المستوى العلمي والأكاديمي لهذه الموسوعة القرآنية الجديدة التي تجمَّع فيها ما تفرَّق في غيرها، والتي توفَّر لها من شروط الجِدَّة والجُودة والضبط المنهجي والإتقان الفني، ما جعل منها عملاً متكامل العناصر مستوفياً للضوابط الأكاديمية، بالقدر الذي يرقى بها إلى مستوى الموسوعات الحديثة التي تزخر بها المكتبة الغربية، وتفتقر إليها المكتبة العربية الإسلامية المعاصرة.

ومن نافلة القول أن الازدهار الحضاري في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية، يتزامن مع ظهور الموسوعات فيها، في كل حقل من حقول المعرفة.

وإذا كانت الأمّة العربية الإسلامية في حاجة إلى موسوعة عربية إسلامية جامعة مانعة شاملة مستقطبة للمعارف الإنسانية جميعاً، فإن صدور (الموسوعة القرآنية) يستجيب لهذه الحاجة، دون أن ننسى في هذا المقام الموسوعة العربية الشاملة التي صدرت قبل سنتين في الرياض، في ثلاثين مجلداً، بدعم كريم ورعاية من صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز.

إننا اليوم نستطيع أن نقول إن العرب والمسلمين قد دخلوا عصر الموسوعات، وهم بذلك قد مهّدوا للنهضة الحقيقية التي نعمل جميعاً من أجل تحقيقها، كلٌّ منا في مجال اختصاصه، ومن موقع عمله.

وأود أن أشير في هذه المناسبة، إلى أن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، قد أعدّت معجماً لتفاسير القرآن الكريم، صدر منه الجزء الأول منذ سنتين، وسيصدر الجزء الثاني منه هذه السنة، إن شاء الله، عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، هنا في بيروت، وذلك في إطار اتفاقية للتعاون عقدناها معها. وبصدور الموسوعة القرآنية، ومعجم تفاسير القرآن الكريم، يتكامل العملان من بعض الوجوه، ونحن عازمون بمشيئة الله تعالى على أن نشرع قريباً في الجزء الثالث لهذا المعجم.

إن هذا الإنجاز الذي نجتمع اليوم للاحتفاء به، يخدم الثقافة العربية الإسلامية، ويؤسس لنهضة حضارية تنتقل بالأمّة، إلى مستقبل أكثر ازدهاراً وإشراقاً، وأقوى دعامة وأساساً.

نسأل الله تعالى أن يجمع صفوفنا، ويوحّد كلمتنا، وينصرنا، ويُثبِّت أقدامنا. إنه سميع مجيب الدعوات.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أنوار الهدى

معالي الأستاذ جان عبيد

في الموسوعة القرآنية «خصائص السور» يستوقف السيد جعفر شرف الدين ويثقف، يصنف وينصف، يقابل ويفاضل، يقارن ويثمن، يغوص ويستخرج، يفرد ويميز، ينقب ويرتب، يجتذب ويحبب، يسأل ويجيب، يتساءل ويصلي.

بمعزل عن أهداف الكتاب، بل الكتب، وأسباب نزول السور ومراميها، ومعانيها وبتميزها ووجوه التسمية والأغراض والترتيب وإبطال الشبهات فيها.

وبعيداً عن الجدل حول مسائل العقيدة والتوجيه وسنن الله في الأرض والخلق والعبرة والعظة من القرون الخوالي والمصائر البواقي.

وبصرف النظر عن تنظيم السور، بدءاً من «الفاتحة» وهي أم القرآن، إلى «البقرة» وهي دستور القرآن، إلى السبع الطوال والمثاني وسائر السور، وسواء ما فيها من الشرائع والأحكام والقواعد والحدود، والصراط والسمت والنهج والقصد، والموضوعات الكبرى المتصلة بالعقيدة أو المتفرعة منها عن الألوهية والبعث والوحي، والإيمان والكفر والهدى والضلال، والكفر بعد الإيمان أو الإيمان بعد الكفر والعدل والإحسان، والمعاملة والوفاء بالعهد والسلوك القويم والتأثير السليم وتجييش العقل والضمير والتوجه إلى الفهم الواعي والوجدان الحساس، والأسرار والغيوب والظاهر والجوهر والخير والشر، ومبادىء التدبير والتقرير والتقدير.

بمعزل عن ذلك كله وما يحفل به من عمق في المعاني وفرق للحق عن

الباطل، للمحسن عن المسيء، وأخذ بالترهيب والترغيب، والدليل في آن، في مخاطبة الخليقة وقيادتها وإنارتها.

إلى جانب ما عمرت به الموسوعة من تفسير وتبشير، وإنذار وتذكير، وشرح وتفصيل، من رسالات الرسل وما تراكم قبلها وخلالها وبعدها، من العقائد والتصورات، والأساطير والفلسفات والأوهام والأفكار، والصحيح والزائف، والدين والخرافة والفلسفة الحقيقية والأسطورة المترائية.

وإلى جانب ما سلطته من أضواء على أنوار الهدى فيها وعلى الفصاحة والبلاغة والبيان والتبيين والجناس والطباق، والاشتقاقات والتفسيرات، والإبداع والإعجاز.

بعيداً عن ذلك كله، وبصرف النظر عن لآلئه وبمعزل عن آلائه، بل إلى جانب ذلك كله أرى لزاماً عليّ أن أتوقف عند أبرز ما حدثني إليه، أو حثني عليه.

إن جوهر الله أحد وأهداف الرسل والرسالات واحدة..

إن الله رحمان في ذاته رحيم في إنجازاته، حتى في هدف عقوباته **﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾**.

إن الله خلق الإنسان وسوّاه وعدّله ونفحه ليكون على صورته ومثاله وأطلقه في الأرض خليفة ووسيلة وغاية تؤدي إلى الخالق وتؤدي روحه.

إن مشيئة الله من وراء الرسل وجراء الرسالات هي الرحمة **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾**، على لسان النبي العربي و«أريد رحمة لا ذبيحة» على لسان السيد المسيح.

إن الله كرس حق الإنسان في الحرية منذ الخلق وإلى الأبد ونهى الأنبياء عن الإكراه.

﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾.

إن الله لا يفرق بين الرسل: **﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون**

كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، **لا نفرّق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**﴾.

وكل من يفرق بين الرسل يخالف الله ورسله ورسالاته وجوهره.

إن الله لا يفرّق بين الناس رغم اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم، إلا بالتقوى والعمل: ﴿**لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى**﴾. كما على لسان النبي العربي الهاشمي، كما على لسان السيد المسيح في اعتباره السامري الذي أحسن إلى اليهودي وهو عدوه، أقرب إلى الله وإليه من اليهودي الذي أساء إلى اليهودي وقوله في الإنجيل «أن قريب الإنسان هو من أحسن إليه».

إن الله لا يفرق بين كتب السماء والأمم بل بين أعمالها تماماً كما هو مع الرسل والنبيين. وفي قوله تعالى في سورة الجاثية أبلغ توجيه وتنبيه ﴿**وترى كل أمة جاثية، كل أمة تدعى إلى كتابها، اليوم تُجزون ما كنتم تعملون**﴾.

إن التباين قد يكون بين الأزمنة والأمكنة والأمم والخطاب الملائم لها، وإن في كتب السماء ما يتعامل مع زمان ومكان وأمة، وفيها ما يتعامل كذلك مع جميع الأزمنة والأمكنة والأمم. وأنه ما من أمة إلا وجاءها رسول من الله لأن رحمة الله وسعت كل شيء».

﴿**ولقد بعثنا من كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾.

وإن الله أرسل رسلاً لم يعرفها الرسل الكبار المعروفون ﴿**ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك، منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك، وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله، فإذا جاء أمر الله، قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون**﴾.

إن الله يُنبِّه ويمتحن ويُحاسب الأفراد كما الأمم على كتابها وأخلاقها وأعمالها لا على هوياتها ﴿**وكلّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه، ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً، إقرأ كتابك، تلقى بنفسك اليوم عليك حسيباً، من**

اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها، ولا تزر وازرة وزر أخرى، وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾.

إن الله، يوم الدين، لا يفاضل بين دين ودين، ولا بين طائفة وطائفة أو مذهب ومذهب، ونسب ونسب أو حسب وحسب، مهما كانت كرامة الأديان والأنبياء والطوائف والمذاهب والأحساب والأنساب، بل إن الله يفاضل بين عمل وعمل وميزان وميزان وقلب وقلب.

﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون﴾.

وفي قوله تعالى كذلك على لسان إبراهيم **﴿ولا تخبرني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأزلفت الجنة للمتقين وبُرّزت الجحيم للغاوين﴾.**

ثم إن الله خاطب الناس وأكرمهم عنده أتقاهم، وفضّل المؤمنين لديه على المسيحيين والمسلمين بالهوية أو الوراثة فقط وأعلى الإيمان على الأديان **﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا، ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم، إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أولئك هم الصادقون﴾.**

وإن الله على لسان النبي العربي، كما على لسان السيد المسيح، عزّز المؤمنين واصطفاهم ووصّاهم وثبت خطاهم على من عداهم: **﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾.**

تماماً في قوله على لسان السيد المسيح **«يا قليلي الإيمان لماذا تخافون»**.

ثم وهنا أيضاً منزلة عالية سامية من الآيات والسور **﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات والأرض إلا من شاء الله، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، أشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون، ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون﴾.**

إن في وضع الشهداء في مرتبة الأنبياء والقديسين، دعوة لنا ومهمازاً في كل الظروف، وبخاصة في هذا الظرف بالذات لكي لا نلين أو نهين أو نستكين في تكريم شهدائنا وطلب حقنا من العدو الغاصب، وفي إجلال شهداء مقاومتنا أنبل بني البشر».

أيها الحفل الكريم

أيها الرجل النبيل السيد جعفر شرف الدين، أيها المكد المجد، أيها المجتهد المجاهد، كفى بك جزاءاً أن تسمع وتبصر وتلقى الذكر العاطر في الدنيا، والأجر الوافر في الآخرة.

سلُم وتنامى وتسامى، دوماً، عقلك وعزمك وقلبك وقدرك وذكرك وأجرك وسموك.

فإلى سنين وأمداء، ولآلىء وآلاء عديدة يا سيد.



في مأدبة القرآن

حول الموسوعة القرآنية للسيد جعفر شرف الدين

كلمة الدكتور رضوان السيد

ما أزال أذكر المرة الأولى التي حدَّثني فيها السيد جعفر شرف الدين عن مشروعه. كان ذلك في شتاء العام ١٩٨٣، وقد حدَّد لذلك أربعة أهداف:

أولاً: جمع كل ما يتصل بتفسير القرآن وعلومه في صعيد واحد، بحيث يسهُلُ الرجوع إليه، غير مفرِّق في ذلك بين تأليف قديم أو حديث، وإنما المعيار المُلاءمة للموضوع، أو للمداخل التي ارتآها السيد جعفر، واعتبرها سبيلاً لفهمٍ أفضل للقرآن.

ثانياً: تصحيح كثير من المفاهيم الشائعة عن القرآن في طرائق قراءته وتفسيره، وفهم علائق سُوَره بعضها ببعضها، والتناسب داخل كل سورة والطريق لذلك انتقاء الأكثر اتساقاً والأكثر تهدُّياً في مقاربة القرآن، والتركيز على التعقُّل بشكل مترابط وشامل، دون تعمُّل أو إسراف.

وثالثاً: الإسهام بهذا المنهج الجامع والشامل، والمستوحى من تراث كل الاتجاهات، وكل التيارات داخل الإسلام وثقافته، ومواريثه، في جمع الكلمة من حول القرآن الكريم، اعتصاماً بحبل الله، وإصغاءً إلى خطابه عز وجل باعتبارنا أمة واحدة، ترتبط خيريتها ويرتبط استمرارها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله.

ورابعاً: الإسهام بهذا العمل في إعادة المسلمين إلى القرآن، وإعادة القرآن إليهم، بعد أن اغترب بعض المسلمين عنه، واغترب بعضٌ آخر فيه.

وها هو يُطل علينا بعد أكثر من عشرين عاماً من العمل الجادّ والدؤوب باثني عشر مجلداً في القرآن وعلومه، تضع النهج الذي رسمه موضع التطبيق. وقد رجع السيد جعفر إلى ستة وخمسين مصدراً قديماً في القرآن وعلومه، وواحد وثلاثين مرجعاً حديثاً تدور حول القرآن، بالإضافة إلى عشرات المصادر والمراجع الفرعية أو العارضة. وقد رأيت من الاطّلاع على الموسوعة أن ثلاثة هموم أو اهتمامات منهجية وجَّهت العمل في التنفيذ:

أولها: تجنُّب التحول إلى كتاب تفسير عادي للقرآن، حتى لا تكون الموسوعة تكراراً لما هو موجود من مؤلَّفات في التفسير. لذلك كان التركيز عند كل سورة على أهدافها ومقاصدها.

وثانيها: التركيز على الوحدة الموضوعية والترتيب الموضوعي للقرآن فيما بين السُوَر وداخل كل سورة، باعتبار ذلك تارة من أسرار القرآن، وطوراً من دلائل إعجازه.

وثالثها: التأكيد على أن القرآن يعرض رؤية شاملة للكون والعالم والإنسان، ونهجاً تشريعياً وأخلاقياً للحياة الإنسانية في هذا العالم.



جاء في حديث عبدالله بن مسعود عن النبي (ص) أنه قال: «**إن هذا القرآن مأدُبةُ الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم**». فهي مأدبة تعرض ألواناً شتى، ويتناول الإنسان منها ما استطاع، بيد أن الأهم في هذا السياق أن الدعوة اختيارية وليست اجبارية، كما هو معروف في المآدب، كما أنها دعوة عامة وليست دعوة خاصة. فالقرآن الكريم ليس حكراً على فرد أو فئة، كما أنه ليس في تملُّك أحد سواء أكان طبقة كهنوتية أو سلطة سياسية. إنها مأدبة الله عز وجل، وكلٌ مدعوٌ للاستجابة لما يحييه؛ فإذا ارتأى مدعوٌ أن لا يستجيب فإنما الخسارة واقعة عليه بالدرجة الأولى ولذا فإنه ليس في صالح مأدبة الله عز وجل تحوُّلها إلى مناسبة رسمية يحضرها

المرء لمواضعات اجتماعية أو مصالح آنية، أو مخاوف من الاتهام بالكفر أو بالخروج على القرآن والإسلام. لكن من جهة أخرى فإن المسلمين عبر عصور الإسلام الوسيطة، أسسوا نتيجة عيشهم في ظل النص الإلهي طرائق ومناهج لقراءة النص، وتأويله، وتنزيله على الوقائع.

ولا شك أن المتغيرات العاصفة التي عرفها العالم، وعرفها المسلمون في القرنين الماضيين، تعرض قراءات جديدة للقرآن، وربما إعادة نظر في مناهج القراءة أيضاً. وليس ذلك بالأمر الإدّ؛ فقد تعددت كتب التفسير في الحقبة الواحدة، واختلفت تأويلاتها وتقنياتها وأساليبها، كما هو الحال في المأدبة الشاسعة التي تختلف أمزجة البشر في الالتفات إلى ألوانها، والميول المتنوعة بتنوع التربية والثقافة والأوقات. ومع ذلك فيبقى أن هناك متعارَفاً عليه في اللغة، وفي السياق، وفي إجماعات القرّاء والمختصين. لكن: هل الخروج على هذه المواضعات قليلاً أو كثيراً يُسوِّغ تحويل المأدبة إلى مأدبة خاصة أو طَرْد الناسي منها؟!

أيها السادة، أيها الإخوة

هناك عودة هائلة ومؤثّرة إلى القرآن الكريم من جانب المسلمين، وهي عودة تكررت فيما نستطيع التتبُّع عشرات المرات في تاريخنا الثقافي والديني والسياسي. ولا أعني بالعودة أن المسلمين فيما بين العودتين كانوا يتركون القرآن أو يهجرونه، بل ما أعنيه مظاهر الاهتمام، كالكتب الصادرة، والنقاشات المستمرة، والتفاسير الجديدة، والاجتهادات الجديدة بالعودة إلى نصّه مباشرة، ووجوه التعبُّد المتجدّدة لله عز وجل به في القراءة والترتيل والتوظيف في شتى المناسبات. وبالتوازي مع هذا الانصراف الإسلامي إلى النص القرآني، تتصاعد موجة هائلة من اهتمام الدارسين من المسلمين وغيرهم بالقرآن نصاً وبنيةً وتاريخاً وثقافةً وتشريعاً وطرائق تأثير في وعي الأمة وسلوكها. ولا شك أن الاهتمامين مختلفان، مختلفان في الهدف والنتيجة. فالمسلمون الذين يرون القرآن في كل عصر بعيون جديدة يتطلعون إليه من أجل الاستهداء والاسترشاد والتعبُّد. أما الآخرون فيدرسون القرآن ليروا من خلاله المسلمين وليدرسوا عقائدهم، ومتغيرات وعيهم، في ضوء

تأملاتهم الجديدة أو القديمة للقرآن. وقد اعتاد العلماء المسلمون أن يحلّوا الإشكالات الناجمة عن دراسات غير المسلمين، بالقول إن العيب في المسلمين وليس في الإسلام، أو إن العيب في مفسّري القرآن وليس في القرآن. أما اليوم فما عادت هذه الاعتذارية تنفع. فالنص نفسه، وعالمه، وأصول الأمة الناشئة في ظلاله؛ كل ذلك يتعرض لأنظار مختلفة، ومناهج حديثة متباينة، ويؤدي ذلك إلى نتائج بعضها تخريبي، وبعضها طريف أو ظريف لكنه غير جدّي. ولا يمكن إعادة ذلك كله إلى التآمر أو إلى سوء النية، فهناك متغيّرات هائلة في مناهج القراءة، وفي آليات التدبُّر والتأويل. وأنا أرى أن علينا مواجهة المسائل بجدية وبدون توتُّر أو اتهام، بالمعرفة وبالإصغاء وبالتعلُّم وبالنقاش والمجادلة، من أجل الإيضاح والتوضيح أو الفهم الأفضل أو تطوير آليات فهم القرآن الكريم وتلقّيه. بيد أننا ما عدنا نستطيع الصبر على بحوث تقوم على فكرة مسبقة أو فرضية حاكمة مثل الجمع المتأخر للقرآن، أو أن تفكيك النص مُعين على تحرير المسلمين، أو العكس، أي كما يقول آخرون إن الكثرة الديموغرافية للمسلمين تضغط على أنفاس القرآن!

إن المسألة الآن وغداً وبعد غد تتعلق بوجود الأمة وثقافتها ومستقبلها، في هذا العالم وفي هذا العصر. والمطلوب لكي نكون عند مسؤولياتنا وسط الأخطار المُحدقة والمتربِّصة أن نشارك بالمعرفة المتقدمة والمتغيّرة بالتقدير وبالتقرير وبالفعل، وكلٌّ في المجال الذي يُتقنه أو يُقبل على إتقانه. أما التحريم وأما التجريم فهما صناعتان لا يستطيعهما إلا القادرون وإلا الفاعلون وإلا المشاركون في المعرفة وفي المرجعية استناداً إلى تلك المعرفة.

أيها السيد، أيها المحتَفَى به

روى المجالسي والترمذي والفريابي بأسانيدهم إلى الإمام عليٍّ كرّم الله وجهه عن رسول الله ﷺ قوله: إنها ستكون فتنةٌ. قلتُ: وما المخرج يا رسول الله؟ قال: «كتابُ الله عز وجل فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحُكْمُ ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل... هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو

الصراط المستقيم. هو الذي لا تزيغ به الأهواء. ولا تلبس فيه الألسن؛ ولا تشبع منه العماء، ولا يخلُقُ عن طول الردّ...».

لقد تابعت أيها السيد ميراث أبيك وجدّك وأسرتك في خدمة كتاب الله، والتطلع إلى وحدة الأمة، وهما الميراث القيّم تقدمونه للعلم وأهله للقرآن وقرائه، وللأمة ورمزها وكلمة الله الباقية فيها.

﴿وإنه لذكرٌ لكَ ولقومك وسوف تُسألون﴾ صدق الله العظيم.



المنذور للكلمة والفكر والكتاب

الشيخ رشيد القاضي
عضو المجلس المذهبي الدرزي

في ندوة، منبرها قصر اليونسكو، وموضوعها الموسوعة القرآنية، خصائص السور، وغايتها تكريم السيد جعفر شرف الدين، والوقت المتاح دقائق معدودات، يواجه المتداخل، استحالتين، استحالة أن يوفي المكرم، معد هذا السفر النفيس، حقه وفضله، واستحالة أن يوجز هذا العمل الضخم الذي صرف السيد جعفر سحابة عمره لإعداده وتنسيقه ونشره، بحيث يشير ولو إشارة إلى فوائده الجمة، ويستعرض معه ثراء النص القرآني، ويشرح أهمية هذا السفر، فيما يقدم للقارىء المسلم من شروحات تجعله أشد وعياً بدينه وأعمق إيماناً بمعتقده. وأكثر انفتاحاً على الآخرين، وتمنحه فهماً أفضل لحقائق الحياة في صيرورتها الصاعدة تبعاً لسنة النشوء والارتقاء وشرعة التطور.

إن في شرح أهداف السور ومقاصدها، وترابط الآيات، ومكنونات السور، وشرح المعاني اللغوية والمجازية، خدمة للإسلام، والمسلمين، وخطوة نحو التقريب بين المذاهب الإسلامية، في عصر تسوده البلبلة والتشتت داخل كل مذهب، كما يدفع باتجاه الحوار الإسلامي المسيحي الذي يتوقف نجاحه على فهم المسلم لإسلامه فهماً صحيحاً، وفهم المسيحي لمسيحيته على حقيقتها، وفهم الفريقين كل منهما للآخر.

إن هذا السفر الذي نحتفي بصدوره اليوم، يسهم إسهاماً كبيراً في تقديم

الإسلام على حقيقته البسيطة وعلى أصالته، وانفتاحه، واحترامه وتصديقه لما بين يديه، ودعوته إلى التراحم، واعترافه بالآخر، خلافاً لبعض ما يطرح اليوم، باسم الإسلام، من أمور ليست موضع قبول من جمهرة المسلمين، ولا هي مكرسة من قبل هيئات إسلامية أو مرجعيات مسلم لها، وعندما يتوحد فهم المسلمين للإسلام، ولو اختلفت المذاهب والطرق، يستقيم الحوار الإسلامي - المسيحي أكثر فأكثر. ويعطي أكله، وهذا ما سعى إليه السيد جعفر شرف الدين، من خلال إعداده الموسوعة القرآنية التي بين أيدينا، وذلك عندما ركّز على خصائص السور وأهدافها، مما ساعد القارىء، مسلماً كان أم غير مسلم، على إدراك أبعاد الرسالة الإسلامية، وأغراضها السامية، ودعوتها السمحاء وشمولها خير البشرية جمعاء على غير تفرقة أو تمييز، إضافة إلى كونها حضارة جمعت بين الدين والدنيا، وبين العقيدة والنظام، وشرعت لمجتمع متعدد الأديان، فكانت بذلك السبّاقة إلى إقامة دولة الحرية الدينية والعدالة الاجتماعية، والحق في الاختلاف.

إن صدور هذا السفر من لبنان، وبجهود مثقف لبناني، إنما يؤكد على دور لبنان الفريد، كندوة لحوار الأديان، وملتقى للأفكار، ومصهر للحضارات، ومنهل لتفاعل الثقافات.

إنه يؤكد على أن لبنان رسالة، كما ورد في الإرشاد الرسولي، يحتاجها شرقنا العربي، ليطل بها على العالم في مطلع الألفية الثالثة، بها يتصالح مع نفسه، مقدمة لصلحه مع العالم.

يقدم السيد جعفر شرف الدين، القرآن مصدراً للقراءة، والقراءة مصدراً للمعرفة، والمعرفة مصدراً للحضارة، والحضارة تاجاً للحياة!! فماذا عسانا نزيد على كلام السيد، في دعوته إلى القراءة طريقاً إلى المعرفة، مؤسساً لإقامة حضارة المعرفة، واعتبارها تاجاً للحياة، إنه بهذه الكلمات المعدودات، يكشف غاية القرآن الكريم في نشر أنوار المعرفة، ودحر جحافل الظلام، ففي المعرفة النجاة من الضلال، وفي المعرفة الإنقاذ من التخلف، وفي التخلف تكمن المفاسد والشرور، والهزائم.

فما جعل الغرب يسبقنا في معارج الحضارة والعلوم، هو قعودنا عن طلب

المعرفة. ولا تفوت السيد الإشارة إلى دور القرآن في حفظ اللغة العربية وعلومها، واحتضان تراثها، وحمايتها من الاندثار، ثم يخلص إلى القول:

إن إعجاز القرآن المجيد، ليس بنظمه الفني، ولا بسمته البلاغي، ولا بنهجه البياني فحسب، وإنما بدعوته الآخذة بالأعناق إلى المحبة والخير والجمال، والمعرفة، والعلم،.. وإنما بعقله الكوني، وفكره العلمي وسبقه الزمني.

إنها دعوة إلى تقديم المعنى على المبنى، والأخذ بالجوهر، والغوص على المضمون، والولوج إلى فكر القرآن العلمي، بعد أن أقام البعض حاجزاً بين العلم والإيمان، وبين العقل والدين، وبين الحرية والالتزام بأوامر الدين ونواهيه، وخلطوا بين العبادة والعبودية وجعلوا من مخافة الله، خوفاً من السلطان ومن فريضة الجهاد فتنة واقتتال.

إن تفقهة الناس بدينهم، وتعريفهم بجوهره، ودلهم على نبل مقاصده، وسمو معانيه، هي الوسيلة الفضلى والطريق الأقوم إلى تجاوز الطائفية التي تفتك بمجتمعنا، والمذهبية التي تشرذم طوائفنا، وتحول دون نهضتنا واللحاق بالعصر، ومواجهة تحدياته.

إن استشراء الطائفية هو نتيجة لأزمة فهم الدين، والقصور عن استيعاب مقاصده، وتمثّل قيمه السامية، فالطائفية انحراف صريح عن جادة الدين، ينعكس تشويهاً بشعاً للبنانية، وإيهاناً للشعور الوطني.

إن اللبنانية التي بها نؤمن، ولها نعمل، هي تلك التي تجسد قيم الإسلام والمسيحية، وتحترم العقل، وتقيم دولة الإنسان بما هو مخلوق شرفه الله بالعقل، وميزه بالنطق، وترسي ثقافة الانفتاح والحوار، وتغتني بالتنوع الخلاق.

إن كل عمل فكري أو ثقافي يؤدي إلى فهم المسلم لإسلامه، والمسيحي لمسيحيته، وفهم الاثنين لبعضهم البعض، على غرار ما قام به السيد جعفر شرف الدين، في الموسوعة القرآنية، إنما هو إسهام جليل في بلورة لبنانية، يرى فيها كل من المسلم والمسيحي ذاته، ويوجد وطنية جامعة، لا يزايد فيها فريق على آخر، ولا تتميز بها طائفة دون طائفة ولا يهمش فيها مذهب، ولا يضام

صاحب رأي، ويرى فيها كل عربي تجربة حضارية إنسانية وبعثاً لتراثه المجيد، ومنطلقاً لنهضته المرجوة.

قدر لبنان أن يحمل هذه اللبنانية هوية ورسالة ودوراً، بحيث تتلبنن العروبة، وتتعرب اللبنانية، فيغدو لبنان وطن العروبة، وتصبح العروبة رسالة لبنان وسياجه في آن.

أيها...

هل كان يمكن لجعفر شرف الدين، ابن صاحب المراجعات، الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين، سليل الدوحة التي تشرفت بالدين، فسادت في الدنيا،.. هل كان يمكن أن يسلك طريقاً غير التي سلك وهو الذي منذ أن وعي على الدنيا كان يصحو على آذان الفجر، ويغفو على آذان العشاء وبين الفجر والعشاء، لا يسمع في مجلس الوالد الوقور، سوى ذكر الله، وكلام الله، وكل ما ينفع عباد الله.

هل كان يمكن لسليل العامليين الكبار، الذين خطوا ملاحم جبل عاملة، وأغنوا المكتبة الإسلامية بدرر باقية على الدهر، تشهد لجبل الفكر والعلم الإيمان والوطنية، لجبل عامل الذي أصبح اليوم الجنوب المقاوم، يخط كل يوم ملحمة بطولية، بدماء الشهداء الأبرار، يتحدى الطاغوت، ويصرخ في وجه العالم مؤنباً، وفي وجه الظلم متحدياً. يستنفر العالم العربي، ويستنخي العالم الإسلامي.

جعفر شرف الدين، منذور للكلمة والفكر والكتاب العزيز،.. منذور للثقافة بأوسع معانيها الفكرية والأخلاقية والتربوية، منذور للإسلام بما هو هداية، ونور وصراط مستقيم، ورسالة لا تميز بين عرق أو جنس أو لون.

جعفر شرف الدين، ثمانون عاماً بين المحابر والأقلام، وكلام الله يفتتح به نهاره ويستقبل معه ليله.

ذهب إلى السياسة، فحمل معه كتبه وأقلامه والدفاتر، لا يفارقها ولا تفارقه، إليها يعود في التشريع والتوجيه والمواقف، فمع السيد تغدو السياسة في خدمة الثقافة والفكر والإيمان.

في العام ١٩٧٢، انتهى عهده مع النيابة ولكن أنى للفارس المنذور للكلمة والفكر وعمل الصالحات، أن يترجل أو يعتزل، فتراه يتحول إلى السهر على المؤسسات التربوية، والمبرات الاجتماعية، ويعود إلى ميدان التأليف، فتقرأ له: حرب رمضان ـ حرب الغفران، جذور الثورة الإسلامية، الخميني أقواله وأفعاله، معجم أدباء المعهد، صوت صور، ودائرة معارف التراث إلى غيرها مما هو تحت الطبع.

قلنا في مطلع الكلام، باستحالة أن يُعطى المكرم حقه في وقفة عابرة، ونكرر ذلك في الختام، فيا أبا محمد، المعذرة والكريم من عذر.

لك عند الله الأجر والثواب، ولك في الأرض عاطر الثناء وخالص العرفان، طالما صدح مؤذن بنداء: حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح حيّ على خير العمل.



مع القرآن الشفاء

الدكتور أسعد علي

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على محمد حبيبك المصطفى، والسلام على إبراهيم الخليل المجتبى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أيها الجمهور الراقي الذي أعطاني الشعور عن رقيه، نحن اليوم امام موسوعة تستحق التكريم، والكلام الرائد الذي سمعناه والذي سنسمعه، إنما يصب فيما بين ايدينا من عمل رائد.

ولكن، أدخل الموضوع مباشرة مع سماحة السيد جعفر شرف الدين.

تأليفه موسوعة القرين، الموسوعة القرينية، معنونة على ثماني خصائص تشير إلى مسألتين واقعية ومستقبلية.

أما الواقعية فمن التراث والحاضر، نعرف ان أمير المؤمنين علي بن ابي طالب قال: «لو شئت لاوقدت أربعين شملاً من تفسير بسم الله الرحمن الرحيم»، وإن عمل السيد جعفر هو برهان على ذلك، على أن هذا القرآن يمكن الكلام فيه إلى ما لا نهاية. خاصة واقعية أولى.

أما الثانيةك قالوا في لبنان ما قالوه، ولكن السيد جعفر أكد بطلان كل ما قالوهو كيف؟ بواقعية.

كيف يتاح، كيف يتسنى لمخلوق في بلد الدماء روته الناس، كيف يمكن ان يؤلف موسوعة قرآنية من اثني عشر مجلداً لو لم يكن قلبه مطمئناً للأمر؟

إذن إن تأليف هذه المجلدات في الظروف التي أُلفت فيها، أكدت أن القرآن شفاء، ومرة أخرى شهد لجده زين العابدين الذي قال: لو مات من بين المغرب والمشرق لما استوحشت، بعد أن كان معي هذا القرآن.

الواقعية ترسي أن هذا القرآن هو فعل شفاء.

السيد جعفر لا أتهمه.

هل كان يشكو مرضاً جسدياً، نفسياً، اجتماعياً؟ لا أدري، لكنني أعرفه يوم كان يقبل مثل ربيع العين الجديدة، وتتفتح نسماته كياسمين دمشق، ويحمل إلي معه شيخاً ما، إماماً ما، عالماً ما، مثل محمد حسين آل ياسين ومعه أكثر من مئة كتاب ويقول لي: هل تقبل هذا السيد في الجامعة اليسوعية للدكتوراه؟

لقد فرض علي الدكتور جعفر. . الدكتور جعفر خطأ مقصود (أقول). قلت الدكتور جعفر سوف نرى لماذا؟

فرض علي وسماحة السيد الطيب الذكر أبداً في قلوب الخلصاء، العرفاء، السيد موسى الصدر، فرض علي التفكير على نحو آخر، لأن السيد الصدر، ذات يوم، شرفني بالسؤال هكذا:

أريد أن أحضر دكتوراه بالفلسفة، يريد السيد موسى الصدر دكتوراه بالفلسفة في الجامعة اليسوعية.

تأتي الذكريات. قلت هل عندكم مقص في المجلس الشيعي الأعلى.

قال: خياط أنت، قالها ذلك الإنسان الذي رفعناه إلى السماء بدون موت.

قلت: لست بهذا الشرف بأن أكون خياطاً ولكني أريد هذا المقص.

قال: وماذا ستفعل به.

قلت: أقص شيئاً من طرف جبتك وأعطيه شهادة دكتوراه.

هنا، قال لي: يعني هذا أنك رفضت قبولي في الجامعة، قلت نعم، ولكن أخذني التفكير فيما بعد إلى مكان بعيد، وهو أنه طبق هذا الحكي.

كان إلى سنة من السـنين غادرت فيها دمشق، وكان لقائي مع السيد جعفر عام ٧٤ ـ ١٩٧٥، حينها كان قد بدأ بهذا العمل، ليبرهن هذا الروحاني ما برهن من براهين.

إذن أقول: الواقعيات.. البراهين الواقعية ظاهرة في هذه الموسوعة أما المستقبلية. لماذا ثماني خصائص يا مولانا السيد؟ ليش ١٢ مجلد ولاً هيك بدك.

آه في ١٢٠ مجلد، كنت ناسي. هذا عددها، بعدد سورة المائدة عظيم.. والمائدة مفتوحة أبداً، قالت مريم: ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا.. وارزقنا وأنت خير الرازقين.

نعم الخصائص الثماني أعطتني فكرة وهي أنها ثمان. العدد ٨ يكتب بالأوغاريتي بشكل الثماني أو الخمستين رمزاً للمطلق. كأنك تقول لنا: إن خصائص القرآن هي بما لا يحصى. ولكني قلت، هذه الخصائص الثماني هي لمطلق لا ينتهي من خصائص القرآن.

في الحضارة. في الواقع، للآن.. للمستقبل مجموعة من خبراء الإتحاد العالمي بلغة العربية أرادوا أن يقدموا لك اليوم موجبات أوجبتها خبرة خبراء اللغة العربية، لغة الإنسان الذي تنزل بها القرآن. أوجبت هذه الأفكار أو الموجبات التي استقلعت من اثني عشر مجلداً، أوجبت أن تكون رضوى شرف مجمع نهج البلاغة العالمية. وأوجبت أن تكون، أو أن تعطى دكتوراه الإبداع بترسيم الإجماع في صور من الصور الأولى سيقدمها لك الخبراء الأربعة د. غانم عبد الكريم، د. حمود بكفافي، د. فراس سليمان والدكتور أبو ليلى، الذين تشرفوا باصطحابي معهم ليقدموا لك هذا الرمز تقديراً لعملك الشريف على امتداد قارات العالم الخمس.

اسمحوا لي، عندما أقف على المنبر أذكر عطاشى كربلاء، لذلك أطلب منكم الدعاء بالشفاء لكل الظامئين على هذه الغبراء.

يقولون في الهند ٢٥ مليون يموتون ظمأ ويقولون أثيوبيا وجوارها أن ١٠ ملايين مهددة بالموت ظمأ.

كان الدكتور حمود يقرأ لي رباعية ونحن في الطريق. هذه هي هدية الجمهورية سيدنا، يعني أن أحدنا قرأ ثماني خصائص سورة الكوثر، يكفي أن يقدرك تقديراً لا حدود له. كذلك إذا قُرىء عملك على سورة الفاتحة، لا حدود للتقدير. ولكن أنا عاتب عليك يا سيدنا. كتير عتبان عليك، ليش.

يا أخي سورة الفاتحة كم آية؟ أنت وكل الشراح والمفسرين للقرآن الكريم. . إن عدد آياتها فقط ٧ آيات. كيف هالحكي يا أخي، إذا أعطيناك وثيقة عملية تقول إن سورة الفاتحة وجدت بالكتاب لغير سبب.

سورة الفاتحة تنطق باسمها، إنها ١٤ ألف آية، كيف يمكن الاستدلال اللغوي على أن الفاتحة هي كذلك، كيف؟

سورة من اسمها الشريف تقول (لا تستعجلوا بالفتوى أبداً) لأنو عندي قبلكم فتاوي.

قبل الكلام، عندي إثبات روحي، وثانياً لي وثائق في علم اللغة اليوم.

أحدهم كتب كتاباً بالإنكليزية الشفوية والكتابية، قال فيه: لنتكلم شفوياً نحتاج إلى ١٠ آلاف كلمة. عندما نكتبها نستخدم مليوني كلمة مع حروفها. هذا كاتب إنكليزي في علم اللغة. أما كاتب سماوي يكتب لما كان وما سيكون، فمن المفروض أن يستخدم أكثر من مليوني كلمة إذا لم نعلم ما يقال، ينبغي أن ننتصب وأن نجدّ السير حتى نكتشف الفرق بين مسلم ومؤمن ومحسن وعارف وواثق ومخاطب وذاكر. هؤلاء السبعة هم رموز الفاتحة.

لو كان الإنس والجن يستطيعون أن يكتشفوا كل شيء بالقرآن ما كان الله يتحداهم أن يجيئوا بآية أو سورة، أو بعشر سور مثله. ما أجد بشيء من هنا، بلا تطويل. أقول لكم هذا، وهي هدية لهذا الحفل الراقي. وهي المرة الأولى التي أبوح بها بأن أسرارنا أعز علينا من أن نقولها لغيرنا. الحكمة الحكمة في غياب أهلها تظلم، وإذا امتنعت عن أهلها يظلمون بكل الأحوال لا أريد أن أكون لا في هذه ولا في تلك. لكن أريد أن أقول لكم لوجه الله تعالى، دون طلب موافقة من أحد، أقول ما يقوله علماء اللغة: اقرأوها مرات بصورة هادئة وفكّروا ملياً بكلمة (تِحَة) على وزن عظة، وعلى وزن (ثقة)، عظة فعلها وعظ، ثقة فعلها وثق، تحه،

هذه التحه تعني الإعجاز في الإيجاز، تحه تعني التعليل أو الاختصار. كيف يمكن أقول كلمة إمام. أربع حروف. ألف ميم ألف ميم ولكن إذا ألحقت كلمة إمام بعلي بن أبي طالب ماذا تكون، تظهر أربعين شملاً في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم. أما إذا ألحقت بزين العابدين فتصبح إنساناً مأنوساً ولو فاقت الدنيا.

إذن، هذه رموز، كذلك التحه هي رمز نسميه الإعجاز في الإيجاز.

الإيجاز. فإذاً الفاتحة. الفا. الفا المجاز في الإيجاز لأن الفا.. الفان...

الفان هي من الإيجازات. يضاف إليها تحه، حتى تصبح ممكنة القبول وتتلوها في كل صلاة.

يا عمي، ماذا يقول أبو العلاء.. أم الكتاب.

ينبغي أن تعرفوا أن الفاتحة ١٤ ألف آية، وعلى سبيل التمثيل فإن التحه تعني الإعجاز في الإيجاز، لتمثل ١٤ ألف آية، بكل الأحوال الألفان (ألف + ألف) في المعجم يقلب الألف إلى ستة أفعال مثل ألف، لفأ، لاف، فال... إذا أخذتم اسم الفاعل مثلاً: لاف ما اسم الفاعل منها. قال قائل تعني. أبلٌ.. يعني شفي، لقى.. لاف، شفى شاف.

إن لاف تعني بالإنكليزية الحياة Life، وبالفرنسية أيضاً نعني الحياة La Vie، إنها تعني الحياة بكل لغة، وهي كذلك باللغة العربية أم اللغات. وكان النبي الذي نزل عليه القرآن باللسان العربي المبين. كان هذا القرآن لكل إنسان. هل القرآن للعالمين أم لأهل بيروت. رحمة بالناس كافة، أم بأهل مكة. نحن نعرف محمداً بأنه رحمة لكل العالمين، تأكيداً لكل آيات القرآن.

على كل حال، الأعمال بالنيات وأسأل الله تعالى أن يكون قد وفقني أن أوصل الأمانة إلى السيد جعفر شرف الدين ولجمهوره الراقي.

قبل أن أنزل من هنا، أعتذر أشد الاعتذار للسيد عريف الحفل.

وسيصار بعد انتهاء الحفل إلى تقديم الشهادات للسيد على ما أنجزت يداه.

وأتوجه بالدعاء أن يحفظكم الله.

التقريب بين المذاهب الإسلامية

الدكتور رضا اسماعيل

باسم مدير عام دار التقريب بين المذاهب الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة ممثل فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية العماد إميل لحود

حضرة ممثل دولة رئيس مجلس الوزراء الدكتور سليم الحص

سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ الدكتور محمد رشيد قباني

سماحة رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى الإمام محمد مهدي شمس الدين

السادة سفراء الدول الإسلامية

السادة الحضور

عندما عَقَدْنا العزم على تأسيس «دار التقريب بين المذاهب الإسلامية»، وضعنا نُصب أعيننا غاية مثلى، كنا نرنو إليها، وهي السعي الدؤوب إلى الإسهام في تقريب ذات البين في الصف الإسلامي، من خلال منهج علمي ينطلق من كتاب الله الكريم، والسنّة النبوية المطهرة؛ إيماناً منا بأن المسلمين على اختلاف مذاهبهم الفقهية أمة واحدة، وأن تجسيد ذلك يتطلب جهوداً تُبذل في سبيل زيادة وعيهم لأهمية وحدتهم وحتميتها.

وقد نشرت دار التقريب سلسلة من الكتب، تُجسِّد قناعتها هذه، تُوِّجت بإصدار الموسوعة القرآنية التي تعتبر ترجمة صادقة لمنهج التقريب.

وقد استغرق العمل سنوات عدة، شارك فيه فريق كبير متخصص: إعداداً وتأليفاً ومراجعةً؛ ولم تَألُ الدار جهداً في استشارة أهل الاختصاص في كل موضوع حتى استوى العمل على ما هو عليه الآن.

السّادة الحضور

ولا يغيب عن بالنا، ونحن نحتفل في هذه المناسبة، أن وحدة المسلمين في لبنان ستُعزِّز الوحدة الوطنية، وتشد إزر المقاومة الباسلة، التي ألحقت الهزيمة بالعدو الإسرائيلي. وعلى الصعيد العربي، فإن وحدة المسلمين ستُعزِّز وحدة العرب في وجه أعدائهم. وتشكل مدخلاً إلى تحرير القدس الشريف.

وبعد، فالشكر أقدمه إلى السيد جعفر شرف الدين على هذا الإنجاز، وهو الذي وقف حياته على التضلُّع من علوم الفقه، بسعة وشمولية، وكان هاجسه وحدة الأمة الإسلامية.

والشكر أيضاً لجميع الذين عملوا في هذه الموسوعة حتى رأت النور.

والوعد نقطعه بأن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ستستمر في مشروع نشرها. وستُوسِّع مشاوراتها مع قادة المسلمين وعلمائهم ومفكريهم، ليشكل هذا المشروع نواة توافق بينهم على مبدأ التوحيد.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أشكر لكم حضوركم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



حلم قلبي

يا حديد السرير ألف سلام ... كنت أورقت لو عرفت السميرا
صرت عرشاً حين اعتلاك كبير ... بايعته كل القلوب أميرا
جرّح البحر بالمجاذيف حتى ... علّم الموج أن يجيد الهديرا
وهو من علّم السيوف التعري ... وندى المزن كيف يغدو بحورا
وإذا ما آذار أطلع كُماً ... سكب اللون فوقه والعبيرا
بضعة من عمامة لفّت الكو ... ن وروّت سمع الزمان زئيرا
عشق المجد موطئي قدميه ... كيف لا يعشق الكبير الكبيرا
فبغار السرير مني وقلبي ... حلمه أن يكون ذاك السريرا

العرّيف: المهندس
حسين حمادة

عن المحتفى به، معكم نجله المهندس الأستاذ محمد شرف الدين.



إهداء وشكر

السيد جعفر شرف الدين

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خير خلقه، وخاتم رسله، وسيد أنبيائه محمد وعلى آله الميامين وأصحابه الطاهرين.

والحمد لله ﴿الذي علم بالقلم، علم الإنسانَ ما لم يعلمْ﴾ [العلق: ٤ و٥] كتابٌ ﴿لا يأتيه الباطلُ من بينِ يديه ولا من خَلْفِه﴾ [فصلت: ٤٢].

فالقرآن مصدر القراءة، والقراءة مصدر المعرفة، والمعرفة مصدر الحضارة، والحضارة مصدر الحياة.

القرآن المعجزة هو شغل الكبار الكبار من العلماء في جملة علومهم، حيث اهتموا بحفظه وتلاوته، وترتيله، وكتابته، وتنقيطه، ولغته، وتقعيد قواعده، وابتدعوا علوم البلاغة ليثبتوا بها إعجازه، وحفظوا لهجات العرب، وضبطوا مخارج حروفها.

إنه القرآن، وكفى به حافظاً للغة العربية وعلومها، محتضناً لتراثها وتاريخها.

﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [سورة الحجر: ٩].

﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾ [سورة البروج: ٢١ و٢٢].

﴿قرآناً عربياً غير ذي عوج﴾ [سورة الزمر: ٢٨].

﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله﴾ [سورة يونس: ٣٨].

ويتنامى التحدي فيعرض الحروف التي تتألف منها آيات القرآن وسوره، فهي ليست أحجية ولا سراً. أليست الأبجدية العربية هي التي تكوّن بألفاظها القرآن؟ ثم أليست هذه الحروف هي التي افتتح الله بها كثيراً من السور؟:

﴿آلر. تلك آياتُ الكتاب المبين﴾ [سورة يوسف: ١].

﴿آلم. ذلك الكتابُ لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ [سورة البقرة: ١ و٢].

﴿حم. تنزيلٌ من الرحمن الرحيم﴾ [سورة فصّلت: ١ و٢].

﴿طس. تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾ [سورة النمل: ١].

ها قد مضى أربعة عشر قرناً دون أن تتحرك جماعة للإتيان بآية من آياته. فالقرآن معجزة ليس بنظمه الفني، ولا بنهجه البياني فحسب، وإنما بدعوته إلى المحبة، والخير، والجمال، والعلم، والعمل. بالعقل الكوني، والفكر العلمي. لقد تناول القرآن الكون أرضاً وسماء، بحاراً وأنهاراً. وتناول عناصر الكون هذه وتناغمها وانسجامها وتكاملها: الأرض مع السماء، والشمس مع القمر، وكلاهما مع الأرض والبشر والشجر والماء والهواء، وكل منها مع الإنسان والطبيعة والبيئة والحياة.

وتناول القرآن الأديان برُسلها ورسالاتها، بتوراتها وإنجيلها، بزَبورها وقرآنها، وفتح العقول والأفئدة على العلم والعمل، وشرّع الشرائع، وصاغ أجلّ العبر، وضرب أروع الأمثال.

لقد صمد القرآن المجيد أمام الدعوات الهدّامة لأنه آية الآيات في الإعجاز، وبذلك تجلّى عجز الإنسان أمام عظمة الخالق في قرآنه.

هذا ما كنت أحسه ويسري في عروقي إبّان الصبا، وفي طور الشباب مما دفعني إلى المكتبة الإسلامية أبحث وأنقّب، أطلب المصادر القرآنية المتنوعة: من مصادر اللغة، إلى مصادر البيان، إلى مصادر النزول وأسبابه، من مصادر القدامى إلى مصادر المُحدَثين فكان عن ذلك سفرٌ متواضع سمّيته الموسوعة القرآنية.

أما طريقة إعداد هذه الموسوعة وموادُها فقد اعتمدت في ذلك ما يعتمده

أصحاب دوائر المعارف، حيث لجأت إلى مؤلفات الباحثين الفرسان في شتى الموضوعات وحيث عمدت إلى ترتيب خصائص السور المباركة، ترتيب هذه السور نفسها من «الفاتحة» ورقها (١) حتى «الناس» ورقمها (١١٤).

وإنني لأرجو الفوز بمصداقية النيّة التي دفعتني للقيام بهذا العمل التوثيقي، وهي نيّة خالصة للقرآنيين حقاً، والإسلاميين صدقاً، وللناطقين بلغة الضاد، حبّها دون مهجورها، وهي من قبل ومن بعد للقرآن وللإنسان.

ولا مندوحة لي من الإشارة بجهد كريم للباحثين اللغويين الأستاذ أحمد حاطوم، والدكتور محمد توفيق أبو علي اللذين راجعا هذه الموسوعة فدقّقا في نصوصها، وبذلا في غير هذه الجوانب ما يستحقان عليه جزيل الشكر والعرفان.

وأخيراً أهدي هذا المجهود إلى روح من بث في روحي روح الإيمان: إلى روح الغائب عن عيني، الحاضر في فكري وقلبي، المالىء سمعي وبصري أبي كرّم الله مثواه.

فإليك يا سيدي: يا من بسطت عليّ جناحيك طفلاً ويافعاً وزقّقتني المعرفة فتىً وشاباً، أهدي هذا الجهد، وقد عممتني السنون بوقار الشيب عسى أن يكون لك به قرة عين.

الشكر البالغ أرسله إليكم، وأخص بالشكر أصحاب السماحة ممن تفضلوا بالإعجاب بالموسوعة الإسلامية وكذلك الذين تحدثوا من الأدباء والخطباء والشعراء عنها بإعجاب وإني أشكرهم وأرفق الشكر بالإعجاب بكل ما ذكروني به وما تفضلوا به جزاهم الله خيراً ووفقنا لخدمتهم.



أبا محمد، سلاماً..!

الأستاذ عصام عسيران

يَطيب لنا ولكم الإطلال على أحلى مناسبة وأروع لقاء.. تزدهي بهما «صور»: مدينة الحرف والبحر والأرجوان... مناسبة الالتقاء بعالِم علاّمة... هو السيد جعفر شرف الدين... هذا الذي غرس زرعه الوفير فيِّ حقول التربية والأدب والتعليم، وإعلاء شأن الدين القويم... ليتوج أخيراً إبداعه العلمي في الغوص في بحار التراث الفكري، بغية استخراج مخبوئها النفيس عبر موسوعات منوعة الميادين... شبيهاً بغواص اللؤلؤ الخبيء طيّ أصداف البحار...

وهل من لقاء هو أمتع من مجالسة مفكر، أوتي الحكمة كوالده ـ السيد المجتهد الفقيه: عبد الحسين شرف الدين ـ (قدس الله روحه الطاهرة)؟ ومَن يُؤتَ الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً... خيراً جعل نجله البارّ ينطلق منذ نعومة أظفاره إلى سلوك دروب الخير العميم، الماثل في تبديد ظلمات الجهل التي هيمنت على جنوب لبنان في مطلع هذا القرن الراحل الآن.. حينما أثمرت الجهود المبذولة لرفع أركان منارة للعلم والمعرفة.. ساطعة الإشعاع.. هي منارة «الجعفرية» الصادقة صدق جعفرها الصادق...

وتتوالى الأحداث في حياة «أبي محمد».. متلاحقة متشابكة.. تندرج في مراحل شاسعة ومتميزة، لا بد من الإشارة ـ أجل: من مجرد الإشارة ـ إلى قسمين رئيسين منها: ألا وهما: العمل السياسي، ككتائب عن الشعب، طوال سنوات وسنوات وسنوات... ثم الانكفاء إلى العمل الفكري البحت، تحقيقاً لما

كان يصبو إليه دائماً من اختلاء بخير جلساء الدنيا قاطبة: في كتب مكتبته المكتنزة بنتاج فكر الأقدمين والمُحدثين.

وهنا.. سرعان ما استغرقه البحث العلمي الجاد، والتدقيق في خفايا الأصول الدينية الموروثة، في سبيل الإحاطة بمختلف المعلومات القمينة بوضع موسوعات متعددة الجوانب.. ما لبثت طليعتها أن خرجت للعيان.. حائمةً في فلك الدين الإسلامي.

هذا التوجُّه القوي القويم، إلى جلاء الكلمة الطيبة التي ينطوي عليها الدين السماوي، إنما ينطلق من قوله تعالى: **﴿مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة، أصلها ثابت، وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين... وما الكلمة الخبيثة إلا كشجرة خبيثة، اجتُثَّت من فوق الأرض.. ما لها من قرار...﴾!**

ولا شكَّ في أن هذا التوجه الروحي سرعان ما بوَّأ السيد جعفر مرتبة العلماء الوثيقي الإيمان.. ممن عناهم الذكر الحكيم بقوله: **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾!**

حفظ الله أبا محمد.. خير خلف لخير سلف، وخير راع لأسرته الشريفة، التي تحتضنه بالقلوب وتفتديه بالعيون... وأنبل مواطن أدى لوطنه وبلده وشعبه المكافح الصامد: أسمى الخدمات والتضحيات.

الثمر الخلّاق

السيد حسين هاشم

موسوعة القرآن بالإطلاقِ ... ثَمَرٌ لجُهدِ مُبدعٍ خلّاقِ
فبيانها ليراعةٍ سبقت إلى الإبداعِ في القولِ البليغِ الرّاقي
والفكر فيها استقطب المعنى إلى ... غاياته في العلم والأخلاقِ
والمنطق السّامي تبوّأ مقعداً ... فيها نمته سلامة الأذواقِ
قلم الأديب امتصّ حبراً ملهماً ... نشر الكلام به على الأوراقِ
فترى على متن السطور كواكباً ... كلماتها لبست سَنا الإشراقِ
فكأنّها الأقمار في غسق الدّجى ... ضاءت ولكن ما ابتلت بمحاقِ
موسوعة القرآن سفرٌ قيّمٌ ... يروي الظمأ بمعينه الدفّاقِ
للكاتب البحّاث فيها منهلٌ ... تربو عذوبته على الإنفاقِ
وإلى المثقّفِ موردٌ ما ارتادها ... إلاّ وفاز بها بكأس دهاقِ
وإلى المعلّم روضةٌ ريّانةٌ ... فيها تفوحُ بعطرها العبّاقِ
ولطالب العلم الهوى فيها وقل ... ببيانها أمست هوى العشّاقِ
مهما تسامى الوصفُ ما وفى لها ... حقّاً، لها التقدير باستحقاقِ
يا فكر جعفرها أرختُ بمجدهِ ... موسوعة القرآن فكر باقِ
٥٤ ... ٥٨٢ ٣٨٢ ٣٠٠ ١٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾

صدق الله العلي العظيم

وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله



فقد الكبير

مَوْتُ الأنـامِ حـقـيـقـةٌ لا تـنـكـرُ
والـمـرءُ بـالـموتِ الـمـحـتّمِ يُـقـهـرُ

لـكـنـمـا فَـقْـدُ الـكـبـيـرِ خـسـارةٌ
وأشَـدُّهـا إن غـابَ فـكـرٌ نـيّـرُ

أدبُ الـكـلام نـعـى عـمـيـداً حـرفُـهُ
بِـسَـنَـا حـضـارتـهِ تُـضـاءُ الأسـطُـرُ

وفداحةُ الـخـطـبِ الألـيـمِ استـأثـرت
بـخـطـابـةٍ يـهـتـزُّ مـنـا الـمـنـبـرُ

رَحَلَ الأبُ الحاني العطوفُ عن الحمى
بـرَحـيـلِـهِ غـابَ الـصـبـاحُ الـمـسـفِـرُ

لِـعُـلاهُ بـيـن الـنّـاس تـاريـخٌ زكـا
ألَـقُ الـعـلى يـخـبـو فـيـنـأى جـعـفـر

٢٨ ١٣١ ١٤١ ٦١٨ ١٥١ ٣٥٣

الأربعاء ٤ جمادي الأول سنة ١٤٢٢ هـ

يوافقه ٢٥ تموز سنة ٢٠٠١م

السيد حسين هاشم

السيد جعفر شرف الدين

خسرت صور، وخسرت الحياة العامة في لبنان وجهاً من وجوه الخير والطيبة والدماثة أمس. مع غياب السيد جعفر عبد الحسين شرف الدين.

كان من الصعب احتسابه من بين السياسيين المحترفين، على الأقل في الصورة الشائعة عنهم، إذ لم يكن من أهل الادعاء بإنجاز ما لا يقدر عليه، ثم إنه كان يفضل أن ينشط في المجال التربوي وفي ومجال الخدمة الاجتماعية أكثر مما يرغب في هدر وقته في «السياسة» بما هي في صراع ديكة على ما ليس منه طائل.

ولقد عاش حياته يحاول أن ينجح في التحدي الذي فُرض عليه، وهو أن يكمل ما بدأه «السيد الوالد» وأن يضيف إليه، وهذه مهمة جليلة ينوء بمثلها من توافرت له إمكانات أفضل وظروف من تلك التي توافرت للسيد جعفر، لكنه أعطى جهده كله وحقق أكثر مما كان يتوقع.

وسيذكر للسيد جعفر، أنه قد حمى الصرح العلمي والثقافي في صور، «الكلية الجعفرية» وأنه أضاف إليها.

ولن يكون سهلاً على كل من وفد إلى صور، زائراً عربياً أو محاضراً أو مشاركاً في منتدى أو تربويا أو صاحب اجتهاد، أن ينسى ذلك «الملمح» أو «المعلم» من معالم مدينة المرابطين والصابرين والمجاهدين، تلك التي كانت ترتبط بحبل السرة مع فلسطين، وعبرها مع مصر، فترفد الحركة القومية والنضال التحرري بما تيسر لها من إمكانات.

وبرغم أن الفقيد الكبير كان قد باشر الانسحاب من الحياة العامة في السنوات الأخيرة، فغاب عن كثير من النشاطات التي كان يمارسها بفرح، إلا أن أهل صور ومحبيها الكثر ظلوا يفتقدونه ويسألون ليطمئنوا عليه، وهو الآن سيفتقدونه أكثر، مع تسليمهم بقضاء الله.

رحم الله «السيد جعفر» وإنا لله وإنا إليه راجعون.

طلال سلمان

السفير، ٢٦/٧/٢٠٠١



شيع بعد ظهر أمس، في مأتم حاشد في مدينة صور جثمان رئيس المؤسسات الجعفرية النائب السابق السيد جعفر شرف الدين الذي توفي فجر أمس عن عمر ناهز الثمانين عاماً وذلك بعد سنوات من الصراع مع مرض القلب.

وقد انطلق موكب التشييع من أمام الكلية الجعفرية في صور بمشاركة حشد من الفعاليات وأهالي المدينة ووري الجثمان في جبانة المدينة.

وكانت قاعات الكلية الجعفرية في صور قد شهدت احتشاد الألاف من أهالي المدينة وقرى الجوار للتعزية يتقدمهم نائب رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى المفتي الشيخ عبد الأمير قبلان.

ولد السيد جعفر شرف الدين عام ١٩٢٠ في بلدة شحور ـ قضاء صور، والده الإمام عبد الحسين شرف الدين المضهور بمرجعه الديني: «المراجعات» ومؤسس الكلية الجعفرية في صور ١٩٥٦ والدته: فاطمة الزين، تزوج من السيدة زهرة أسعد في العام ١٩٤٠ ولهما تسعة أولاد: علية، محمد، علياء، بتول، موسى، علي، رباب، سلام وفاطمة. بعد وفاة زوجته عام ١٩٧٨ تزوج في العام ١٩٧٩ من السيدة زاهره السيد محمد هادي الصدر.

بدأ دراسته في مدرسة (بيت) السيد نور اليذدين الأخوي في صور، الذي كان يقوم بمفرده بتدريس التلاميذ أصول القرءة والكتابة والحساب، التحق بالمدرسة الرسمية في صور في العام من ١٩٣٢ حتى ١٩٣٨.

في العام ١٩٤٢ انتسب إلى الكلية الشرعية في بيروت التي كان يرعاها الشيخ توفيق خالد مفتي الجمهورية آنذاك

انتسب إلى معهد الآداب الشرقية في جامعة اليسوعية ونال الإجازة في العام الجامعي ٦١ ـ ٦٢.

في العام الدراسي ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤ قام بإدارة الكلية الجعفرية في صور وهو ابن ٢٣ عاماً واستمر في إدارتها لمدة عشرين سنة.

أسس مجلة المعه (١٩٤٥ ـ ١٩٥٠) وهي مجلة ثقافية، تراثية.

في العام ١٩٥٩ أنشأ «جمعية البر والإحسان» التي افتتحت أربع عشرة مدرسة ابتدائية مجانية في قرى الجنوب وأقام جمعية للنادي الحسيني في جبانة صور وأدار الوقف الجعفري.

في العام ١٩٦٣ ترك رئاسة الجمعية، للإمام السيد موسى الصدر «بمؤسسة جبل عامل المهنية».

أنشأ في العام نفسه «رابطة انعاش القرى» لتعميم التعليم الابتدائي المجاني في الضاحية الجنوبية والقرى النائية (٢٣ مدرسة) ونقل إجازات المدارس من عهدة «جمعية البر والإحسان» إلى عهدتها.

انتحب نائباً عن قضاء صور لدورات ١٩٦٠ و١٩٦٤ و١٩٦٨ واستمر في النيابة حتى العام ١٩٧٢ وتميز في الندوة البرلمانية بتبنيه قضايا العمال ومزارعي التبغ وقضايا الإصلاح التربوي وخدمة العلم وغيرها.

شارك في تأسيس «جمعية إحياء تراث لبنان» كما شارك في عدة جمعيات منها الجمعية الخيرية الجعفرية.

شارك في إنشاء جبهة وطنية تضم مختلف القطاعات المهنية والعمالية الاجتماعية والتجارية ولعبت دورها في التوعية الوطنية ومحاربة الإنحراف السياسي والمشاريع الاستعمارية المشبوهة.

وشارك في العام ١٩٤٨ مع أساتذة الجعفرية في استقبال اللاجئين الفلسطينيين في ميناء صور.

من مؤلفاته:

- أدب الطف ١٩٤٢ (دراسة في خلفيات ومضاعفات مأساة كربلاء).

- أبحاث ومقالات في مجلة (العرفان)، لمؤسسها الشيخ أحمد عارف الزين.

- أبحاث ومقالات في مجلة (المعهد) التي كان يصدرها في صور.

وله دائرة معارف التراث، وهي ثلاثة موسوعات بدأ بها سنة ١٩٧٢ وانتهى منها سنة ١٩٩٢ وهي تلخيص لثلاثة آلاف كتاب: ألف كتاب قرآني، ألف كتاب إسلامي، وألف كتاب عربي.

ونعى المفتي الشيخ عبد الأمير قبلان عضو الهيئة التنفيذية في المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى سابقاً ورئيس المؤسسات الجعفرية العاملة في صور السيد جعفر شرف الدين نجل الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين، وقال: «لقد خسرنا برحيله رجلاً كبيراً محباً للناس قريباً لهم إذ عاش همومهم وشجونهم والتزم خدمتهم طيلة سني حياته، ولقد افتقدت برحيله مدينة صور ومنطقتها وسائر القرى الجنوبية الخضن والراعي صاحب أيادي الخير والقلب الكبير الذي أحب الفقراء فأحبوه واحتضن قضاياهم وهمومهم من خلال إشرافه على المؤسسة الجعفرية والمواقع السياسية التي تبوأها واعتبرها تكليفاً لا تشريفاً».

ونعى الأمين العام للمجلس الثقافي للبنان الجنوبي حبيب صادق الراحل وقال: «إن شبكة وأسئلة من العلاقات الأدبية والاجتماعية إضافة إلى الهموم الجنوبية والوطنية كانت تقوم بين المجلس الثقافي للبنان الجنوبي والأديب والباحث والنائب السابق جعفر شرف الدين، عضو المجلس العريق، ومن هنا كان لنبأ غيابه، أمس، الوقع الموجع في بيت المجلس الذي تتصدر مؤلفات الراحل الكبير رفوف مكتبته العامرة، بما أبدع أبناء الجنوب من كتابات في الأدب والشعر والفقه والأصول والتاريخ واللغة...».

ونعى المنتدى القومي العربي في لبنان عضوهم نفس أمنائه المربي المجاهد والنائب السابق السيد جعفر شرف الدين الذي عرفه الجنوبيون مجاهداً صادقاً ومربياً متفانياً ووجهاً سياسياً بارزاً وعرفه اللبنانيون سليل دوحة العاملية الحسينية. بقي أميناً لقيم العروبة والإيمان التي حملها والده السيد عبد الحسين شرف الدين،

كما عرفته المقاومة الوطنية والإسلامية الباسلة رائداً من روادها الذين رفعوا الصوت عالياً ضد المحتل الصهيوني يوم صمت كثيرون، كان من أبرز العاملين لإسقاط اتفاق ١٧ أيار في الثمانينات مثلما كان من أبرز العاملين لإسقاط حلف بغداد والمشاريع الاستعمارية في الخمسينات.

ونعت لجنة المتابعة لقضية المعتقلين اللبنانيين في السجون الإسرائيلة عضو مجلس الأمناء للجنة النائب السابق شرف الدين الذي كان من أوئل المشاركين في حملة الدفاع عن معتقلي أنصار بعد الإجتياح الإسرائيلي في العام ١٩٨٢ ومن مؤسسي لجنة المتابعة وعضو مجلس أمنائها.

«السفير ٢٦/ ٧/ ٢٠٠١»

فارس الكلمة والموقف ترجّل

أمس رحل النائب السابق جعفر شرف الدين (٨٢ عاماً) للهبعد معاناة مع المرض والشيخوخة ففقدت صور ومنطقتها ذلك السيد الذي عرفته عقوداً عدة فارس الكلمة والمنبر والخدمة الاجتماعية ورائد العلوم والتعليم.

هو إبن المرجع الديني المعروف السيد عبد الحسين شرف الدين الذي ملأ الدنيا وشغل الناس بمواقفه الوطنية ومؤلفاته المميزة، هو سليل الدوحة العلمية الراسخة التي رفدت على مدى قرون الفكر الديني الشيعي وعلماء أفذاذ ومفكرين كبار.

من هذا المنبت العلمي الأصيل جاء السيد جعفر إلى عالم السياسة، فكان نائباً عن صور لثلاث دورات متتالية بين ١٩٦٠ و١٩٧٢، زاده الأساسي علم دنيوي وديني واسع، وجرأة في قول الحق والحقيقةو واستقامة وتفان في خدمة الفقراء وأصحاب الحاجة، ووفاء من اهل صور ومنطقتها لسيرة والده الراحل الكبيرز

انماء المنطقةو وطرد جحافل الجهل ونشر نول العلمو والارتقاء بالإنسان الجنوبي إلى أسمى مراتب المعرفة، كانت جوهر الهدف الذي وضعه نصب عينيه وعمل على تحقيقه.

ولا عجب فهو من بناة صرح الكلية الجعفرية في صور، وقد ساهم في وضع مداميكها مع والده لبنة لبنة لتكون منارة عامية شاهقة ولها الفضل الاكبر في تعليم مواكب اجيال جنوبية عدةو وفي تاصيل الحركة الثقافية والوطنية وتفعيلها في الجنوب.

ولم يكتف السيد، بذلك الإنجاز فكان سعيه لإنشاء أكثر من جمعية، لتعميم التعليم في القرى النائية وإنهاض مدينة صور.

السيد جعفر شرف الدين هو من ذلك الرعيل المميز الذي تماهى مع قضايا منطقتهو وقضاثا الوطنو وقضايا الأمة، وهو واحد من تلك الكوكبة الفريدة التي يحق لها أن تبقى خالدةو لأنها حفرت عميقاً أسس النهضة العلمية والثقافية والاجتماعية والوطنية التي تعيضها صور ومنطقتها الآن، هو من جيل البياء الكبار في الجنوبو الذين كانوا مفصلاً بين عهدين من حياة المنطقة ثانيهما عصر النهضة او بداياتها الحقة.

منذ اعوام اقعده المرض والشيخوخة عن الحركةو وهو الذي ما استكان يوماعو ولا غاب عن نشاط سياسي او فكريو ولكنه وهو سليل الأشرافو ختم حياته بإنجاز علمي كبير هو سفر «الموسوعة القرآنية» في اثني عشر مجلداً رفدت المكتبة العلمية وزادت في تراثها. رحم الله أبا محمد.

إبراهيم بيرم

النهار ٢٦/٧/٢٠٠١



المنارة والمدينة(١)

لم نكن ندري والأيام تتقاذفنا باتجاهات شتى ونحن نلتقي أو نفترق فيها، بأن هناك ما كان ينتظرنا في المقلب الآخر من ظروف حياة عصفت بنا جميعاً ذات يوم حين دخلنا نفق حرب أهلية ضروس، أبطلت ما كان قائماً، وأحلت ما كان محرماً، وهكذا عدنا جميعاً إلى بيوتنا ننتظر مع المنتظرين نهاية لتلك الحرب التي كانت تتوالد من أرحام شتى وتأخذ لها أسماء مختلفة ومع ذلك فهي لم تبدل أهدافها طيلة تلك السنوات العجاف التي استباح فيها الآخرون البيوت والقرى، هكذا كنا نواصل السعي ونحن نحاول ما أمكننا ان نحافظ على ما يجب أن يبقى من أعراف وقيم وتقاليد. وكان السيد جعفر شرف الدين نائب صور لثلاث دورات منتظراً من المنتظرين أن تكون هناك خاتمة لحرب طالت وأن يعم الأرض سلامها والبيوت مسراتها.

ولقد طال به ذلك الانتظار، هو الذي كان يأمل بالوطن خيراً يرتجيه أو ينتظر منه خيراً لا يأتيه، حين كانت الوقائع تقدم نفسها بصورة مختلفة، فعاد إلى مجلسٍ قديم له في الثانوية الجعفرية في مدينة صور، يستقبل الأصدقاء وينتظر معهم جديداً يتمناه فلا يدركه، ورصيده بساطة في المظهر ونظافة في الكف وحديث بلا تكلّف وابتسامة لا تفارق ثغره وود اعتاد أن يلاقي الناس به مذ كان شاباً في دارة والده السيد عبد الحسين شرف الدين، وإلى أن أصبح نائباً في الندوة النيابية ولسانه في تلك الأيام لسان الفقراء. وبعدها دارت الأيام بالسيد دورات شتى، من السياسة إلى الأدب إلى أحاديث السيرة، فظل فيها مبرزاً ومرجعاً وظل مجلسه

---

(١) نشرت في النهار بتاريخ ٢٨/٧/٢٠٠١.

مقصداً لأوفياءٍ كانوا يعودون إليه، فيستقبلهم متواضعاً بصفو سلالة ينتسب إليها، مداوماً على ذلك صباح مساء، يكفكف ما أمكنه من اتعاب قاصديه.

وحين بلغنا صباح يوم من أواخر تموز خبر وفاته، (فزعنا بأسماعنا إلى الكذب) وحين صدقنا، شعرنا جميعاً بأننا فقدنا بموته صفحات تاريخ مكتوبة بمداد من حبر المتوسط الأبيض الذي كان يعيد على مسامعنا دفء المصاطب القديمة، ظل الحارات التي تنافرنا وتزاحمنا فيها والشوارع التي تظاهرنا تحت صفو سمائها، وحلو الحديث الذي كنا نسمعه منه وبساطة المعاني ودلالاتها.

كنا قد وصلنا إليه متأخرين وتساءلنا كما هي عاداتنا دائما:

ألم نكن نستطيع أن نسمع منه بعض تاريخ لبنان أو نستعيد معه كل تاريخ صور؟

بلى، لو أردنا إلى ذلك سبيلاً وعقدنا النية قليلاً.

ها نحن الآن نودعه، نهمس في أذنه:

سُقيا للأمس، أما كانت مرامح الأمس فيها بعض خيولك، وسلاماً لبيت المنارة - بيت والدك السيد عبد الحسين شرف الدين وفيه نور أهل البيت الذي أنار أمام كثرة وافرة طريق الحياة.

هاني حلاوي



عربي مسلم وابن مرجع أعلى

رحل الآدمي الطيب السيد جعفر شرف الدين. أبا محمد، الذي ظل حتى سنواته الأخيرة محتفظاً بوداعة البسمة وشعاع العينين الدافئتين الحانيتين، وجهورة الصوت الذي طالما لعلع رصاصاً على المنابر وطنياً عربياً إسلامياً صافياً.

لعلك لا تجد صورياً أو جنوبياً لم يمر على الجعفرية معقلاً للعلم والأخلاق، مدرسة في الوطنية والعروبة، منارة للفكر الإسلامي.. كيف لا وقد بناها المرجع الإسلامي الأعلى الراحل السيد عبد الحسين شرف الدين وإلى يمينه دائماً السيد جعفر بقناعاته وتربيته وقراءاته وانتماءاته. كانت الجعفرية منارة عروبته في أحد سواحل جبل عامل.

ظل السيد جعفر في الإسلام قارئاً مدافعاً مع الإسلاميين محاوراً مقنعاً، وفي الحالتين كانت الاستنارة طريقه وكان طريقه الأهم أن العروبة والحياة والإسلام أمر يمكن الجمع بينها في عقل واحد وسلوك واحد وبطبيعة الحال انتماء واحد.

عاش السيد جعفر حياته.. كما يقال ملتزماً قول الله تعالى: **﴿وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله إليك﴾**.

ثالوث إلهي وجه الله إليه البشر فمنهم من قصر وعمل ومنهم من ابتغى دون النصيب ومنهم من أحسن ومنهم من أساء.. ان الله لا يحب المسيئين.

مدرسة في العروبة والإسلام العربي السيد جعفر، مدرسة في الأخلاق والطيبة «أبا محمد» ولعلك لو استفتيت الذين عرفوه عن قرب لخلصت إلى القول: «رحل الآدمي الطيب السيد جعفر شرف الدين».

حسن صبرا

مجلة الشراع، ٣٠/ ٧/ ٢٠٠١

ما زال حياً فينا

رامي ناصر

في تاريخ ٢٤ آب سنة ٢٠٠١ فقدنا والداً وجداً وقائداً. كان وما زال باقياً إلى الأبد شعلتنا المضيئة ومصدر فخرنا وتماسكنا.

إن السيد جعفر شرف الدين ما زال حياً في قلوبنا وعقولنا. هو يحيا في داخل كل فردٍ منا. إن محبته لإخوانه وتضحيته ووفائه لعائلته وإنجازاته العظيمة كلها ستبقى مصدر إلهامٍ لنا.

نبكيه بصمت وأسى وَنعِدَهُ أن نحافظ على الرباط الذي سيجمعنا بقوة إلى الأبد.



هكذا يكون الرحيل

إنها لحظة العبور مع الزاد إلى العالم الأبهى. يترك السيد جعفر إرثاً من الحب والرؤية المستنيرة والوفاء للعديد من القضايا المحقة ويبقى المدرسة العظيمة في مد يد العون لكل المعذبين...

أفلتت روحه المتمردة من الجسد القيد لأنها تأبى الاستكانة.

في لحظاته الأخيرة أراه يستعرض شريط حياته وأجزم بأنه في تلك اللحظة كانت الابتسامة تعلو شفتيه، علامة الرضى، غير أن الجسد الذي لان أمام الزمن شكل لغة الألم.

ملائكته تشهد له...

ابكوه بهدوء وسكينة كهدوء روحه حتى لا تخيب آماله.

أيها السيد ويا جد أولادي العظيم. سأظل أشكرك ولآخر مرة أقبل وجنتيك وأقول لك الوداع.

الأربعاء ٢٦ تموز ٢٠٠١

باسم حسن

هيوستن/ الولايات المتحدة الأمريكية

السيد جعفر شرف الدين الرحيل الصامت

عن عمر يناهز الثمانين عاماً طوى الموت النائب السابق السيد جعفر شرف الدين بعد حياة مفعمة بالنشاط في شتى المجالات السياسية والتربوية والاجتماعية.

السيد الذي عرف بعصاميته وتمسكه بالقيم ووضوح توجهاته الوطنية والقومية هو سليل أسرة متدينة، ونجل المجتهد العلامة عبد الحسين شرف الدين.

لقد خاض غمار السياسة فانتخب عن قضاء صور لعدة دورات، ولكن الحياة النيابية ومتطلباتها لم تصرفه عن الاهتمام بالقضايا الاجتماعية، فكان بدماثته وطيب معشره أكثر قرباً من الناس.

وقد أولى الجانب التربوي جل جهده إيماناً منه بدور العلم والثقافة في استنهاض الناشئة، ودفعها قدماً في طريق التطور.

ومن هنا كرس حياته في سبيل تعزيز دور «المؤسسات الجعفرية» التي تولى رئاستها باذلا ما استطاع من وقته وجهده لتتمكن من القيام بالمهمات التي أنيطت بها وهي رفع المستوى العلمي والتربوي لطلابها.

ولئن كان في أعوامه الأخيرة قد أقعده المرض عن متابعة كل النشاطات الفكرية والثقافية التي كانت تقام في منتديات صور، إلا أنه قضى حياته شريكاً ومؤسساً في حركة التغيير، وهو الذي كان منذ تفتح وعيه السياسي منخرطاً في ساحة النضال انسجاماً مع قناعاته الوطنية والقومية التي ظلت تميزه عن غيره من رجالات السياسة المحترمين الذين اتقنوا اللعبة البرلمانية فأخذتهم بعيداً عن حلبة الفكر والثقافة والقضايا الكبرى.

ان حزب البعث العربي الإشتراكي والقيادة القطرية في لبنان يسألان المولى أن يتغمد الفقيد الكبير بواسع رحمته ويسكنه فسيح جنانه.

مجلة الراية، ١٥/٨/٢٠٠١

السيد جعفر شرف الدين

جريدة السفير: ٢٧/٧/٢٠٠١

يبقى السيد جعفر شرف الدين حاضراً في الذاكرة. إنه ذلك الرجل الحسيب النسيب الذي طاب محتده، فكان الأديب الألمعي والكاتب النحرير والمربي الفاضل والوطني اللبناني الأصيل والقومي العربي النبيل، والمسلم الذي سما خلقه وحسنت مناقبه، والبرلماني البارز.

ولد السيد جعفر شرف الدين في قرية شحور، في جبل عامل، في العام ١٩٢٠ عشية كان والده العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين مشرداً عن وطنه من قبل الفرنسيين.

منذ طفولته تلقى على أبيه علومه الأولية، واقتدى بأبيه في سلوكه وحياته في شتى نواحيها. وبعدما أتم دراسته في مدرسة صور الرسمية التحق بالكلية الشرعية الإسلامية في بيروت التي كان يشرف عليها مفتي الجمهورية اللبنانية، وبعد تخرجه من هذه الكلية انتسب إلى معهد الآداب الشرقية في الجامعة اليسوعية.

بعد التخرج عهد إليه والده الإمام إدارة الكلية الجعفرية فأفرغ جهده في خدمة هذا الصرح التربوي العملاق. وكذلك أقام صروح العديد من المدارس المجانية الزاهرة. وكان له الباع الطويل في حقل النضال الوطني من أجل استقلال لبنان وعروبته والدفاع عن الحريات الديموقراطية في ربوعه. وكان من المؤسسين للعديد من الروابط الأدبية، وقد اختاره الشعب ليكون نائباً عن قضاء صور في الأعوام ١٩٦٠ و١٩٦٤ و١٩٦٨. ولم يحالفه الحظ في العام ١٩٧٢ هو والسيد

محمد صفي الدين (أطال الله في عمره) نتيجة لمؤامرة حاك خيوطها أحد رجالات السياسة.

ونذكر في هذه العجالة أن السيد جعفر شرف الدين كان من الداعمين الأوائل لإطلاق العمل الفدائي في فلسطين المحتلة في منتصف الخمسينيات بالتعاون مع إبراهيم الرملاوي ومحمود نعناعة وحمدان فياض وحميدي العلي. وأثناء ثورة ١٩٥٨ ضد الحكم الشمعوني كان في متاريس حزب البعث العربي الاشتراكي. وعندما اندلعت حرب السنتين كان همه صيانة الوحدة الوطنية في منطقة صور وتجنب منزلقات الفتنة الطائفية.

تسنى لي أن أتعرف على السيد جعفر شرف الدين عن كثب في شهر تشرين الثاني ١٩٨٣ عندما عملنا في تجمع الهيئات الثقافية والإعلامية لدعم تحرير الجنوب والبقاع الغربي وراشيا، فكان الناطق باسم هذا التجمع ورئيساً لجلساته.

وكانت لي معه جلسات مطولة صيف العام ١٩٩٠ حين أجريت معه حديث ذكريات. وكنت مندوباً عن مجلة «الراية» فروى لي باستفاضة ذكرياته الممتعة.

وكنت ألتقيه دوماً، فكان ذلك الرجل المؤمن المتفائل بمستقبل الوطن وغد الأمة.

وكان لي ولأصدقاء لقاء أخير لأشهر خلون في منزله بصور وقد لاحظنا أن المرض قد أخذ منه مأخذاً.

رحم الله السيد جعفر شرف الدين ذلك الإنسان الطيب الطاهر الورع الشريف العفيف.

سعيد الصبّاح

إلى السيد جعفر شرف الدين

يا أبا محمد.. سلام عليك

جريدة السفير: ٣٠/٧/٢٠٠١

حدث ذلك في أحد أيام خريف ١٩٤٩... أنا لا أزال أذكر التفاصيل بوعي محبّب رغم صغر سني... يومئذ كانت مدرستنا في بنت جبيل مدرسة ابتدائية، تحتضن أبناء البلدة وأبناء القرى المجاورة، وتؤمن إيصال الناجحين منهم إلى صف الشهادة (مع أل التعريف طبعاً)... ولم يكن عدد الصف النهائي (السرتفيكا) يبلغ العشرين تلميذاً في أحسن الحالات... حتى إذا تقدّمنا، ونجح من نجح، كان على أهله إذا استطاعوا أن يبحثوا له عن مقعد في مدرسة تكميلية، في صيدا أو صور أو النبطية أو دير مشموشة أو خارج الجنوب في بيروت.

يومئذ لم يكن في كل الجنوب ـ ما عدا حواضره ـ مدرسة واحدة تصل صفوفها إلى الشهادة الابتدائية.. كان التعليم في تلك الفترة رفاهاً فوق طاقة الاحتمال، واحتكاراً للنافذين الميسورين... وكان جبل عامل بمعظمه من دون ماء ومن دون كهرباء وطرقات معبدة...

نحن جيل تلك الأيام نذكر جيداً ذلك الواقع، وتلك المعاناة... وهكذا في أحد أيام خريف سنة ١٩٤٩ اصطحبت خالي ـ نزولاً عند إصرار والدتي ـ إلى صور لأكمل دراستي التكميلية في الكلية الجعفرية...

كانت صور المترامية بدلال على الشاطئ الأزرق، عاصمة الجوار، مدينة

تختصر كل ما حولها، يرتاح فيها التاريخ، وتشرق شمسها على كل جديد، وكان مبنى الكلية الجعفرية العتيق يطل على البحر، ويتكئ على مخزون ثري من مخلفات الغابرين وعبقرياتهم...

دخلت مع خالي على شاب وسيم كث الشعر والشاربين، عريض المنكبين، باسم المحيا، ضاحك العينين، يشدك إليه حديثه، ويؤنسك لطفه... ففارقني خجلي، وذهب عني ارتباكي.. وعرض له خالي وضعنا المادي وصعوبة تغطية القسط المدرسي ولوازم الدراسة... نظر إلي بحنان غامر، ولفتة كريمة وقال: أنت ضيفنا... تنام مع التلامذة (الداخليين) في الكلية دون مقابل وتدفع نصف قسط مدرسي لا غير..!!

صدّقوني أنني عرفت في هذا الموقف كيف يبكي الفرحون، وكيف تشف الروح جذلى من السعادة... وكيف يخرس الإنسان بدل أن يصرخ طرباً... وددت لو أضمه امتناناً... أقبل يديه كيدي أبي اعترافاً بشهامته وتقديراً لكرمه... ورأيتني في هذه اللحظة خلقت من جديد... ها هو مستقبلي أمامي، وهذا السيد جعفر يُمسك بيدي، يحضنني، يرعاني، يفتح الأبواب المغلقة والآفاق المسدودة... ها هو في منارته الصورية يأخذنا إليه، يسدد خطانا، ينمي طموحاتنا، ويزرع كل واحد منا في محيطه، يوزع عبرنا نوره، عطاءاته، والأدب وخيره العميم...

أتعلمون أن الكلية الجعفرية ـ هذه المنارة الصورية ـ كانت منذ نصف قرن أو يزيد أم المدارس على مساحة جبل عامل..؟! في تلك الأيام الصعبة كان جنوبنا على هامش الوطن... وكان سكانه خارج دائرة الاهتمام، بعيدين عن مراكز القرار، وغريبين عن ساحة الحركة... من الصعب أن يدرك أبناؤنا ما كان عليه آباؤهم... وحده جيلنا يعي بعمق وتفهم ما عانى من الجهل والحرمان والتسلط والوجع والقهر.. وكان للكلية الجعفرية ومؤسسها ومديرها وأهلها الريادة والنضال والجهاد والكفاح على مساحة وامتداد الوطن ساحلاً وجبلاً وشمالاً وجنوباً وبقاعاً...

يا أبا محمد، يا ابن الأكرمين... أيها العالم المتواضع البعيد عن حب المظاهر... لمثلك تُحنى الرؤوس، وتُقرع الأجراس... بالله عليك أطل علينا من عليائك.. فهذا بلدك قد ملأته آلاف المدارس ومئات الكليات وعشرات الجامعات... ها قد نعمت أقاصيه بالماء والكهرباء وواسع الطرقات... ها هم شبابه يتوزعون على صفوف العلوم والآداب والاختصاصات... لكننا أنى كنا، وإلى أين وصلنا... سنبقى نذكر بامتنان وفخار وعرفان أن هذه السوامق من البنيان والمعارف ما قامت إلا على الأساس الذي بنيت والركن الذي شيدت أنت والطيبون من أهلك... فسلام عليك حيث أنت في رحاب الرب الكريم!

إحسان شرارة



«الجعفرية» بلا جعفرها

جريدة النهار: ٣١/ ٧/ ٢٠٠١

لم يكتب جعفر شرف الدين مذكراته. ولو فعل لكان لنا ربما أن نعرف ـ كتابة لا شفاهة ـ شهادة الشخص الذي تمت معه وعبره ومن خلاله التحضيرات الأولى لمجيء رجل دين شاب في نهاية الخمسينيات إلى لبنان سيكون له لاحقاً شأن كبير في بلورة التشكلات الجديدة للبنى السياسية للطائفة الشيعية في لبنان... هو السيد موسى الصدر. فتلك المرحلة أي منذ وفاة الإمام عبد الحسين شرف الدين، مروراً بذهاب السيد جعفر مكلفاً من العائلة إلى طهران، فقم، حيث كان شقيقه السيد عبد الله (قاضي الشرع الحالي في لبنان) يدرس، للبحث في من سيكون رجل الدين الذي ستختاره العائلة مكان المرحوم الوالد... إلى ظروف وقوع الاختيار على السيد موسى. باعتبار آل الصدر في إيران والعراق وآل شرف الدين في لبنان ينتمون إلى أصول واحدة منبتها قرية شحور الرابضة على أحد أكتاف نهر الليطاني في أقصى شمال شرق قضاء صور... وما حصل بين قم وطهران وصور إلى وصول السيد موسى إلى لبنان وبنائه في الستينيات مركزاً أخذ يمتد ويتسع خارج صور وداخلها... هذه المرحلة، التي يعرف الكثيرون من اللبنانيين فصول روايتها اللاحقة لأنها ستتحول إلى جزء أساسي من تاريخهم الحديث، لا يعرفون عن بدايتها الكثير وليس من كتابات جادة حتى الآن حولها.

هذا بعض ما كان عند «السيد جعفر»... وإن كان من «بعضه» الأهم، ولئن كان عدم كتابته لمذكراته ـ باستثناء مداخلة سريعة له معظمها عن سيرة والده قرأها في المجلس الثقافي للبنان الجنوبي في النصف الأول من الثمانينيات ـ لئن كان

عدم كتابته لمذكراته جزءاً من «تقليد» سلبي ما زال يصيب في لبنان مع الأسف السياسيين المسلمين أكثر من السياسيين المسيحيين الذين ـ للدقة أرّخوا بعدد كبير منهم لتجاربهم في الحياة العامة بعكس معظم السياسيين المسلمين ـ فإن «السيد جعفر» بالإضافة إلى ذلك ينتمي إلى بيئة عائلية ـ اجتماعية ـ دينية شديدة المحافظة في فصلها بين ما يجب أن يُقال وما لا يُقال وبين ما يُكتب ولا يُكتب خصوصاً حين يختلط الشخصي بالعام.

إنني أتحدث هنا عن سياسي كاتب، عن كاتب أديب كتب الكثير ولكنه لم يكتب تجربته في الشأن العام وإن كان ـ في حياته الحافلة ـ أصدر أكثر من كتيب وكتاب في مراحل متعددة عن آرائه في الشأن العام. وهذه مسألة مختلفة عن تلك التي أثيرها هنا، وغالباً ما أثيرها، حول ضرورة كتابة المذكرات كـ«حق» للمجتمع على الشخصيات التي تلعب أدواراً ذات شأن بنظر هذا المجتمع.

يموت زمن بكامله مع أمثار جعفر شرف الدين حين يموتون. أو لعل موته تذكير بأن زمناً قد انتهى... في هذا الانتقال الدائم بين «الأزمان» الذي يظل يفجأنا رغم أنه «سنة الحياة» كما يقول السلف، ربما لأن العمر الواحد أضيق من أن نتحمل ـ بلا توتر ـ كل التحولات.

كان «أبو محمد» عاماً وفريداً في آن. كان عاماً في أنه واكب البيئة الدينية - السياسية في جبل عامل «حتى الثمالة» منذ الثلاثينات، مستفيداً طبعاً من وجوده إلى جانب والده السيد عبد الحسين المرجع الديني الأبرز للطائفة الشيعية في لبنان مع السيد محسن الأمين حتى ظهور المدرسة الجديدة للتشكل المرجعي للطائفة الشيعية اعتباراً من الستينيات وتبلورها في السبعينيات وبعد أن كان هذان المرجعان الفقيهان (المعروفان والمدرسة كتبهما في مختلف الحوزات الدينية للبيئات الشيعية من الهند إلى العراق) قد توفيا تباعاً في الخمسينيات.

السيد محمد حسن الأمين سمّى مرة المؤرخ حسن الأمين (اطال الله عمره) نجل السيد محسن بأنه ـ أي السيد حسن ـ «والد أبيه» في حرصه على ارث والده وفي السعي لإكماله.

كان كل من الاثنين المرحوم السيد جعفر بالنسبة لوالده السيد عبد الحسين، والسيد حسن بالنسبة لوالده السيد محسن، لا يحفظ الإرث المكتوب فحسب، بل يعتبر نفسه «حامياً» لهذا «الإرث» ضد أي «معتد» عليه أو أي شخص يظنه «معتدياً» عليه، كل منهما يعتبر إحدى مهماته الجلل، بل الأكثر جللاً في حياته، هي، لفرط العاطفة والإعجاب والتقدير لوزن الوالد، بناء سور يحمي الإرث. سور دائم الاستنفار، بحراسة يومية فكرية وسياسية وإعلامية لا تستريح. حيال أي إطراء يرد بإطراء، وحيال أي نقد يرد بنقد وأحياناً بما هو أقسى من النقد.

كان الإمام عبد الحسين شرف الدين «ملء الأسماع» في البيئة الدينية الواسعة (نسبياً قياساً بالديموغرافيا الشيعية المحدودة في لبنان المحدود أصلاً). في حياته، لا منذ مؤتمر «وادي الحجير» الذي هو أبرز «علامة» على موقف «الطائفة» من الاتجاهات القلقة في بلاد الشام بعد سقوط الأمبراطورية العثمانية، المؤتمر الذي أيد الدولة الفيصلية في سوريا، بل قبل ذلك، عندما قدّر لرجل دين شيعي شاب عام ١٩١١ أن يتخذ «مبادرة» تحولت لاحقاً إلى أحد معالم تميزه، فخلال وجوده في القاهرة، يتصل عبد الحسين شرف الدين بعلماء جامع الأزهر وعلى رأسهم الشيخ سليم البشري، شيخ الأزهر المالكي المذهب، ويدخل معه في حوار فقهي عميق بأخذ ورد بين المذاهب السنية والمذهب الجعفري حوّله لاحقاً إلى كتاب هو «المراجعات» أصبح الآن أحد كلاسيكيات التدريس في الحوزات الدينية الشيعية في العراق وإيران.

ظل السيد جعفر حتى أقعده المرض في استذكار دائم حول دور الوالد، تارة مكتوباً وتارة شفهياً، بل الأصح حول أدوار الوالد وبعضها جزء من السجال «الداخلي» في جبل عامل منذ العشرينيات، منذ طارده الفرنسيون، إلى الثلاثينيات ومرحلة «بشكوف» الضابط الفرنسي في جنوب لبنان، إلى... إلى... إلى مبادرة السيد عبد الحسين ببناء المدرسة التي ستتحول لاحقاً وبنشاط السيد جعفر ودعم بعض بيئات الاغتراب في أفريقيا إلى أكبر كلية للتدريس حتى المرحلة الثانوية في جبل عامل، وإلى الصرح الثاني في الحجم حتى أوائل السبعينيات في البيئة الشيعية اللبنانية بعد الكلية العاملية في بيروت.

من السمات التي طبعت التاريخ السياسي للكلية الجعفرية، انخراط السيد جعفر الوطيد في تأييد التيار البعثي في جنوب لبنان في أواخر الخمسينيات حين تحولت الكلية الجعفرية إلى معقل لمعارضي الرئيس كميل شمعون، يجمع بين «بعثية» بعض أقرب أقرباء السيد جعفر وبين علاقة وطيدة وتقليدية للعائلة بـ«دار الطيبة» ممثلة بالرئيس أحمد الأسعد ولاحقاً بعلاقة تارة وطيدة وتارة قلقة بالرئيس كامل الأسعد.

وخلال ذلك «مشاحنات» أصبحت من التاريخ الحزبي المسلي بين البعثيين و«القوميين العرب» في صور تلك المرحلة.

ثم تأتي «النيابة» كحصيلة لكل هذا النشاط والعلاقات في الإطار الأعم للسياسة اللبنانية في عهد الرئيس فؤاد شهاب. فيفوز «أبو محمد» إلى جانب السيد محمد صفي الدين في ثلاث دورات متواصلة (٦٠، ٦٤، ٦٨) ومعهما سليمان عرب ثم لاحقاً علي عرب... ضد زعامة عائلية شديدة السطوة بمعايير ذلك الزمن في مدينة صور كانت قد رسخت نفسها منذ الثلاثينيات عبر المرحوم كاظم الخليل.

زمن مات، لم يمت فيه كل شيء. ولا يعقل أن يموت. تنقضي مرحلة السيد موسى الصدر بكل صخبها واتساعها ويواكب «آل شرف الدين» عاصفتها بأشكال مختلفة من الحميمي متمثلاً بزواج ابن أخيه حسين شرف الدين من شقيقة السيد موسى، رباب، إلى التوافق فالسجال مع ابن الأخ الآخر المهندس جعفر نجل الشخصية القوية في العائلة المرحوم «المفتي» السيد محمد جواد والذي سيصبح بطلب من عمه وبدعم من الرئيس كامل الأسعد وزيراً للموارد المائية والكهربائية في حكومة الرئيس صائب سلام... (وسيظل حتى اليوم أحد أبرز الوزراء الذين «مروا» على هذه الوزارة لما أثاره من ملفات كبيرة وخصوصاً نهر الليطاني على غرار بعض زملائه في تلك الحكومة، كل في مجاله، إميل البيطار وهنري إده وحسن مشرفية وإلياس سابا)...

من الحميمي... إلى العام.

زمن مات. لم يمت كل شيء فيه. وهذه «سنة الحياة» كما يقول السلف.

تبقى اليوم الكلية الجعفرية، صرحاً عريقاً ومفتوحاً على كل تطوير وتحد بين أيدي أنجال المرحوم، محمد وموسى وعلوان. (موسى الذي أسس جمعية كبيرة للمعاقين في بيروت وهو اليوم أحد الناشطين على المستوى الخارجي في هذا المجال).

كان جعفر شرف الدين عاماً وفريداً. بين العامة والنخبة. بين السياسة والتعليم. بل بين التعليم والسياسة، بين لبنان والعراق دائماً بصلات النسب العائلية والصداقات الموروثة وأحياناً قليلة ببعض السياسة في بعض ظروف السبعينيات. بين لبنان وإيران... على مراحل مختلفة... مروراً بإيران ١٩٧٩... فصاعداً. وكان شقيقه صدر الدين قد أُبعد من العراق في الأربعينيات بسبب معارضته للسياسة الموالية لبريطانيا..

الشعر في المجالس التي عَقَدَت، أو التي انضممت، ودفء الانشداد إلى كل بلاغة أدبية، وحرارة السجالات والملح الذي يرضحها عن شاطئ صور، ومتاعب بيروت وصالوناتها وهموم النجف كأنك دائماً في أحد أحيائها... وأصداء دمشق وبغداد والقاهرة.

زمن مات. لن يموت فيه كل شيء. لا يعقل أن يموت. ووجهك الوضاح في خاطري الآن قمر ذكراه يرئ أشعته الفضية على ليل صور ومائها المسكون والساكن.

جهاد الزين

عجلت يا جعفر الفراق!

جريدة المستقبل: ٥/٨/٢٠٠١

عجلت السفر يا أبا محمد، وسمي إمام الأئمة جعفر الموقف والعرفان، والصيِّدَ الموروث، صرعك الحبر والورق، وذهبت في طريق الضنى والتعب تحمل الحروف، والعبارات على منكبيك، وترسم كلام الله بين أهدابك بوحي من نبض قلبك الذي رسم ذكريات التاريخ وجهاد أجدادك الطالبيين، وخلّيت المكان لمن حمد رسالة كتاب الله في قلبه، وبين مصارح أهدابه!

الحبر يا أبا محمد خمر المثقف الحر، والورق ميدان الفكر المشرق الذي يستلين أخضر أنضر لأقلام الشرفاء، وهل أشرف ممن ينحني للصلاة مرتلاً آيات الكتاب الجليل القرآن؟

مددت يديك وعينيك إليه، فذكرك بمحمد، وعلي، والكعبة، وجرّدت قلمك لترصف مدى العبارة، وترسم وعي عقلك ونبض قلبك في صلاة المؤمن الذي رفع الكتابة عن القرآن إلى مرتبة الصلاة!

قرأت القرآن، فإذا به ينتقل إلى شمائلك، ويقرأ بملامحك ومخايلك ما رسمه الآباء والأجداد في صفحات التقوى والمعرفة، والصيِّدَ النبيل الذي لم يلن لطاغية ولا ذل لمخلوق، ولم يتراخ عن مبرة، أو أنه تنكب عن استلال العزيمة، والسيف خارق البطولة، ومسجل عنفوان الكرامة في سبيل الحق، ونصرة العدل، وكبح جماح الباطل!

كنت في صور بلد التاريخ تاريخاً آخر للمكارم، والسيادة بين قلب مفتوح لنسائم الحب والكرامة، والكرم، فضممت أمجاد المكان، إلى مناقب شرفاء

الزمان. فالتمّ في شخصك والصيِّدَ الموروث، والعرفان الساطع، والجهاد المقدس لجلاء الأسرار الإلهية بقلمك المغموس في جبهة الشمس!

المجلدات التي حبّرتها وحدك مكتبة المجد والصلاة والحروف التي شعشعت جبانها تلونت في صحفك باخضرار ورق سدرة المنتهى، وغصون شجر الجنة، فإذا بطيور الفردوس تصدح فوقها، وتنادي من ذكّر بها، وصلّى لمواعيدها، فإذا بكوثر الصفاء يشارك الريش الأبيض، والمناقير الحمراء، والرفيف الممراح يموّج عطر الجنة، ولسان حال الكوثر، والأجنحة، والشجر نداء بنشيد مشتاق إلى من صنع عبارة النور، وفتح أبواب الفردوس!

سنون طويلة تصارع فيها خلو الورق، لترسم متارف العطر والضياء من كتاب الله، فلا يظنّن العابر السانح أن ذلك الغنى بكّر بسفرك، بل إن متارف الجنة التي ناديتها فنادتك هي التي موّجت شوقها، وحملتك على رفرف الطهر والمباركة إلى حيث تتلاقى مع آبائك وأجدادك في رفرف الطهر، والمكارم في فردوس الله.

إذا قال شاعر الفرنجة ب. أيلوار: «الإنسان تحت التراب يترك المجال لإنسان فوق التراب» وأنت أنت يا جعفر لم تترك التراب فقد زرعت فيه التقوى والمكارم، وأفسحت المجال لنجلك المبارك الواعد محمد أن يستلّ العزيمة، عزيمة الطالبيين، ويكتب في سفر الزمان التاريخي الأخضر مآثر الآباء والأجداد، ويمادي أناشيد الضوء والعطر من كلام رسمه جعفر، وحفظه محمد بن جعفر ليؤدي رسالة أبيه وأجداده إلى سائر البشر.

رب مسافر في درب النهاية أغلق وراءه باب التذكار، فغلّفها ضباب النسيان، أما أنت فالتراب الذي احتواك ضمّخته بعطر الشمائل، وسجّلت فوقه كلمات الطهر، والمجد، والتقوى!

أبا محمد!

أيبعد أن يلتقي بك عليّ بن محمد. فسلام عليك، سلام يفيض بالعطر إذا ذكر اسمك:

إذا نحن سميناك خلنا شفاهنا من الطيب والتذكار تزهو وتزهرُ

أبا محمد، صلوات الله لك، وعليك!

علي شلق



تأبيناً للمربي السيد جعفر شرف الدين

... وانكسرت قارورة العطر

جريدة السفير: ٢٠٠١/٨/١٣

سيد طاهر، تقي، مؤمن، متواضع يطفح وجهه نوراً وإيماناً... محدث لبق، مستمع ممتاز، لطيف المعشر. كلماته تدخل قلبك وعقلك دون استئذان، قريب إلى القلب، يقنعك بكلماته الحكيمة الصادقة الواعية، بسمته لا تفارق وجهه المنير. عنده لكل مسألة صغيرة كانت أم كبيرة حل.

السيد كان من عائلة علمية معروفة، كان دوره مميزاً بالمسؤولية والتوجيه والإرشاد في نقابة المدارس الخاصة التي كان عضواً فاعلاً في الهيئة العليا لنقابات المدارس الخاصة في لبنان.

«السيد» جعفر كان كبيراً في عطائه، كبيراً في تواضعه، كبيراً في إيمانه، صادق اللهجة والنوايا، مرحاً، صاحب نكتة، أحب الناس، وتواصل معهم فأحبوه، تربطه علاقة متينة وصادقة بكل من عاشره...

اسمه على كل شفة ولسان يحترمه الكبير والصغير، يساعد المحتاجين والأيتام والفقراء. كان مربياً ناجحاً، ومثالاً للإنسان الصادق، فضلاً عما امتاز به من الوفاء والإخلاص والمزايا الحميدة التي حملت الكثيرين على احترامه وتقدير مساعيه التي كان يبذلها على مختلف الصعد الاجتماعية والإنسانية والتربوية.

تتلمذ على يديه عشرات الأطباء والمهندسين والمحامين والنواب.

لقد كان للراحل الكبير... شخصية فذة..

أيها المربي الكبير

منك تعلمنا كيف يكون الرجال، ومعك عشقنا العلم... علمتنا الإباء رسالة والكبرياء مجداً والوفاء محبة.

أضئت من أنوار علمك للمعرفة نبراساً، وللكلمة الحرة مشعلاً.

فكنت أنشودة عذبة تأنس الأسماع، الإصغاء إليها فاستحلت دمعة تترقرق على كل خد.

روحك يا سيد الكلمة محمولة على جناحي حمامة بيضاء، تحلق في رحاب رب الأرض والسماء.

ووجهك نذكره متألقاً طافحاً بالإيمان والمحبة والوفاء.

سيبقى اسم السيد جعفر شرف الدين يتردد على الألسن ما دام هناك أوفياء في بلادي...

ليس هذا ثناء أنفحه به، إنما هي كلمات صادقة انطلقت من قلب محب من جمع المحبين الكثر للسيد الذي أشعرنا فقده بالوحشة والألم. فجرى على الأثر قلمي بهذه الكلمات القليلة بحق هذا الإنسان الكبير الذي أعطى أسمى ما يمكن أن يعطيه إنسان في زماننا هذا.

لقد رحل السيد وحفر في قلوبنا ونفوسنا ذكرى خالدة لن تمحوها السنين، سنذكره في كل لحظة وفي كل عمل خير ورسالة تعليم وإرشاد.

رحم الله السيد جعفر وأسكنه فسيح جنانه وألهم أهله ومحبيه الصبر والسلوان.

حسن بديع عمار

أمين صندوق

نقابة المدارس الخاصة

السادة الأصدقاء الدكتور موسى والمهندس محمد والمهندس علي والعميد مصطفى ناصر ورفيق شرف الدين وعبد الكريم شرف الدين وعصام عسيران وعائلاتهم..

بانتقال السيد جعفر شرف الدين إلى جنات الخلد التي وعد الله بها أتقياءه والمؤمنين بالدين القويم، يخسر الجنوب بعامة وصور بخاصة رجلاً لا كالرجال علماً ورجاحة عقل وجرأة في قول الحق ومقاومة للظلم وإحساناً لكل محتاج.

لقد كان السيد جعفر طيب الله ثراه علماً من أعلام السياسة والتعاطي في الشأن العام وكان من المتقدمين الأوائل في وعيه لأهمية التربية والتعليم فوجّه منذ نيف ونصف قرن اهتمامه ونشاطه نحو نشر المدارس في كل قرى الجنوب إيماناً منه بأن لا نهوض لأمة ولا رقي لشعب إلا عن طريق التثقيف والتربية والتعليم. إن حيزاً مهماً من نهضة الجنوب التربوية إنما يعود الفضل فيه لهذا الفقيد الكبير الذي كان بثاقب بصره وبصيرته يستقرئ المستقبل ويهيئ الأجيال الشابة للعب دورها في بناء لبنان على أسس راسخة من العلم والثقافة.

وأنا الذي أعتز كوني عرفت الفقيد الكبير عن كثب وحظيت بصداقته وأنست بحلو حديثه وثاقب رأيه وانفتاحه على الأديان السماوية عامة، أشعر بأنني معني بالخسارة التي ألمت بكم وأسأل الله العلي القدير أن يتغمده بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أخوكم نبيل رحّال

١٥/٨/٢٠٠١

واعتلى الفارس صهوة الموت[1]

حتى لحظة المساء الأخير... كانت نظراته الشاحبة تتجول ولهى في وجوه محبيه ممن تحلقوا حول قلبه المتأهب للصمت. وكأنه تلمس بشفافيته التي لم تجزع لهول المنون غلالة الأسى التي غلفت وجوههم الوجمة الحائرة... فراحت شفتاه الوهنتان (اللتان لم تبوحا بالآه) تتمتمان ببضع كلمات أجراها خالصة للحب والوداع والدعاء، كانت آخر ما نضحت به روحه الطاهرة وآخر ما اغتالته يد الردى من على فمه المفعم بالبشر الذي ما لبث مبتسماً للموت ابتسامته من قبل الحياة.

وبكلماته الوادعة المؤمنة أسبل فقيدنا الغالي طرفيه للموت راضياً مرضياً، فيما كانت صورة والده الإمام ومحيا زاهرته المقمر والطوالع الغر لأنجاله وأشباله النجباء هي خاتمة ما وقعت عليه مقلتاه (رحمه الله برحمته الواسعة).

أجل... أذعن القلب المضرج بالطهر لمشيئة بارئه، وغادرت الروح الحدبة السمحاء الجسد المثقل بأعباء السنين الخوالي لتطوف حرة طليقة مطمئنة كيمامة بيضاء في رحاب رب غفور كريم، بيد أن ذكراك (سيدي) لن تبرح الألسن والضمائر، وإن صورتك الألفة لما تزل لصق الحنايا والضلوع، وإن سيرتك الحافلة بدرر المآثر وحلو السجايا ستبقى نبراساً على مر الزمن، وإن حياتك التي أطفأت أجمل سنيها في تنكب المهمات الصعبة وتحريض الهمم المخلصة وتوخي الغايات النبيلة ستظل (للمقتفين) دليل عمل ومنار طريق.

---

(١) نشرت في السفير في ٢٠٠١/٩/٧.

مطمحك، وأن ترخي شيئاً من قبضتك وأن تترجل (والعمر في خريفه) قليلاً عن صهوتك.

فإذا بك تفني مهجتك وعُدتك ذباً عن المبادئ وقراعاً عن الإرث وصوناً للغروس المباركة التي وضع والدك الإمام (طيب الله ثراه) أوزارها على عاتقك.

فهالك (وأنت في معترك الواقع) ما عايشته من اهتراء الأوضاع وطغيان التيارات وتناحر الشعارات. فمثلك (يا بن الأكرمين) لا يدجن عريكته لميل أو هوى ولا يحابي فئة على حساب القيم العليا ولا يمد يداً لصعلوك في دهليز مظلم ولا يلوي جيداً أو يطأطئ هاماً سعياً لمصلحة أو ابتغاء لغانمة.

حتى ذوى قلبك الكبير وجفت عروقه وتداعت نياطه وأجبر هذا القلب الغيور أن يستريح على سرير المرض. وما كان منا (بني عمومتك) وقد كبلنا الأوغاد بأصفاد حصارهم اللعين وأنباء خافقك المذبوح تتناهى إلى أسماعنا... إلا أن نمد إلى قلبك (عبر أسوار الحصار) شراييننا المعبأة بالحب الطازج والوله الشهي، وأن نشحن كل غيمة تسافر إلى جنوبك الباسل ببوارق وذنا ووجدنا كي تنثره رذاذاً ينقر زجاج نافذتك. أو أن نزجيك (على الناي) خواطر غمسنا حروفها بنقيع أشواقنا ونجيع أفئدتنا أو نبعث بدعوات شفاء طفناها لك بأضرحة أجدادك الأئمة الأطهار لتمنح قلبك المعطوب جرعة من العافية وطاقة على النبض.

فنبضك (سيدي) يؤرشف حياة ما صيغت إلا على نحو منفرد، وهدير صوتك هو صدى التاريخ يحكي أسرار رسالتك الرائدة في الحياة، وبوح قلمك وسطوع بيانك، وثاقب حجتك تذكرنا برجال الرعيل الأول.

فوا لهفي عليك (يا سيد الجبل والوادي)...

من غيرك يكفكف دموع الثكالى والأيتام حين يجتاحهم البؤس؟

ومن سواك يقتحم حصون الظلم فينتزع للمظلوم من صار ظلمه حقاً؟

ومن إلاك يعلي لطلبة العلم في غياهب الجهل صروحاً؟

ومن دونك يفك للملهوف عقدة، ويرأب لوحدة الصف صدعاً؟

ومن ومن ومن؟؟

أسئلة منتحبة تفتش لدموعها عن صدر رحيم لتبكيها عليه. وحاشا لله الذي تخطفتك ملائكته لعليائه أن يترك محبيك هملاً، بل سيقيّض من حملة إرثك وورثة نضالك من لا يدعون (بعونه تعالى) قاصياً ولا دانياً إلا وأفردوا له نصيباً من حقل ودادك الفسيح أو أسقوه شربة من شهد محبتك الصافية.

وحسبُنا في عزائنا أنك قد رسمت للجيل معالم الطريق الصحيح، وزرعت بنا قيماً، وأرسيت لنا أصولاً ستأخذ بيد الخيرين الشرفاء من بعدك.

ثم هذي محصلة جهدك قد أربت على سني عمرك، وهذا عطاؤك الثر لم تستوعبه عقودك الثمانية، وتلك قلائد عزك وفخرك قد طوقت جيدك عن جدارة واستحقاق.

وبعد (يا سيدي)... لحري (بعد كل الذي أفضيت) أن يكون رزؤك فادحاً ومصابك مروعاً وجرح فقدك غائراً ورافضاً أن يندمل.

وخالص دعوانا أن تكون فجيعتك خاتمة أحزاننا ومنتهى خطوبنا، وليحفظ الله (جلت قدرته) أنجالك النبلاء وأشبالك الأغيار ويلهمهم وإيانا الصبر والسلوان ويجعلهم خير خلف لخير سلف.

بغداد ـ حبيب الصدر

٢٠٠١/٨/١٥

معراج وفي

وزائرتي، ليس بها حياء، كنسمات صيف، ذكراك.. ما تكاد تسكن حتى تزكيها نفحات الخير..

تحمل أعباق طيبك، تهمس سراً، ولا سر، أن كان لك في الخير عادة...

البحر بحرك، والريح تغازل التراب، والموج في ضيعةٍ، أيعلو أسىً أم يخفض جناح ذلٍ..

ويشارك الرمال مصابها...

ولا عجب، فالنبأ في رباني من سلالة أطهار، عامل يعسوب قد عرفته طرائق الجهاد بين مشارق عاملة ومغاربها، قد أتى مدينة العلم من بابها الحق، فطلب فأبقر، وأنفق منه فيَسّر، ثم آوى فنصر... زاهد جواد، صادق حكيم ذو كلمة سواء، حر سليل النبأ العظيم والآيات الكبرى، عالم من دون عمة، قد حيا شهيداً في بذله وتفانيه فنال بذلك مراتب البر العليا...

أوليس هو حفيد سيد الشهداء.. ولسان حاله يقول.. «أولئك أبنائي فجئني بمثلهم»..

هي وصيّة امتنعت عن الجبال وحملتها فأحسنت الحمل، أن «تخلقوا بأخلاق الله»..

وهو سبحانه وتعالى شهد لك أن قد حملت جبالاً رأيناها وجبالاً لم نرها.

وعلى ثقل ذلك ما أذكرك إلا بشّاً سبّاقاً في بسمة خالطت صورتك، تكاد لا تفارق سلام عينيك، وطمأنينة نفسك..

«تخلقوا بأخلاق الله» أوصاها خير البشر سيد النبيين، فكنت خير أمين،
بكرم من يبذل سترته على حبّ دفئها،
وبكظم غيظ مقتدرٍ قد عفا، وبرحمة ليّنٍ على لئيم،
وبغضب عزيز مناصر للحق محارب للظلم رفيق بالمظلوم..
ثمانون حولاً، كلا، لم تسأم... ولئن رُددْت لحملتها بأحسن منها...
ولعدت ببهائك... تجلياً منيراً من تجليات الكمال...
جدّاه، أيها العالم الفاضل، يا فخر من تعلم منك حرفاً،
ويا عزّة من انتسب إليك بطلبة..
يا بعضاً من معصوم...
قد وردت الحوض الكوثريّ، وسقاك أجدادك من الكأس الأوفى...
والزهراء استضافتك في المحراب.. وهوذا الوالد المقدّس متنعّم قرير العين..
أما من رُزء بفقدك، فالمصاب فيك جَلّ..
قد شكونا غربتنا.. فهل من شفاعة...

١٨ جمادى الثانية ١٤٢٢هـ

١٦ أيلول ٢٠٠١م

حسين ع. شرف الدين

السيد جعفر

جريدة السفير: ٢٩/١/٢٠٠٢

بعض الناس كتاب بحد ذاته ولغة قائمة برأسها. كتب السيد عبد الحسين كثيراً لكنه كان الكتاب. محضره كتاب، وكلامه كتاب، والجالس إليه كمن يجالس اللغة والكتب.

لم يكتب السيد جعفر شرف الدين كثيراً، ولم يجلس إلى الكتابة إلا حين استراح من السياسة، لكن اللغة كانت دمه وهواءه، وإذا تكلم تكلمت عبره، وإذا تكلم نبع الكلام من هذا الكتاب الذي تجسم شخصاً ولساناً. عرفت السيد عبد الحسين وأنا أدرج في طفولتي لكنني رأيته وسمعته. وما رأيته وسمعته لا ينسى. شيخ جعله السن وجعلته اللغة وجعلته الحياة وجعله المحضر تاريخاً. وقد كُتب لي أن ألمح هذا التاريخ لمحاً قبل أن يغيب. أما السيد جعفر فعرفته معرفتي لأبي، وكان يمكن أن تختلط الصورتان في بالي ويختلط الصوتان والهيئتان ويختلط الصدى والذكر والشوق. كان السيد جعفر في فتوتنا قمر أحلامنا. وما كنا نعرف من أين يطلع علينا؛ من سماء مزدوجة هي سماء البيت العالي والحرف العالي والماضي العالي. تداولت السيد عبد الحسين شرف الدين الزعامة والفصاحة يوم كانت الزعامة للفصاحة وكانت الفصاحة سلطة بحد ذاتها وقوة ومجداً. لم تبق الفصاحة والزعامة تاجاً واحداً عهد السيد جعفر، لذلك كانت الفصاحة تغربه أحياناً عن الزعامة والزعامة تغربه أحياناً عن الفصاحة، لكنني أذكر وأنا في أوائل فتوتي السيد جعفر يخطب في معركة انتخابية بعد حرب الـ١٩٥٨ الصغيرة التي كانت خطابة ولغة أكثر مما كانت عنفاً. يومها كان السيد صاحب

التاجين تاج الفصاحة وتاج الزعامة وقد اتحدا في خطبة سالت بلاغة وحلّقت فوق الحشد وبدت أجراساً خالصة وهزجاً خالصاً وحداء خالصاً.

لكن الزعامة افترقت شيئاً بعد شيء عن الفصاحة، بل بدا وكأن الزعامة تحولت شيئاً بعد شيء إلى ركاكة خالصة. لكأن الحرب اللبنانية الأخيرة خلّصت السياسة كلها من الأدب واللغة والكلام كله وأحالتها إلى تقنية بحتة وفعل بحت يتهم الكلام كله أو يؤثره رخواً عياً متأتئاً مطاطاً. هكذا غابت أقمار الفصاحة وأقمار الحرف العالي والبيت العالي، وأنا لست هنا لأشهد مع أو أشهد على. لكن شيئاً يخالطني مخالطة الدم والنفس لا يسعني أن أكون شاهداً عليه أو له، إنني أصغي وأتذكر وأشرق بإصغائي وتذكري وكفى.

نعمت بحضور السيد جعفر أمسية من القلائل التي تجرأت على أن ألقي فيها من شعري، وأعرف أن اسمي هو الذي جذب السيد إلى حضورها؛ اسم الابن وابن الأخ. نعمت أيضاً بوقوف السيد مدافعاً عن الشعر العربي واللغة العربية ضدي. سمعت مجدداً فصاحته السيالة تترحم على أبي وتترحم عليّ، وأشهد أنني سمعت صوت أبي في صوته وهزني الصوت وهو يدافع عن مثَل أعلى وهب حياته له. هزني وهو يتهمني بمروق عن لغتي ودمي ورحمي. كانت هذه محاكمة الآباء، وخفت لكن صوت الآباء يطمئن أكثر مما يزعزع ولو بدا لائماً، وصوت الآباء حب ولو بدا اشتباهاً، وصوت الآباء قوة ولو بدا علينا.

تأخرت حتى خرجت من عجيج المتكلمين. لكنني متأخر من زمن عن كل شيء، وأعرف أنه يعذر.

عباس بيضون

السيد جعفر شرف الدين[1]

في مرور اسبوع على غيابك عن هذه الدنيا التي عشتها بأصالتك العريقة وأخلاقك الحميدة وصفاتك العديدة التي ورثتها عن الأباء والأجداد، لا بد من كلمة نابعة من قلوب أبنائك ومحبيك ومعارفك الكثر الذين أحببتهم وأحبوك، والذين غمرتهم بعاطفتك الجياشة. ان لبنان، كل لبنان افتقدك. عزاؤنا انك تربة صالحة أورثتها ثروة من المآثر لا يمحوها الزمن.

سعاد الحسن الحسيني

(١) النهار، ٤ آب ٢٠٠١ العدد ٢١٠١٩.



ذكرى الأسبوع

نادي الإمام الصادق(ع)

صدر

١٠ جمادي الأولى ١٤٢٢هـ

٣١ تموز ٢٠٠١م

حياته سِفْر

الأستاذ الحاج أحمد عجمي
نائب سابق

السيد جعفر شرف الدين في ذمة الله فإلى رضوان الله أيها السيد الكبير، فقد كنت أحد الفروع الزكية الأريج النظيفة الطاهرة من دوحة الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين. رحلت إلى رضوان ربك يتغمدك برحمته الواسعة فأسفنا شديد اليم لرحيلك.

لقد رحل السيد جعفر بزاد كثير، جمامه محبة الناس ومسلك قويم حسن وخدمات لم يبخل بها على أحد قدر المستطاع.

حياته سفر من النشاط والأريحية والطيبة، أديب كبير واكب النشاطات الثقافية والأدبية في الجنوب، له باع طويل في عالم الأدب والتربية وقد أصدر مجلات وألف مراجع، ساعد وشجع الناشئين، قلمه رفيع الأسلوب شفاف المضمون عميقه، أحبه كل من عرفه وعاشره وخاصة الذين تربُّوا على يديه، وبظل الراحل الإمام الكبير السيد عبد الحسين شرف الدين وتلامذة مدرسته منتشرون في أكثر نواحي الأرض، إذ كان للجعفرية السبق الأول في الجنوب بتشجيع الشباب على العلم يوم لم يكن في جبل عامل ثانوية واحدة فاستوعبت الجعفرية رعيلاً من شبابنا كباراً وصغاراً من كل أنحاء هذا الجبل الذي كان منسياً وخاصة بإيجاد المدارس، وذخّرتهم طليعة نهضة مثقفة كانت الجوانح الحانية على قضايا الجنوب ولبنان إبان نهضة الجنوب مؤخراً بقيادة الإمام موسى الصدر.

لقد فقدت صور ابناً باراً وفقد الجنوب ولبنان مرجعاً حانياً في السياسة والأدب وميدان العطاء. حزننا عميق وعميم لفقدك أيها الراحل الكريم وعزاؤنا بالذرية الصالحة في تكملة المسيرة على دروب العطاء.

فإنا لله وإنا إليه راجعون.

خسرنا الصوت المعبر

سماحة الشيخ عبد الأمير قبلان

نائب المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى كافة الأنبياء والمرسلين.

إخواني العلماء، إخواني المؤمنين. أهلنا آل شرف الدين الكرام، أهالي صور، وكافة اللبنانيين وبالخصوص أهل الجنوب المقاوم الصامد. ماذا نقول في رحيلك يا أبا محمد كنت قريباً من الناس تلتقيهم بابتسامتك الجميلة. واليوم هذه الألوف المؤلفة تأتي لتشارك في ذكرى أسبوعك أنت حبيبهم وصديقهم كنت تواسيهم في مناسبتهم وتراهم اليوم يأتون إلى نادي الإمام الصادق ليردوا إليك الجميل ومن شيمة هذا الشعب أن يعطي الوفاء إلى أهل الوفاء.

خسرناك ونحن بأمسّ الحاجة إليك ولكن ماذا نقول أمام أمر الله أمام مشيئته.

نعم أيها الإخوة نلتقي وإياكم في هذا الصرح المبارك في ذكرى أسبوع فقيدنا فقيد الوطن السيد جعفر شرف الدين وتمر بنا الذاكرة إلى عقود خلت يوم مثل الراحل الكبير نهج أبيه المقدس الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين في

حضنه الناس ورعاية شؤونهم. . . ولم تخسر عائلة شرف الدين وحدها غياب فقيدها البار صاحب القلم المفعهم بالعطاء والأيادي الخيرة إنما خسر لبنان النائب الملتزم قضايا شعبه وأمته وخسر الناس أباً وأخاً محباً لهم قريباً منهم صديقاً للكل. . تعاطى الراحل أمور الناس وهمومهم أحب الفقراء فأحبوه واحتضن قضاياهم وكان الصوت المعبر عن أمانيهم وآمالهم وأحلامهم. . لقد مثل أبناء منطقته خير تمثيل بالندوة النيابية وكان خير خلف لخير سلف وكان سر أبيه وكانت مؤسسات الكلية الجعفرية صروحاً علمية وإنسانية تختزن هموم الناس وهموم الرسالة الإسلامية وتتكفل بإعداد الجيل الرسالي الذي يشكل نواة المجتمع الكريم.

لقد تنبأ المقدس صاحب الرؤية المستنيرة الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين أن تكون الكلية الجعفرية منارة هدى تضيء ليل الأمة المظلم وهذا ما سعى إلى تحقيقه السيد جعفر فحفظ وصية الإمام المقدس في حفظ الكلية الجعفرية وتطويرها حتى باتت صرحاً تربوياً عريقاً متفتحاً على تطوير يخدم مسيرتنا الإسلامية، إن الحديث عن المرحوم السيد جعفر يعيدنا إلى الأصل إلى البيت العريق بأصالته الدينية والوطنية الذي مثّل الإمام المقدس عبد الحسين شرف الدين ركناً أساسياً في ضمير الأمة ووجدان الوطن إذ مثل نموذج المقاوم الوطن المحارب للاستعمار. وشخصية الإمام الراحل اتسمت باشتمالها على بعدين حضاريين الأول تجاوز به حدود الوطن ليلامس قلب وعقل الأمة فكانت دعوته ومساعيه للحوار بين المذاهب الإسلامية ضمن نطاق الوحدة الإسلامية الجامعة والبعد الثاني تجسد من خلال الثورة النظيفة بأنصع تجلياته إذ كان رضوان الله عليه إمام الثوار ضد الاستعمار في بلادنا العربية الإسلامية وراح يرفد الثورة العربية ضد الاستعمار بكل وسائل الدعم والتوجيه ولعل من أهم ما قدّم الإمام المقدس السيد عبد الحسين شرف الدين أن يستكشف عن عمق رؤيته الدينية والسياسية ودعوته للإمام السيد موسى الصدر ليقيم في لبنان، ويستكمل مسيرته الجهادية في حياته وبعد مماته.

فكان الإمام الصدر أعظم اكتشافاته الذي رأى فيه مثال العالم الروحاني

والثائر الرباني والمرشد الرسالي لمسيرة الإصلاح للأمة. وشاء الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين أن يسلم أمانة المسيرة الجهادية إلى الإمام موسى الصدر وإلى نجله المرحوم السيد جعفر فهو في الأول المثال والقدوة للعامل الرسالي وفي الثاني المثال الناطق عن رجل السياسة الصادق للفعل والقول...

وفي ذكراك يا أبا محمد نعزي أنفسنا ونتقدم بأحر التعازي من هذا البيت العريق الذي أنجب أمثالك رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه فكان منهم العلماء والشهداء والمجاهدون والصالحون وهذا ليس بغريب ولا بجديد على هذا البيت الطاهر الذي ترك صاحبه الإمام المقدس السيد عبد الحسين شرف الدين أنصع الصفحات على مستوى الأمة والوطن... وجاء في الحديث الشريف: «إذا مات المرء انقطع ذكره إلا من ثلاث: صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له».

أيها الراحل الكبير لقد منّ الله على هذا البيت المبارك بأن تكون صروح الكلية الجعفرية صدق جارية تغرق الأمة بالعلم النافع وكانت مؤلفات وكتب مولانا المقدس الإمام شرف الدين ذخائر علمية نقية يتجدد نصها واكتشاف قيمتها العلمية كل يوم ومنّ الله على هذا البيت والذرية الصالحة والمباركة الذي نحيي اليوم ذكرى أسبوع ابنها البار السيد جعفر شرف الدين ومن وحي المدرسة الجهادية والتعاليم الرسالة التي أرسى معالمها في لبنان والمنطقة الإمام المقدس السيد عبد الحسين شرف الدين ومن بعده الإمام السيد موسى الصدر وما مثله السيد جعفر من صدق وشفافية بالعمل السياسي والشأن العام وتعاطي مع الأمور العامة والخاصة في لبنان وتحسس آلام الفقراء والمحتاجين الذين سعى لخدمتهم وتأمين احتياجاتهم بإمكانياته المتواضعة... إننا نتطلع إلى دولتنا اللبنانية أن تتحسس آلام هؤلاء وتغلب روح المصلحة العامة على المصلحة الخاصة بإيلاء الأزمة المعيشية والاقتصادية الاهتمام اللازم ومكافحة الفساد والإيعاز إلى القضاء بفتح كل الملفات المتعلقة بالفساد وهدر المال العام... إن اللبنانيين تواقون إلى دولة المؤسسات والقانون لتعاقب الفاسد والسارق والمرتشي وتضع حداً لسياسة الهدر والفوضى والفساد التي تخرب الإدارة اللبنانية وتحوّل المال العام إلى جيوب المرتشين التي

تسبب في إفلاس الخزينة كما أن الدولة مطالبة في تفعيل أجهزة الرقابة والقضاء وإنزال أقصى العقوبات بالفاسدين ليكونوا عبرة لغيرهم.

كما أننا نعود بالذاكرة إلى الإمامين شرف الدين والصدر يوم واجه الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين الاستعمار الفرنسي في بلادنا وربيبته إسرائيل كما شكل الإمام الصدر أعاده الله ورفيقه المدرسة الجهادية المقاومة لأطماع إسرائيل. فكان المقاوم الأول الذي سار في مقدم المسيرة كما الإمام شرف الدين وهكذا استمرت المسيرة الجهادية متقدمة تتلألأ بسلم أولوياتها تسلم أمانتها من عالم إلى آخر حتى اندحار الاحتلال من لبنان بفضل الثمار المباركة التي زرعها الإمام الصدر ومن قبله الإمام شرف الدين ومن بعده رواها العلماء والشهداء والمجاهدون.

رحمك الله يا أبا محمد وأسكنك فسيح جناته وحشرك مع من تحب محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين والشهداء والصدّيقين والسلام عليكم . . .

عافاكم الله وغفر لكم والحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



ذكرى الأربعين

قصر الأونيسكو ـ بيروت

١٨ جمادي الآخره ١٤٢٢هـ

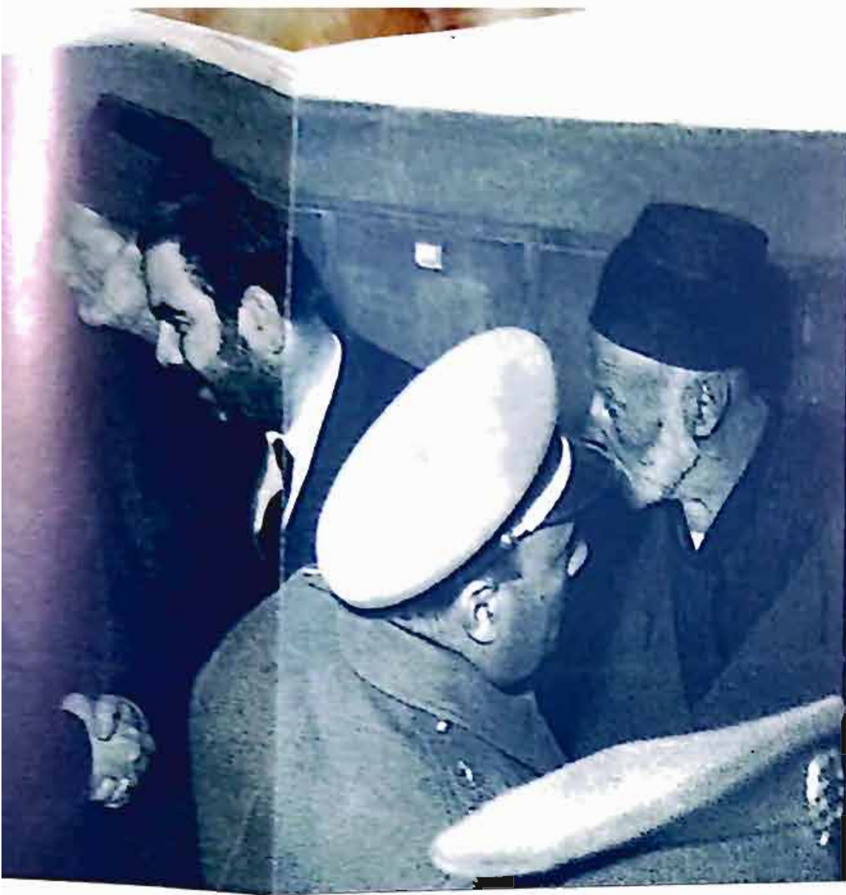
٦ أيلول ٢٠٠١م



المرحوم السيد جعفر في احدى حفلات تخرج طلاب الجعفرية



...ر والسيد خليل الرعوني رحمهما الله يزوران معرضاً مدرسياً في الجعفرية



بوفاة «السيد» الوالد طيب الله ثراه، السيد جعفر مع شقيقه السيد محمد جواد والعائلة يت
ابراهيم هاشم رحمهم الله

السيد جعفر يتقدم احدى المسيرات في مدينة صور الى جانب المرحوم الشيخ موسى عزالدين

الإمام مو



فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية، شارل الحلو بين سماحة الإ



السيد محمد جواد والعائلة يتقبلون تعازي الأستاذ رشيد بيضون والسيد



السيد جعفر شرف الدين



الإمام موسى الصدر والسيد جعفر شرف الدين في مسيرة حاشدة في مدينة صور



جمهورية اللبنانية: شارل الحلو بين سماحة الامام موسى الصدر والسيد جعفر





السيد جعفر شرف الدين بجانب رجل صيداء الجنوب: الشهيد المناضل معروف سعد

لم تكن حياته لنفسه

معالي وزير التربية والتعليم العالي
الأستاذ عبد الرحيم مراد

أيها الحضور الكريم

اسمحوا لي أن أبدأ بالتوجه لأهالي فقيدنا الغالي، وأحبائه وأصدقائه، داعياً الله أن يلهمهم الصبر والسلوان. وأن يتغمده بواسع رحمته، وأن يجعله في منزلة كريمة في أعلى عليين، مع الصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقاً.

إن السيد جعفر شرف الدين، لم تكن حياته أبداً لنفسه، وكان في كل كلمة يقولها، وفي كل عمل يقوم به، يبتغي وجه الله، والإخلاص لدينه، فكان بذلك المثل الأعلى، لما يجب أن يكون عليه الإنسان في هذه الدنيا الفانية، فكثر محبوه، وترك أثراً حميداً في كل من عرفه، أو عمل معه، أو كانت له به صلة، وكانت علاقته الوطيدة مع الصحب والأصدقاء، على امتداد مساحة الوطن، وعلى اتساع انتشار المحبة، وفي كل موقع رسمي أو أهلي، ولدى مختلف المؤسسات والجمعيات، وما هذا الحشد الفاضل في لجنة التكريم، والذي يضم تجمع الهيئات النقابية والتربوية والاجتماعية، إلا الدليل على فضل السبق لدى فقيدنا الغالي، الذي له موقع خاص في قلب كل منها.

لقد كان لي مع السيد جعفر شرف الدين لقاءات كثيرة، وجمعتني به مناسبات عديدة، وكنت في كل مرة ألقاه فيها، أشعر بالمزيد من الانجذاب إلى حديثه الهادئ، وكلماته المهموسة، وكأنه يفضي إلى محدثه بسر كبير، وهو في

الحقيقة، إنما كان يفيض حباً للوطن وللناس وللخير، لذلك كانت الجلسات معه تطول بلا ملل، وكان مجلسه أشبه بمحراب العلم، احتراماً ووقاراً.

رحمك الله يا سيد جعفر، وتغمدك بواسع رحمته، فطوبى لك في جنان الخلد، لقد صدقت ما عاهدت الله عليه، واصطفاك الله للدار الآخرة، فنعم أجر العاملين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عاملي يُعجِز عطاؤه

معالي وزير الثقافة
الدكتور غسان سلامة

أصحاب السماحة والفضيلة

دولة الرئيس، أصحاب المعالي والسعادة

أيها الحفل الكريم

هذا العاملي العريق يعجزك، بما أعطاه وأداه، علماً وعملاً، أن تحيط الإحاطة الشاملة، بجوانب شخصيته، لكنه صاحب السيرة العطرة التي تدخل في قناعتك، وتطمئن نفسك، بأنه عاش دنياه بكل ما وسِعهُ دينه وعلمه وجهاده في سبيل أبناء الوطن، وأنه لم يتخلّف عن إنجاز مهمة، ولا تنكّب عن تلبية نداء، فكانت مآثره المشرفة ناطقة بآثار الأيادي البيضاء التي أسداها إلى بني قومه، وجعلها مثالاً يقتدى به، في الإيثار، وإنكار الذات، وبذل أغلى التضحيات.

إن سيرة الأستاذ، والباحث، وباني المؤسسات التربوية، ومنشئ الجمعيات الأهلية العلمية والخيرية، وعضو المجلس النيابي في دورات ثلاث المغفور له السيد جعفر شرف الدين، تحمل في تضاعيف سطورها ما ينبئ بالعطر، ويشي بالمروءة، ويؤكد نقاء العصامية المجاهدة التي تعمل لدينها كأنها تموت غداً، وتعمل لدنياها كأنها تعيش أبداً.

تلك هي عناوين السيرة الذاتية لرجل عرفته جناناً قبل أن أعرفه عياناً، فكان

في الحالتين صاحب الشخصية ـ الإطلالة البهية الباهرة، وهو المنتمي إلى العترة الطيبة من أبناء عليّ باب مدينة العلم وزينب عقيلة بني هاشم، وأسباط الرسول العربي العظيم الذي ما تزال دروس دعوته الإنسانية تهيب بنا، في أعماق كياناتنا، إن الدين المعاملة، وإن لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، فأكرم بهم أبناءً وأسباطاً، نكرّم اليوم ذكرى عزيز فيهم يحمل الأقباس، مشعة، مترقرقةً، معصوبة الجبين بالسماح على جباه المنائر!

وأما المسيرة العلمية والعملية للسيد جعفر شرف الدين، فلا تقتصر أهميتها على كونه انطلق من مسقط رأسه «شحور»، إلى صور، إلى الكلية الشرعية في بيروت، إلى جامعة القديس يوسف، ولا تتوقف عند حدود التدريس في الكلية الجعفرية التي أنشأها والده الإمام الأكبر المجتهد السيد عبد الحسين شرف الدين، طيّب الله ثراه، أو عند حدود إدارة الكلية ورئاستها، لأن تلك المسيرة تتجاوز كل ذلك إلى كون السيد جعفر قد عرف، بدأبه وصبره ووضوح رؤيته، كيف يضمن الاستمرارية للمؤسسات التي أنشأها ورعاها، فلم يجعلها أسيرة القدرة الفردية المحدودة، في أي حال، بل أشاع فيها الروح المؤسسية التي تضمن تواصل الرسالة، وكانت الجمعيات والمدارس المجانية التي تفرعت عنها، والأملاك الوقفية التي رصدت مداخيلها لأجلها، أنسب السّبل، وإن تكن أصعبها، لكي يبقى العلم والإيمان والنضال معاً، أقانيم الكرامة الموفورة في جبل عامل، وعلى امتداد الجنوب الصامد الذي استطاع من خلال تاريخه العريق، أن يشكل الدانة الكبرى في عقد هذا الوطن الحبيب: لبنان.

وإذا كانت المناسبة، أيها السادة، لا تفسح لي في المجال للخوض تفصيلاً في العطاءات الثقافية القلمية التي أبدعتها يراعة الراحل الكبير، إلا أنني ما زلت معتقداً أن النمّ يغني عن اليمّ، وأن القطر يكفي عن البحر، وأن «الربيع ببعض العطر يختصر» كما يقول شاعر العرب عمر أبو ريشة.

تستوقفني في إبداعات السيد جعفر شرف الدين نقطتان أساسيتان:

النقطة الأولى: أنه فيما وضعه من أبحاث فقهية، وتربوية، ومن كتابات

سياسية، وخطب برلمانية، استطاع أن يختصر أحياناً اختصاراً مفيداً، وسعه من خلاله، أن يجمع في القمقم البحر العباب، وأنه فصّل، في مقام آخر، تفصيلاً موسوعياً جعله يغني المكتبة العربية والإسلامية بما يسوغ اعتباره إنجازاً ثقافياً متميزاً.

وأما النقطة الثانية: فتعيدني إلى بداياته الجامعية الأولى، عندما وضع بحثه عن «أدب الطفّ»، بتكليف من مدير معهد الآداب الشرقية في جامعة القديس يوسف الدكتور فؤاد أفرام البستاني، ونال على أثره إجازته الجامعية. ففي أدب «الطفّ» الذي رفده المنبر الحسيني بكل أبجدياته، منذ واقعة كربلاء، أرى تجلّي الإيمان بالحق الذي لا يضيره أن ينتكس يوماً، على يد الباطل، منذ أن سالت دماءٌ زكيةٌ على أرض كربلاء. وما أشبه طريق الطف بطريق الجلجلة، وما أشبه وقفة «الحسين» إمام الشهداء بوقفة المسيح الفادي، في وجه الطغمة التي ما تزال إلى الآن، في أرض الجنوب، وفي أرض الجولان، وعلى امتداد فلسطين، تغرز مسامير حقدها على كل صليب.

أيها الحفل الكريم

أراني اندفعت، في تحية ذكرى السيد جعفر شرف الدين، إلى الحديث عن سيرته، ومن وحي مسيرته، لكنني أرجو أن أكون قد استطعت جلاء الخطوط المضيئة في شخصية هذا المثقف الكبير الذي رحل عنّا، مبقياً بيننا آثاره ومآثره.

وتحية لكم من القلب.

احتضن قضايا الناس

سماحة الشيخ عبد الأمير قبلان
نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى

يكتسب هذا الاحتفال أهمية خاصة ومكانة مميزة عميقة الدلالات إذ نجتمع لتكرم فقيدنا، فقيد الوطن السيد جعفر شرف الدين الذي حفل سجل حياته بأنصع الصفحات وأعظم التضحيات، يوم استكمل أبو محمد مسيرة أبيه الجهادية الإمام المقدس السيد عبد الحسين شرف الدين، فكان خير خلف لأفضل وأعظم سلف.

ولا عجب إن ضمت لجنة تكريم الراحل حشداً من الهيئات النقابية والتربوية والاجتماعية وتكللت الدعوة لهذا المهرجان الكبير باسم المجلس النيابي والمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ومؤسسات الكلية الجعفرية، فلا عجب أبداً لأن الراحل الكبير يستحق هذا التقدير وأكثر، فهو صاحب قلب كبير مفعم بالعطاء لمسه كل الذين تعاطوا معه وعرفوه، ولقد كان الراحل مثال النائب الملتزم قضايا شعبه وأمته بصدق وإخلاص، فهو احتضن قضايا الناس وعايش همومهم وشجونهم وأحب فقراءهم ومحتاجيهم فأحبوه وبادلوه الود والاحترام، فكان الصوت المعبّر عن آمالهم وتطلعاتهم وشجونهم وآلامهم، وتشهد الندوة البرلمانية على عمق التزامه وتحمله للمسؤوليات الجسام في تمثيل مريديه خير تمثيل.

إن الحديث عن صفات ومزايا الراحل الكبير السيد جعفر شرف الدين يستحضر في أذهاننا مسيرة جهاد الإمام المقدس السيد عبد الحسين شرف الدين الذي أسس في لبنان والمنطقة لمرحلة جديدة من الجهاد المتكامل الجوانب والاتجاهات، فكان الإمام شرف الدين مثال العالم الفقيه المستنير الذي سعى

التقريب بين المذاهب الإسلامية من جهة والمحافظة على أصول وثوابت العقيدة الإسلامية الإمامية من جهة أخرى، وكان (رضوان الله عليه) مثال القائد الوطني المحارب للاستعمار إذ أعطى للثورة بعدها الحقيقي الملتزم بالجهاد على خطى الأنبياء والأئمة والأولياء. من هنا اتسمت حياة الإمام شرف الدين بالعلم والمعرفة والجهاد والإيثار، فكان إمام الثوار وفقيههم والعالم الثائر بوجه الاستعمار الأجنبي لبلادنا العربية والإسلامية.

ولعل من أعظم إنجازات الإمام المقدس اكتشافه العلمي والرسالي والثوري لسماحة الإمام القائد السيد موسى الصدر (أعاده الله ورفيقيه سالمين)، فلقد رأى الإمام شرف الدين في الإمام الصدر مثال العالم المصلح والمرشد والموجّه لمسيرة الأمة في الجهاد والدعوة للإصلاح والتزام قضايا الأمة والوطن بوعي وعلم وإخلاص.

وتحقق ما كان الإمام شرف الدين يسعى إليه، إذ استطاع الإمام الصدر أن يشكل أعظم ظاهرة دينية وسياسية واجتماعية عرفها لبنان وكان لها التأثير الكبير في المنطقة العربية والإسلامية، فالإمام الصدر صاحب مدرسة جهادية ترتكز على القيم والمبادئ والفضائل استطاعت أن تخرّج القيادات والكوادر وتتكفل بصياغة الإنسان الرسالي.

وتوّج الإمام الصدر جهاده بتأسيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى وأفواج المقاومة اللبنانية أمل وقبلهما حركة المحرومين وهيئة نصرة الجنوب، لتكون هذه المؤسسات منارات وطنية وعربية وإسلامية تسهم في بناء الوطن وتصحيح مسيرته وتلتزم قضايا الأمة العادلة وفي طليعتها قضية الصراع مع المشروع الصهيوني ومقاومة احتلاله. وظل السيد جعفر شرف الدين على عهد أبيه مع الإمام الصدر في تنمية وحفظ هذه المؤسسات، وكان سر أبيه في العطاء حتى أصبحت مؤسسات الكلية الجعفرية صروحاً علمية إنسانية تختزن هموم الرسالة وتتكفل إعداد الجيل المؤمن الملتزم قضايا الوطن والمجتمع والأمة.

وهكذا أيها الأخوة تواصلت المسيرة منذ الإمام شرف الدين إلى الإمام شمس الدين إلى أخوة لنا في الجهاد والمقاومة والعلم والمعرفة، فكان منا العلماء

والشهداء والمجاهدون والأسرى والجرحى، وكان منا القادة الرساليون والمجاهدون والذين رفدوا المسيرة بالدماء والتضحيات حتى تألقت وأنتجت انتصاراً ليس للبنان فحسب إنما لكل العرب والمسلمين والأحرار في العالم.

ومن موقع الحرص على حفظ مسيرة العز والكرامة للبنان وللعرب والمسلمين نتعاطى مع شؤوننا الداخلية وأوضاعنا الإقليمية، فنؤكد على وجوب الحفاظ على وحدتنا الداخلية كمسلمين (أحزاباً وقوى سياسية وهيئات) هذه الوحدة التي تشكل الأساس والمدخل الصالح لتحقيق الوحدة الوطنية، وهذا ما نريده أن يتحقق في الانتخابات البلدية والاختيارية التي نريدها مناسبة لتجديد الوحدة وتعميقها على قاعدة التضامن والتعاون والتآلف بين الجميع، لأن الهدف من هذا الاستحقاق الوطني هو تشكيل مجالس بلدية يكون في أولويات عملها تضافر جهود وخبرات أعضائها لخدمة القرى والمدن المنكوبة التي كانت بمثابة الضحية الواقعة بين سندان الإهمال الرسمي المزمن ومطرقة الاحتلال المرهق، ولقد باركنا الاتفاق بين أمل وحزب الله ونأمل أن نرى لوائح مشتركة تحمل أسماء أصحاب الكفاءة والسيرة الحسنة الذين يعبرون عن طموحات وتطلعات الأهالي في القرى المحررة.

من هنا، فإن المطلوب من الأهالي التعبير عن وعيهم ومسؤولياتهم الوطنية في تأدية واجبهم الوطني، وعليهم أن يتذكروا أن إسرائيل لا تزال تحتل أرضاً لبنانية في مزارع شبعا وتحتجز أسرى لبنانيين في سجونها وتبث الفتن وتحيك المؤامرات ضد لبنان واللبنانيين.

إن مسيرة الإمام الصدر تختزن أسمى القيم والمواقف الوطنية والعربية والإسلامية ولقد أثبتت الأيام صدقية هذه التوجهات والمواقف، إذ أسست لقيام الوطن المعافى ولو بعد حين، وساهمت في تأهيل وترسيخ قيم المواطنة بين اللبنانيين وحددت بوصلة الصراع باتجاه العدو الإسرائيلي من هنا فإننا مطالبون على المستوى الوطني والقومي بما يلي:

- تجديد تمسكنا بوحدتنا الوطنية فعلاً وقولاً ومواجهة كل العابثين والمهددين لهذه الوحدة بحزم وشدة.

- تجنب السجالات والخلافات التي تعيق مسيرة التقدم والازدهار في لبنان ومحاربة كل محاولة تستهدف مسيرة السلم الأهلي إذ لا يجوز بأي شكل من الأشكال التساهل في الموضوع الأمني لأنه من المحرمات الكبرى.

- إيلاء الحكومة اللبنانية حلّ الأزمة المعيشية والاقتصادية الاهتمام اللازم والأولوية المطلقة لأن هذه الأزمة بلغت حداً يصعب على اللبنانيين أن يتحملوها.

- التشديد على حق المواطن في التعبير عن رأيه السياسي بحرية تامة، شرط الالتزام بالقوانين المرعية الإجراء وعدم الإخلال بالأمن.

- السعي لدى المحافل الدولية لشرح واقع لبنان المقاوم للتهديدات والاستفزازات الإسرائيلية التي تتوالى كل يوم، فيما الاحتلال لا يزال جاثماً فوق أراضي مزارع شبعا وتلال كفرشوبا، وهذا ما يؤكد على عدم تطبيق إسرائيل للقرار ٤٢٥.

- تعميق أواصر التعاون اللبناني - العربي واللبناني - الإسلامي وفي طليعة هذا التضامن توطيد العلاقات اللبنانية - السورية لتكون هذه العلاقات مثال يحتذى في تعميق التضامن العربي - العربي والعربي - الإسلامي.

- العمل مع كل الأخوة العرب لنصرة الشعب الفلسطيني في انتفاضته المباركة لتحقق هذه الانتفاضة أهدافها في تحرير الأرض وإنقاذ المقدسات.

نحن في محضرك أصحاب رسالة

سماحة الشيخ نعيم قاسم

نائب الأمين العام لحزب الله

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على النبي العظيم وعلى آله المعصومين.

السلام عليكم أيها الحفل الكريم ورحمة الله وبركاته.

أؤبن رجلاً أعطى الكثير. في العلم والتربية والحركة الاجتماعية وقدم نموذجاً متقدماً لشعبه ومنطقته ووطنه، وقد عمل بمحافل متعددة وكتب حياته بتلك الموسوعة القرآنية التي تشكل رصيداً آخر.

مهما قلنا عن شخصه تظل حياته تقل بكثير عن الكلمات نشيد بمزاياه التي تركها وراءه مستلهماً القول الكريم «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم والمؤمنون».

كيف لا يكون كذلك وهو ابن الإمام المقدس السيد الذي قام بأعمال كبرى تجاوزت لبنان، الذي عمل لطرد المستعمر عن أرضه وهذه مولدات مهمة جداً لأنها تركت بصماتها بشكل مباشر على كل الوطن نحن أمام تجربة لا يمكننا أن نطغى في إطارها الفردي، بل نتحدث عن آثارها التي تركت بصماتها على الواقع الميداني، عندما نقرأ في فكرته وتاريخه الشخصي نرى كيف عمل سنة ١٩٤٨ في

استقبال المهجرين من فلسطين سنعرف أي عين ثاقبة للمستقبل كانت تميز الراحل، حيث عمل على الترابط ووصل الناس حتى لا تكون مفككة وحتى لا يكون كل فرد وكل جماعة فريقاً مستقلاً عن بعضها على قاعدة المصالح الآنية.

رحمك الله يا سيد جعفر ورحم الله والدكم المقدس السيد عبد الحسين شرف الدين ونحن في هذا المحضر المبارك أبناء رسالة ومن كان يحمل رسالة لا بد أن يتفهم تعاليمها بشكل مباشر وحتى تترجم مواقف مباشرة على أرض الواقع، ومن كان يفكر بدفع الأمة على قاعدة التضامن وتربية الأجيال، فهذا أفق واسع إلى الأمام. نحن اليوم في هذه الدارة معاً ونعرف مشاكلها وإيجابياتها كما أننا نعرف تماماً أين وطد الوضع اللبناني مواقفه مع العمل المقاوم ضد إسرائيل فلبنان قوي بمقاومته، أولئك الذين حملوا لواء القتال ضد الاحتلال. والمطالبة بالاستقلال من خلال عطاءات الدم، وليس على أبواب الأمم المتحدة، ذلك أن لبنان أنجب هذه المقاومة الباسلة فليعلم الجميع أنها ما كانت لتكون مقاومة عظيمة لو أنها كانت طارئة، ولكن عندما خرجت المقاومة إلى الوطن كبر الوطن وكبرت المقاومة وكبر لبنان. وأي تقديم للوطن في إطار الطائفة تسقط الطائفة أولاً ثم يسقط الوطن بأسره.

من كان يظن أنه يستطيع أن يصنع لبنان على قياسه، فليعلم أن لبنان لا يقاس بأفراد يقدمونه على مشكلاتهم، بل يمكن أن يرتفع الجميع إلى مستوى لبنان ومواجهة الاحتلال.

لا نريد أن نتخلى عن الوطن بل أكبر خطأ يمكن أن نرتكبه أن نتغافل عن القوة.

كلنا رأى بأم العين أن المقاومة فخر ومجد، وعلينا أن تبقى المقاومة لتقف بكل جدارة أمام العدو المحتل وأمام التآمر الذي يواجهنا من كل حدب وصوب، يجب أن نخرج فكرة لبنان الضحية ويجب أن نتمرد على لبنان الضحية، ويجب أن نكون في موقع من فكرنا وعقلنا الحر والسيد كيف لا وقد تحررت الأرض من القوات الإسرائيلية وبإمكاناتنا المتواضعة الشعبية، الانتصار ولن نكون ضحايا، بل سنبقى مع الضحايا لنؤيدهم ونساندهم كي نرفع رؤوسنا عالياً كما ارتفعت في لبنان.

جهوزيتنا يجب أن تكون حاضرة دائماً حتى يكون العدو مهزوماً وهارباً لا يظنن أحد أن العدو غاب من لبنان، لقد غاب مضطراً لكن عندما تسمح له الظروف سيدخل مجدداً، ولولا التحرير لكنا نتحدث عن مستوطنات في الجنوب اللبناني، ولولا المقاومة لكنا نتحدث عن سجن سياسي بسيط يعطينا القليل من بلدنا، ولذا يجب أن تكون جاهزاً لا لتكون قوة في يد مجموعة، بل لتكون المقاومة عز لبنان وعرين العرب.

من كان يظن أن المقاومة انتهت فهو مخطئ في فهمه وعندما تعطي المقاومة قوة للجميع فهي تأخذ القوة أولاً وبعدها تعطي الآخرين، فهنيئاً لمن انتسب للمقاومة والخزي والعار لكل من تألم من وجودها.

إذن نحن مضطرون على الاستمرار من أجل استرجاع أرضنا المحتلة وأسرانا الموجودين في إسرائيل والخطر الإسرائيلي بيننا ولا يزال جاثماً على الأرض.

ومن يريد لنا أن نتخلى عن هذا الموقع لأي سبب من الأسباب، والأمة مع المقاومة والقوى الأمنية والدولة اللبنانية هو أفضل أن يتحقق على مستوى العالم وهو موجود في الجنوب اللبناني، ونحن واثقون بأننا لن نكون يوماً مع إسرائيل ولن تصافح أيدينا إسرائيل، يجب أن تبقى إسرائيل مذعورة ولن تكون إسرائيل أبداً في موقع الرعب إن الله سبحانه وتعالى وضعنا في موقع الفعل ورد الفعل في المكان المناسب والزمان المناسب من أجل منع إسرائيل من تحقيق أهدافها، لن نقبل أن يتحول العميل إلى ضحية لأن هو من خان بلده والعمالة لا تكون إلا بعقاب والتوبة ممن عوقب وتاب يمكنه أن يعيش حياة جديدة، لكن من يبقى متلبساً بعمالته فهو مجرم بحق لبنان وسيبقى كذلك إلى أي طائفة انتمى لأن العميل لا طائفة له، طائفة إسرائيل وإسرائيل مخزية ويجب ويجب أن تواجه بالقوة وعلينا أن نكون في مواجهة حتى لا يكون للعملاء لا طال زمن الاحتلال وعياً أن نعتبر ما جرى، ولا نقبل للعميل أي وجود ونحن أي عنوان.

رحمك الله أيها السيد العتيد ورحم الله والدك ورحم الشهداء مع سورة المباركة الفاتحة.

جنوبي على الثغور

دولة الأستاذ إيلي فرزلي
نائب رئيس مجلس النواب

سليل ريادة في العلم والثقافة والوطنية والمقاومة

سيد حمل الإيمان فتوحد عنده الحس والفكر، والقول والفعل، حمل هموم الناس وعبّر عنها عطاءات ومشاريع بناء وإعمار.

جنوبي عاملي تجاوزت طموحاته ونضالاته حدود الجغرافيا لينتمي إلى وطن يستحق أن يكون وطن الإنسان.

هو من الذين استودعوا بذراتهم الطيبة في الأرض الطيبة، وكانوا يعلمون أنهم كتبوا أجيالاً من الحراس على ثغور الوطن.

وهو من الذين تركوا لنا وصية: قفوا على جهة الجنوب التي تغسل عيد صباحها في طبريا، والتي تغسل تعبها في الليطاني، والتي تلعب شمسها في مرج الخيام ومرج بني عامر.

فقيدنا السيد جعفر شرف الدين علم ومعلم من أعلام لبنان، الذين علمونا أن الخبز لا يكفي لكي نعيش، وأن الحرب لا تكفي لصناعة البطولة، وأن الموت لا يكفي لأن نفزع من أعدائنا.

علمونا: الوقت والصبر والأمل، وأن الوطن دين، والمحبة الخالصة تدخل البيوت من أبوابها، والتسامح يغسل القلوب ولا يصدأ، والمعرفة والثقافة قوة، والإنسان المجتمع هو الغاية والهدف.

أحب العلم فكان له ما أراد من تحصيله في مدارس المنطقة والجامعات، وحمل رسالة التعليم ينثر شعاعاتها في محيطه المنسي والمحروم، وأسس المدرسة الجعفرية والجمعيات الاجتماعية والخيرية، واستقطب في مجلته «المعهد» أقلام عمالقة الأدب أمثال ميخائيل نعيمة وبنت الشاطئ وعمر فروخ وبولس سلامة ومارون عبود وغيرهم، وكتب نفسه في الأدب والتربية والسياسة والمجتمع، ووقف على المنبر لتكون نبرات قلمه كنبرات صوته.

انطلق في السياسة صادق العهد والوعد، وأنشأ جبهة وطنية تضم مختلف القطاعات الإنتاجية، فكانت إطاراً هاماً للتوعية الشعبية والقيادة الوطنية ومحاربة الانحراف السياسي، لذا لم يكن مستغرباً أن تسعى إليه النيابة لدورات ثلاث على مدى اثنتي عشرة سنة، وكانت الندوة البرلمانية منبراً لطرح قضايا العمال ومزارعي التبغ والإنماء لمنطقته وإصلاح المناهج التعليمية، عدا أنه كان فارس القضايا العربية وفي طليعتها قضيتا الجزائر وفلسطين.

أيها الحفل الكريم

إننا نعيش واقع حرب يدفع بها شارون المنطقة، وهي وإن كانت ساخنة في فلسطين، فإنها لا تستثني محاور كل قطر وعاصمة عربية، وفي طليعتها لبنان، لأن هدف إسرائيل كان ولا يزال تدمير إمكانية قيامة لبنان وتحوله إلى منافس محتمل لها في نظام المنطقة. وهي بذلك لم تحتج ولن تحتاج إلى مبررات لعدوانها على بلدنا وكسر الحالة المعنوية التي حققتها المقاومة وصمود شعبنا.

إن ذلك يجب أن يكون حافزاً إلى تحقيق أقصى حالات التضامن والوحدة الوطنية.

إن تعزيز الوحدة الوطنية يقوم في ظل دولة القانون والمؤسسات والعدالة وحقوق المواطنين التي كفلها الدستور، وهي تتعزز أيضاً بالحرية والحوار والاعتراف بالآخر، في ظل المسلمات الوطنية الأساسية للسيادة، ودرء الأخطار الإسرائيلية المحدقة من خلال وحدة المسار والمصير مع سوريا والارتقاء بينهما بعلاقات تخدم مصالح الشعبين والدولتين.

كما أن معالجة الأزمة الاقتصادية يحتم وضوحاً في منهجية الدولة، والمزيد من الشفافية، وفي منع كامل للهدر ورسم الأولويات، إلى جانب استعداد المواطنين للتقشف ولنسج علاقات من الثقة المتبادلة بين المواطن والدولة.

أيها الحفل الكريم

عود إلى السيد جعفر شرف الدين

بعض الذين فارقوا أكلتهم الغربة، ولم يبق منهم سوى طيف وخيال، وبعضهم لا زال بينهم وبين الوطن سلام، ولا زالوا يقاومون النسيان، لقد قاوم نقيدنا النسيان، وها هو حاضر يسكن الوطن ويسكن الندوة النيابية، يتذكر أسماء القرى ويعرف أسماء الشهداء.

باسم دولة رئيس مجلس النواب الأستاذ نبيه بري وباسمي، أتقدم من أهل الفقيد ومحبيه بأحر العزاء والسلام عليكم.

هو العطاء الكريم

الدكتور بيار دكاش

أصحاب المعالي والسعادة،

أصحاب السيادة والسماحة والفضيلة،

أيها الحفل الكريم،

يوم طُلب إلي أن ألقي كلمة باسم رابطة النواب السابقين، في ذكرى المغفور له السيد جعفر شرف الدين، وهو أحد كبار أعضائها والمواكبين لنشاطاتها، سألت نفسي:

ترى ما الخبر؟ ولماذا وقع علي الاختيار؟

وكيف لي أن أتكلم عن رجل، ملأ الأسماع والأبصار وقد ذاع صيته المثالي في الأصقاع والأمصار، وأنا لم أعرفه عن كثب ولم يكن لي صديقاً أو زميلاً.

وأنى لي أن أفيه بعضاً من حقه، وهو المجلي في مختلف الحقول الدينية والتربوية والثقافية والعلمية والسياسية والاجتماعية وله في كل منها بصمات دامغة لا تمحوها الأيام مهما تقادمت بل تزيدها وهجاً وتألقاً في ضمير كل من عاصره وعرف مكانته وقدّر فضله وعطاءه وفي ما تركه من آثار ومنجزات تعجز الموسوعات عن استيعابها وإتمامها ولكن المحاولة مستحبة في الكشف عن الكنوز المكنونة والثمينة.

لن أتكلم عن سيرة حياته فللراغب فيها أن يعود إليها مدونة على صفحات خالدة زاخرة فيعب منها ولا يرتوي ويتوقف عند كل جديد فيها ليلتقط بعض أنفاسه ثم يعود ويعاود الكرّة كما يعود الولهان إلى خوابيه العتاق يرشف من خمرة المعرفة التي تقدم في أعراس الفرح المبشرة بقيامة الوطن المجيدة.

ولكنني سأقتصر في كلمتي على ركائز ثلاث تجلت في سيرة حياته وشكلت اهم ميزاته وهي:

- الإيمان بالله.
- الثقافة والعلم.
- ومكارم الأخلاق.

الإيمان بالله:

لقد اقتبس السيد جعفر شرف الدين الإيمان عن أبيه المجتهد الأكبر الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين الذي عُرف بالتقوى والعلم، والابن سر أبيه، وزود نفسه بالفضائل وزادها شفافية وصفاء.

وقاوم الغرائز والشهوات والمصالح الذاتية وكبح انفلاتها فخرّت ساجدة تحت قدميه صاغرة أمام زهده مستجيبة لنداء الخير والعطاء والمحبة التي تعطي من ذاتها ولا تُبغض ولا تستغل بل تعطي العطاء من أجل العطاء والخير من أجل الخير والمحبة من أجل المحبة.

ودعا إلى الجهاد بالصلاة والتقوى والكلمة.

وهكذا غدت عطاءاته كريمةً في عيني الرب لا تشوبها شائبة ولا تُعيقها أنانية بعد أن أنكر ذاته وقدمها فدية على مذبح التفاني المستعد أبداً للخدمة واضعاً نصب عينيه شعار «الخدمة قبل الذات».

أما لجهة العلم والثقافة والمعرفة:

فالسيد جعفر شرف الدين وُلد وترعرع في بيت كان ديواناً عامراً بالأدباء والعلماء والشعراء والمفكرين وكان بمثابة ناد ثقافي انطلقت منه نواد كصدى لتلك المجالس المدارس.

بدأ دراسته في مدرسة «بيت» السيد نور الدين الأخوي في صور الذي كان يقوم بمفرده بتدريس التلاميذ أصول القراءة والكتابة والحساب.

ثم التحق بالمدرسة الرسمية ولمع نجمه...

فمن تلميذ إلى معلم في المدرسة الجعفرية.

ولم تقعده الوظيفة عن طلب المزيد من العلم فانتسب إلى الكلية الشرعية في بيروت وتخرج منها بامتياز.

وفي العام نفسه التحق بمعهد الآداب الشرقية في الجامعة اليسوعية في بيروت وتخرج منها بنجاح.

وفي سنة ١٩٤٣ و١٩٤٤ كلّف بإدارة الكلية الجعفرية في صور وهو في الثالثة والعشرين من عمره واستمر لعشرين سنة.

ويكفيه فخراً واعتزازاً وتأكيداً على مكانته رغم حداثة سنه، أن يكون خلفاً في إدارتها لأعلام كبار أمثال أديب خليفة، وصبحي فؤاد الريس، وسرحان سليمان سرحان.

لم يقتصر نشاطه على الثقافة والعلم وإدارة المدرسة وحسب، بل تعداه إلى نشر الثقافة والتراث وأسس مجلة «المعهد» (١٩٤٥ ـ ١٩٥١) وكان من أعلامها د. عمر فروخ، ورياض طه، وعبد الله العلايلي، وبولس سلامة، ومارون عبود، وأستاذ جبرايل جبور...

ثم جاء دور الجمعيات:

- فأنشأ سنة ١٩٤٩ «جمعية البر والإحسان» التي افتتحت أربعة عشر مدرسة ابتدائية مجانية في قرى الجنوب.
- «جمعية رابطة إنعاش القرى» سنة ١٩٦٣ في الضاحية الجنوبية من بيروت ولها اليوم ثلاثة وعشرون مدرسة في لبنان.

وقد تقدم بوصفه نائباً عن منطقة صور بدراسة حول «وضع التربية في

القضاء» لوزارة التربية من سنة ١٩٦٠ حتى سنة ١٩٦٦، وكانت النتيجة والحمد لله أن أصبح في كل قرية ومزرعة مدرسةٌ رسمية.

ولو أن الأسلاف من قبله، والإخلاف من بعده قاموا بما قام به هذا الرجل الإنساني واقتطعوا لأنفسهم حيزاً مماثلاً لرسالته، ولو ضئيلاً لما تمكنت الحرب القذرة من ذرّ قرنها في قلوب اللبنانيين ولما وجدت إلى نفوسهم سبيلاً... لأن المعرفة تعطيهم المنعة وشموعها تُضيء السبيل وتقي من العثرات.

أيها الراحل الكبير، لقد زرعت في ضمائر أبنائنا المعرفة، وزودتهم بنورها، وعلمتهم أن الإنسان أخ الإنسان وكرامته من كرامتهم وعزته من عزتهم.

بالمعرفة تتعزز الديمقراطية ويزهق التسلط والديكتاتورية.

بالمعرفة ينتصر الإنسان على ذاته ويقبل بالآخر الذي يبادله القبول بالقبول.

بالمعرفة تسقط الحواجز ويزهق الباطل.

بالمعرفة تنتقل الأنا الضيقة الأفق، المغلقة على ذاتها، المتزمتة، العنصرية، الفئوية إلى رحاب التسامح والاحترام المتبادل بين الكل، فيولد لبنان المحبة والخير والإبداع.

أما ثالثة الأثافي فهي الركيزة المتمثلة بالأخلاق:

يروى عن رئيس دولة عظيمة أنه هرع إلى أمه مستجيراً يوم انتخب لها رئيساً:

«لقد انتخبوني يا أمي رئيساً للدولة! وكيف لي أن أحكم وأنا معلم بسيط لا عهد لي بالسياسة ولا أتقن فن القيادة؟

فقالت له: يا بني ألا تزال على الإيمان بالله الذي ربيتك عليه؟

فأجاب: بلى!

قالت: ألا تزال أيضاً على الأخلاق التي ربيتك عليها؟

فأجاب: بلى!

قالت: لا عليك إذن! فالحكم يا بني لا يحتاج إلا إلى إيمان بالله وإلى مكارم الأخلاق، أما الخبرات فلك من خزائن الدولة المال الوفير، اغرف منها دون خوف أو وجل، وأحط نفسك برجال الاختصاص والعلم واستقطب المبدعين والمفكرين فَيُسْدُونك النصحَ وتحكم بالعدل ويكون حكمك عظيماً».

فكم نحن بحاجة إلى مثيلاتها من الأمهات، فنتعظ. صحيح أن هذه الركائز مهتزة في مجتمعنا اليوم وهذا ما يدعو إلى القلق والتشاؤم.

بيد أني متفائل رغم كل شيء، رغم ما حصل في الماضي البعيد والقريب وما يمكن أن يحصل في القريب العاجل والمستقبل.

أجل أنا متفائل رغم عاديات الزمن ومهما تدور بنا الدوائر ورغم تقلبات صروف الدهر.

لأنني أؤمن أن البساتين التي زرعت قد تفتحت وأزهرت وعقدت وأثمرت وحان اليوم وقت قطافها.

ولا نحتاج إلا أن نعي أهمية وحدتنا لنقاوم معاً وضرورة تضافر جهودنا، فالخطر الماثل أمامنا داهم ولا يُعفي أحداً ولا يميز بين حاكم ومحكوم ولا بين موال ومعارض ولا بين متسلط ومظلوم.

لذا، أيها الإخوة والأخوات،

أناشدكم في هذه المناسبة، إحياء لذكرى الراحل الكبير، وتخليداً لنهجه في الحياة، وتقديراً لجهده المنقطع النظير، في أي موقع كنتم وإلى أي فريق انتميتم، أن تتحدوا قبل أن يُرسَم لنا في غفلة من الزمن الرديء، وفي غيابنا مستقبل لم نشارك في صنعه ونحن غارقون في خضم خلافاتنا المشينة، وتفجر خصوماتنا، وانعدام وعينا، وفقدان حسنا، فنندم ولات ساعة مندم.

أيها السيد المؤمن جعفر شرف الدين

أيها الابن الصالح

أيها التلميذ النجيب

والمعلم القدير

والمدير النشيط

والأديب الألمعي

والكاتب النحرير

والمؤلف والباحث الدؤوب الذي لا يعرف الكلل ولا الملل

أيها الاجتماعي المميز

والمنهجي الموهوب

والوطني السليم الذي دعا إلى اعتماد سياسة وطنية تشعر بأن لبنان وطن نهائي لجميع اللبنانيين،

يا صاحب الموسوعات المرجعيات

يا رئيساً للأمسيات العاملية

فقدك كبير الوقع علينا.

وغيابك حق هو، ولكن الفراق صعب والخسارة لا تعوض إلا:

١ - بإبراز مزاياك الإيمانية والخلقية والفكرية والوطنية والإنسانية.

٢ - والتنويه بإنجازاتك التربوية التاريخية.

٣ - والتندر بمآثرك العديدة كلما التقينا وجمعتنا المجالس.

وسنتذكرك ونستنير بسيرة حياة عشتها كبيراً أبياً، وتركتها زاهداً كريماً.

وفي الختام باسم رابطة النواب السابقين وباسمي الشخصي أتقدم من عائلة الفقيد ومن محبيه ومن الحاضرين الكرام بأسمى عواطف التهنئة والإكبار والتقدير بفقيدنا الغالي السيد جعفر شرف الدين لأن أمثاله خالدون.

بآي الله أوسعت الجهودا

الأستاذ القاضي محمد علي صادق

بـآيِ الـلَّـهِ أَوْسَـعْـتَ الـجُـهـودَا ... فَـنِـلْـتَ بِـقُـدْرَةِ الـلَّـه الـخُـلُـودا
فـذِكـر الـلَّـه يُـنْـسـي كـلَّ ذِكْـرٍ ... ويُـلْـهِـم كـلَّ مُـسْـتـوحٍ قَـصـيـدا
فَـمِـنْ عَـلَـم بُـعِـثْـتَ فَـلَـيْـسَ بِـدْعـاً ... بِـجـودِكَ أَن تُـحـيـطَ الـعِـلْـمَ جُـودا
سَـلـيـلَ الـوَحْـي مـن أنـبـاك أَنَّـا ... لِشَـرْح الـوَحْـي نَـسْـتَـسْـقـي الـمَـزيـدا
أَبـوكَ إلـى ذُراه سَـمـا نَـداهُ ... وأَنـتَ بِـمَـهْـدِه قَـدْ طِـبْـتَ عُـودا
إمـامُ الـمُـسْـلـمـيـن بـهِ تـجـلَّـى ... تُـراثُ الـمُـسـلـمـيـن عُـلًـى مَـجـيـدا
وَمَـن صـان الـشـريـعـة واصـطـفـاهـا ... بـأكـنـافِ الـهُـدى عِـقـداً فـريـدا
فَـمِـنْ صُـلـب الـتـلـيـد بَـنـى جـديـدا ... ومـن أثـر الـجَـديـدِ حَـمَـى الـتَّـلـيـدا
فـيـا عَـبْـد الـحـسـيـن رَعَـيْـت نَـجْـلاً ... يُـقـدِّسُ نَـهْـجَـك الـسـامـي الـوَطـيـدا
فـدومـاً فـي الـقـيـادَةِ خَـيـر رَمْـزٍ ... يُـعـزِّزُ فـي حِـمـى الـديـنِ الـجُـنُـودا
أبـا الأجـيـالِ وافـتـكُـمْ تُـوَفِّـي ... جُـهـودَك فـهـي لـم تَـنْـس الـجُـهـودا
فـهـذي الـجـعـفـر يـسـتـر من بـنـاهـا ... وأطـلـق فـي مَـرافِـيـهـا الـبُـنـودا
ومـن نَـشَـر الـعـلـوم ومـن رَعـاهـا ... بـلـبـنـانٍ وسَـلَّـمـهـا الـعُـهـودا
فَـسَـلْـهـا فـهـي مـا زالـت تُـلـبِّـي ... نـداك وإن تَـوَسَّـدْتَ الـصَّـعـيـدا
وسـائِـلْ عـن سـراة الـعِـلـمِ مـنـهـا ... وكـيـف جـنـوا بـه الـعَـيْـشَ الـرغـيـدا
سـيـدعـوهُـمْ وفـاءٌ أن يُـضـيـفـوا ... نـوالا يَـدْعَـمُ الـجـودَ الـفـريـدا

نَهَضتَ بِهِ عطاءً مُستمِرّاً ... وكلُّ المخلصين غَدَوا شُهُودا
ولم تَكُنِ النيابَةُ غَيْرَ عِبءٍ ... لِدعم العلم قَدْ جازَ الحُدودا
بدأ نشأتَ صَرْحاً بَعْدَ صرحٍ ... يمجّدُ هِمّةِ الباني المُشيدا
فلولا العِلمُ ما طابت فروعٌ ... ولا الآباء قد فاتوا الجدودا
فطوبى الجعفريّةُ من رسولٍ ... غدا في كل مأثرةٍ نشيدا
فموسى الصدر أدرك في حِماها ... بشائرَ مَجدِها السامي صُعودا
وكانَتْ عِنْدَهُ أملاً رَعاهُ ... فهل تَحيا به أملاً جَديدا
أبا الفُقراء إن زَحفوا حُشوداً ... إليك لِيلتَقوا الصَبر الجَلُودا
فما كابَدْتَ إلاّ في شَقاهُمْ ... طوال العمر جبّاراً عنيدا
فإن زاروا بدنيانا انتقاراً ... لأن المُترَفين غَدَوا حُشودا
فما أثريت إلاّ مِنْ وَفاهُم ... فكنت وكيلَهُمْ زمناً مَديدا
سيَذكُرُك الأنام بسوءِ عَهْدٍ ... وقد حققت بالعمل الوعودا
فكم أنجزتَ أعمالاً كِباراً ... وكم طوقت بالعرفان جيدا
وكم من مُدلِجٍ لسناك يَسْري ... فقد أمحضتَهُ الرأيَ السديدا
وكم من سالك من غير رشد ... بفضلك أدرك النَّهجَ الرشيدا
تفيضُ نضارة وتهلُّ بِشراً ... حميداً يزرعُ الخُلُقَ الحميدا
تُراثُ الصادقين بِكم تَحلّى ... وزاد وُجودُكم فيه وُجودا
فكيف يعوده صَبْرٌ جَميلٌ ... وقد آثرته نأياً بعيدا
فوخذنا جميعاً في مُصابٍ ... أرى نفسي به نَفسِي الفقيدا
فليس أبو محمد غيرَ قلبٍ ... كسانا موتُه الألم الشديدا
وما أشبالُه إلاّ حُماةٌ ... لكي يرثوا من الشَّرف الأُسودا
لئن أدركت في الدنيا خلوداً ... فجاور سدرة الباري سعيدا

فقيدنا الإنسان في كل ساح

الأستاذ حسين حماده

بسمه تعالى وبه نستعين وبعد

الحفل الكريم: الأهل أهلي والجراح جراحي.

فالنفس نهارها ليل، والقلب على سوادٍ وقلقٍ وأرق، والدمعة رماد، والصدر على ضيق، وإنا على فراقكم، سيدنا، لمحزونون.

فقيدنا الأغلى هو فقيد الوطن، إنه نورٌ على نور. نور هو الإيمان المطلق، ونور هو الإنسانية الشفّافة الجامعة.

لا تختصر فقيدنا المميّز الموسوعات. وهل هذا النور سوى فعل القلب الخافق بالحياة، والعقل الكاشف لكل مجهول، والعرفانية الروحانية الصافية؟

هل الإنسانية الخالصة المخلصة، الطاهرة المطهّرة إلا المنظومة الأخلاقية الوافية الشاملة؟

فقيدنا مع الحق كان اليد والرمح والسيف والفارس والجواد.

لقد كانت جيبه طائرة في يده التي هويّتها النّهر في العطاء. إنه في الإيمان والإنسانية إمام ابن إمام.

عطاؤه كان على غير حساب. فالأغنياء في قاموسه خزائنهم على فقر، والفقراء في يده وأخلاقه أغنياء.

عاش السياسة طويلاً علّه يُصلح ما فسد، وغادرها لأنه لا يغدر ولا يفجر كما في قول أميره عليّ عليه السلام.

لم تكن سياسته في برلمانه وصوليّة ولا فناً للفن، إنما كانت فن الالتزام، وفن لعبة الحق، ولا تأويل لتستوي في ميزانه الغاية والوسيلة.

كلمته موقف، ليكون مع الناس الحوار. والحوار في مذهبه «تعالوا إلى كلمة سواء» فالحوار الموضوعي لا يلغي في ميزانه، ولكنه يغسل القلوب، ويطهّر النفوس، ويربي العقول، ويكشف الحق لذلك كان مع كل الناس وكأن النفس في النفس.

صراحة كالشمس في إشراقها، والحق يقينه، والعدل نصابه وميزانه. أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر هما عمله اليومي. لا تدري في كلمته هل القلب في عقله أم العقل في قلبه لأنهما على توازن وتعادل في النشاط.

اللافت اللافت أن فصاحته لم تكن لتبارى، وبلاغته لم تكن لتجارى. لفظه له رائحة العطر، وعبارته جمعت بين الأزهار حيناً، والسيف حيناً. وفي أبجدية فصاحته وبلاغته لكل مقام مقال.

إنه ندرة أيامنا إن في الإيمان، وإن في الإنسانية. وحسبه من الجهد في العطاء الباذل والباذخ من هذا القبيل موسوعته القرآنية التي جمعت فأوعت، وأخذت فأعطت، وآمنت وعبدت فصامت وصلّت، وأضاءت فأشرقت. إنها آية الجهد لربع قرنٍ أو يزيد.

تقرأ أدبه فإذا به مع العلم في توثيقه ويقينه على التزام، وتقرأ علمه فإذا به مع الأدب فصاحة وبلاغة على نور وفاق وآفاق، يسعى إليه المنبر الحر على بهجة وأنوار واعتزاز، ويسعى إليه المنبر المكبّل شاكياً راجياً آملاً.

مع السياسة وبعدها كان له النشاط الواسع والأغلى والأغنى في حقول الثقافة والتربية والاجتماع.

حسبه من هذه الحقول جعفريّته المعمورة، والتي كانت النسخة المفردة

ولا تزال. لقد كان بنّاءها وصانعها. قصّته مع الجعفرية تبتدئ من حرفها الأول الذي هو الحجر الأساس، وتنتهي ولن تنتهي، في سلّم البرج الأعلى.

لقد كان رسول أبيه في جعفريته التي طفق يعمّق بها جذوراً، ويعلو بها بنياناً حتى كانت القلعة الحصينة وعلى مدى الأرجاء الجنوبية المقيمة والمهاجرة. وهل النخبة المصفّاة في جنوبنا المبارك، وهل النابهون في كل اختصاص إلا حصيلة هذه المؤسسة المنارة، في الجيل العتيق وفي فترة إشرافه الميمون؟

هذه الجعفرية بمآتيها ومؤسساتها التي قادها على بُعدٍ في الرؤى ومشقة في الجهاد كانت للتربية مهدها وبحرها وشبابها فإذا بها للكل وتعطي الجيل الجنوبي وغير الجنوبي بغير حساب.

حسبه أنّ نشاطه اللبناني الوطني لم يكن طائفياً لأنه يؤمن بطبعه بأخوّة الأديان، ويدرك يقيناً أن الطائفية تجارة قذرة، واستغلال فاسق لمآتي الأديان المقدّسة.

مثل جعفرنا لا يلبس رداء الموت، تتعشّقه ذاكرة التاريخ، ومفكرة الدهور ليبقى لها نبراسها الذي يوزع أنواره على الجهات الأربع.

لقد كان لسانه في عقله وقلبه ليصدر عنه الوعي والإيمان والمحبّة صدور الشعاع عن الكوكب، والأريج عن الزّهر.

فقيدنا وسيدنا كان أول صوت حين ولادته احتجاجاً على التشريد الفرنسي الاستعماري لأبيه المقدس، ولم يكن الزمان ليدري أن هذا الصوت سيصبح في مستقبل الأيام كلمة الحق وصيحة الحرية، والثقافة الموسوعية التي تأخذ من كل فن طرفاً لينقلب صاحب مدرسة ونهج.

لقد كان سيدنا امتداداً لأبيه المقدس شرف الدين في الإنسانية والإيمان والأدب.

ومن هو هذا الرائد المقدس؟ أليس هو الذي أرسل حكمته المدرسة: لا ينتشر الهدى إلا حيث ينتشر الضلال؟

إنه إمام الأئمة في هذا العصر علماً وفقهاً، أدباً وخلقاً، صلاحاً وإصلاحاً، شجاعة وجهاداً، حيث علم ولا يزال كالأنبياء، وإن بغير وحي.

هذا الإمام الواثق الموثوق، كان من قوله المأثور لابنه الواثق الموثوق: إنك لعلى خلق الأنبياء.

لقد كان أدب فقيدنا روضة يضحك فيها الزهر الألوان والعطر الأخضر، والنغم النّسيق، والماء السلسبيل.

فالكلمة على ريشته صُوَر، والعبارة مشهد، والمشهد لوحة، ولا يتأتّى ذلك إلا لذوي الجناح السارح بين النجوم في مجلة المعهد وغير مجلة المعهد.

لقد كان في صراحته ووضوحه كفلق الصبح، وفي النداوة والإشراق كالربيع، وفي الصفاء والرقة كالفجر.

ولك أن تجد فيه الصدق الأمين، والوفاء الخالص المخلص، والتضحية المدرسة حتى الإيثار، وغاية الصلاح والإصلاح.

إن الشاهد الصادق على نضاله الاجتماعي الموصول بعض من منجزاته كجمعية البر والإحسان في صور مع نفرٍ من المؤمنين، وتقديم المساعدات الأسبوعية والموسمية لمن تحسبهم أغنياء من التّعفف، وتأسيس رابطة إنعاش القرى التي من رسالتها تعميم التعليم المجاني في القرى حيث زرع فيها الجعفريات، وكإدارة الوقف الجعفري، الذي كان على يد سيدنا نماؤه الملحوظ، ونطوره المشهود. منزله كان مكتب خدمات، ومحجة طلاب الحاجة، ما أصبح صباح وأمسى مساء.

لم يكن جعفرنا رضي الله عنه إزاء القضايا الوطنية إلا رسول محبة، وداعية تسامح، ورائد وحدة.

أما إذا تحول النظر إلى القضايا العربية المقدسة فلا نجده إلا فارسها وحاديها وفي طليعتها قضية فلسطين والجزائر.

مع الفلسطينيين المهجّرين كان المأوى السّخي، ومع المقاومة المجاهدة كانت جعفريته الخندق الأول لفرسانها وشهدائها.

خلاصة فقيدنا أنه الإنسان في كل ساح، وأنه الخير المحض في كل مناسبة، وأنه الشمس التي لا يهمّها أين يقع منها الضياء، وأنه النهر الذي لا يفرّق بين الصخور والحقول ولا حساب لمسيرته في ليل أو نهار.

أبو محمد هو الطّبع، وما بالطّبع ثابت، إنه الواحد قلباً ولساناً وعملاً، إنه الواحد عقيدة وسياسة واجتماعاً وأدباً، إنه الانسجام خطاً ولوناً ومشهداً في لوحة الحياة.

لقد رحل في الثمانينات وما رحل، وما بين ولادته ويومه سماء سحاب من غيثه، وجبل شموخ من جبهته، ونور وحي أو يكاد من قلبه، فلا عدمته الحياة الراضية المرضية في ذاكرة التاريخ، ومستقبل الدهور إن في الدنيا وإن في الآخرة.

والسلام عليكم



على اسمك نمضي

المهندس السيد محمد شرف الدين

كلمة آل الفقيد

رحم الله الشاعر الذي يقول:

أمات أبوك..؟ ترفق أنا لا يموت أبي ففي البيت منه عبير إمام وعرف نبي
صحيفته نهجه والكتاب كأن أبي بعد لم يذهب
وأوراقه في البيت مبثوثة تراث المداد على المكتب

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الصبر والرضى والتسليم بحكم قضائه وهو الذي لا يحمد على مكروه سواه.

وكيف لا نكون يا أبي الطيب الغالي من الصابرين الراضين بحكم بارئنا جل وعلا ونحن نأنس دوماً بإشراق إطلالتك الحانية علينا في رحاب الجعفرية وحنايا بيوتنا أينما كانت.

كيف لا نصبر الصبر الجميل، يا سيدي المحب الحبيب، ونحن نرى طلعتك الباسمة أبداً تنبعث من عيون محبيك أبناء جعفريتك المعطاء، وخريجيها المنتشرين في مختلف أرجاء الأرض شرقاً وغرباً بعد أن نهلوا من معين معهدك خلال سنوات وسنوات من القرن الماضي وباتوا يلهجون بفضل تشجيعك العظيم لكسب العلم والتحلي بالفضيلة والتعلق بأهداب الدين القويم، في ذلك الصرح

الشامخ القائم اصلاً على هدى والدك السيد عبد الحسين شرف الدين، جدي طيب الله ثراه.

وكيف لا نصبر على ما ارتضاه الله لنا ونحن ومحبوك يا أبي ننعم بآثارك الطيبة المغروسة في النفوس: ذكريات تتغنى بمجيد أعمالك الخيّرة في جنوبنا الحبيب الذي لا ينسى أبداً مواقفك الأصيلة في مناصرتك المشهودة للجهاد الفلسطيني والتفاني في نصرة المقاومة المباركة كما هو لا ينسى خدماتك الجليلة خلال تمثيلك إياه في المجلس النيابي وفي ما تركت له وللمسلمين جميعاً من نتاج فكري وروحي كان آخره الموسوعة القرآنية.

وإذا كان ذكر ابن آدم إذا مات ينقطع إلا من ثلاث ولد صالح وصدقة جارية وعلم ينتفع به كما يقول الحديث الشريف فإنني أبتهل إلى الله العلي القدير أن يتقبل أعمالك ويوفقنا على أن نعمل بما قد علّمتنا من تقديم القدوة الصالحة وأداء المعروف في كل حين وتعزيز كل علم نافع للساعين.

ترجلت بعد أن أديت دورك في الناس صدراً واسعاً وفكراً جامعاً وبيتاً كان محط آمال المتعبين.

ترجلت بعد أن أديت دورك أباً عطوفاً ومربياً رؤوفاً.

وأعود إلى قول الشاعر لأردد معه:

أبي يا أبي إن تاريخ قرن ... وراءك يمشي فلا تعتب
على اسمك نمضي فمن طيب ... شهي المجاني إلى أطيب

وهنا لا يسعني أيها الحفل الكريم إلا أن أتقدم منكم بأسمى آيات الشكر والامتنان على مشاركتكم إيانا حفظكم الله ورعاكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الذكرى السنوية الأولى

قاعة الكلية الجعفرية في صور

١٨ جمادي الأولى ١٤٢٣ هـ

٢٧ تموز ٢٠٠٢م



صدره شُرَّعٌ للهجر والنكران

الفنان غازي قهوجي

يشرفني ويسعدني أن أقف على أرض الجعفرية مرحباً ومقدِّماً، بعد أن عبرتُ مقاعدها طالباً يسكنه هوى المدرسة الأولى وسيلُ الذكريات.

ويرفعُ بي غبطة وهجُ المتكلمين من أصحاب الفكر الأبيض المتفتح والخبرة المؤسساتية الناجحة.

أهلاً بكم في رحاب المؤسسة الأم، المنتصبة رمحاً عليّاً على رمل المتوسط.

أهلاً بكم في مدينة صور حضن المهاجرين وملتقى الأنصار.

أهلاً بكم في الجنوب: واحة الاستثناء ومرج الشهادة.

الجنوبُ العبق الوارف الظليل بقامات رواده، مالكُ مفاتيح الدمع والمجد والصبر والصمود.

الجنوب النهر الوعد والسيف اللامع في ليل العرب.

مَنْ عَمُرَتْ مناراته على المساحةِ والتآلفِ والوداد، ومن حبّات رمل ترابه أنبتت غامراً وِزدَ الجهاد.

ومن نخلِه طَرَح الجنى على العدوّ رصاص مقاومة.

وعلى ثرى هذه المدينة العريقة الحاضنة مدنيات سبعاً رفع السيد عبد الحسين شرف الدين صرحاً للعلم والثقافة، ليجمع شمل المواهب، ويجعل جمر الحرمان يضيء، بعد أن كان الجنوبي يولد وغربته في يده، كاتباً على الماء، وناحتاً في الهواء، مغادراً إلى المجهول مع صفق كل مجداف وشهقة كل شراع.

هكذا خرج السيد جعفر من بيت علم ودخل دار علم ليبني دورَ علم، ويكمل مسيرة من نذروا أنفسهم لآمال الجماعة، حاملاً معهم وأمامهم بيارق الهواجس والهموم حياتياً وتربوياً.

السيد جعفر: المعلمُ اللغوي الأديب. المربي السياسي العروبي، الأب الطيّب الفاضل، حبيب كل الناس، رائد هجرة القلوب إلى القلوب، من لم يبع أحداً بثلاثين من الفضّة، ومَن لم يمرّ على دروب غيابة الجبّ، ويوقّع مواثيق وعهوداً لوّنها الدمُ الكَذِب حين صدرُهُ طويلاً شُرّعَ غمداً لسيفين: الهجرُ والنكران، فبقي كبيراً رحباً كحرف النون وسع مداها المقيم والمهاجر، لتدوم بعد ذلك النون ويدوم معها القلم، وكل ما سَطَروا وسطّروا ويسطرون.

والكلام عن أبي محمد وفيه في داره يكاد يكون ثواب حجة أو بركة عمرة! حين يتجلى أمامنا كما دائماً بين النيرين: الألَقُ والقلق، لذا ترانا نجمع - غزيراً - من حواري مدينة صور وقعَ وإيقاعَ حضوره وبعض عمق نصّ كلامه المرفوع رؤى شكلت ولا زالت نهجاً لن تعوّض رحيله إلاّ روحُ وأيدي الجماعة على وحدةٍ متينةٍ وتوحّدٍ راسخ.

لن ننسى ثوابتك في جوهر العروبة ومعنى الانتماء، وفي الوحدة والتعايش والانفتاح وقبول وحوار الآخر.

لن ننسى لغتك التي حلّت جدائلها، ولا صراحتك التي فضّت رسائلها.

لن ننسى عباءة أبيك، وما تعودنا وأد سير وإنجازات كبارنا، ولا محو ونكران ما أسسوا ومنحوا، ولن نكون كمن يحاول بلا انقطاع غيماً يغرّ وموجاً لا يتعاقب.

السيد جعفر: المطل الدائمُ على خيل الحقيقة والكلام،
المظلل كوالده بسرب سيوف ورف حمام،
لا زال معنا، والله في الأعالي، وفي الناس المسرّة،
وعلى الأرض السلام...

لم يكن في حياته مطلق سوى الله

العلّامة السيد هاني فحص

بين المثقف والسياسي،

بين العروبة والكيان،

الجبة والعمة والعباءة هي المجددات الشكلية لرجل الدين الشيعي... أما المضمون فلكل مضمونه، أي فرادته...

ومن فرادات السيد جعفر أن عمته كانت في قلبه وكانت بيضاء بحكم المشاكلة مع القلب.. من هنا كانت متعبة له ولأصدقائه وخصومه عفويته وصراحته في زمن الباطنية التي سرعان ما تتكشف عن مخزون من الكيد والضغينة.

بناء على ذلك يدخل السيد جعفر في صنف رجال الدين الشيعة وقد أعفانا شاعرنا العربي المحب من الالتباس أو أدخلنا فيه إذ قال:

«أرى الإزار على لبنى فأحسده   إن الإزار على ما ضم محسودُ»

أما دراسته فإن شهر تلمذة على الإمام شرف الدين في معيار التحصيل العلمي يعادل دهراً. والعلم الواجد عيشاً في كنفه بين مجلسه ومنبره ومحرابه ودفاتره يعادل عمراً معرفياً مديداً... إلى ذلك فسنواته في الكلية الشرعية تلميذاً مؤسساً على المساءلة والنقد ملحاحاً، تكفي لأن تراكم مخزوناً إضافياً إلى مخزونه النوعي. فإذا ما استكملت في اليسوعية انخرط الكم في الكيف.

والعصاميون في بلادنا ممن تتلمذوا على الجرائد التي يبيعونها، كثر...

والعقاد لم يتجاوز التعليم الأساسي ومحمود درويش وطلال سلمان لم يبلغا التعليم الثانوي، وزكريا تامر وحنا مينه لم يبلغا نهاية الدراسة الابتدائية... والمظنون أن محمد علي باشا مؤسس النهضة المصرية في العلم والعمران والإدارة والإنتاج كان أمياً.

أما الذين ارتادوا الحوزات الدينية العلمية من علمائنا ومن يشبهونهم، فمنهم من قضى عمراً لم يعمره، ومنهم من قضى عمراً عامراً، ومنهم من قضى سنوات معدودة وأدركوا شعور خادع بالامتلاء فعاد إلى أهله مكتفياً منقطعاً عن أي تحصيل يحاول عبثاً أن يدخل دنيا العلم والدين في بيضة حمام أو عصفور. ومنهم من كان جاداً ولكن مصاعب الحياة ألجأته على العودة وعلى مضض... فحوّل بيته الصغير إلى حوزة. سمعت من الشيخ محمد جواد مغنية أنه اجتهد في لبنان مع ثلة ممن تبادل العلم معهم السيد هاشم معروف والشيخ عبد الله نعمة خاصة.. على هذا الأساس أسلك السيد جعفر شرف الدين في سلك العلماء، ولا أتجاهل سؤالاً عن تخصصه ولكني أتساءل عن عدد المختصين في علمائنا من جيله عامة ومن جيلنا خاصة ومن الجيل التالي لنا بصورة أخص؟ وقد تعلمنا في الحوزات أن نفرق من دون أن نهوّن، بين الفقيه والمتفقه، بين الفقيه والخطيب والأديب.

دعونا نخرج من الجدل ونسلّم بأن السيد جعفر لم يكن من العلماء قياساً على السيد الإمام، أما غيره فبلى... وحتى هذه المشاكسة لا مانع من تجاوزها إلى القول بأن السيد جعفر كان مثقفاً إسلامياً عربياً شيعياً لبنانياً موسوعياً. بدءاً من حساسيته اللغوية المركزة والمتوهجة قراءة وكتابة، ومروراً بذاكرته الأدبية، وانتهاء إلى تثميره لهذه الثقافة في موسوعة قرآنية، وضعته في مصاف أهل الاختصاص وضمته إلى رعيل العلماء من جيله الذي كان عدد المشايخ فيه لا يتجاوز العشرات ولكنهم أنتجوا كثيراً، من المؤلفات السمينة والقليل من الغث في حين أن أعدادنا الآن بالآلاف ولن ننتج إلا الكثير من الغث والنزر اليسير من السمين، مع أن النعمة أوفر والتحديات أكبر.

إذن فالعبرة في المضمون لا في الشكل وإن كانت..

«ملأى السنابل تنحني بتواضع والفارغات رؤوسهن شوامخ»

كنت في أول عهدي بالشكل، وما زلت أشعر أني في أول عهدي بالمضمون، ويعتريني قلق المعرفة كأنه مرض عضال لا علاج له إلا بالحبر. واستقرت جبتي على بدني وعمتي على رأسي بسبب الإحكام في التفصيل.. أما العباءة، أي القشرة، فما زالت قلقة، وحتى لا تسقط عن كتفي أحملها على ساعدي... في أول لقاء لي بالسيد جعفر لاحظ هذا القلق في شكلي.. فسألني عما إذا كنت وريثاً لأحد علماء أسرتي، فأكدت له فلاحية منبتي.. وراقت له رائحة التراب المشتاق إلى الحُب والحَب والخصب. فاحت من كلامي وصمتي.. وكان يؤثر في ألقاب علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أبا تراب...

وأوسع مكاناً في عينيه لي، لم أبارحه، وأوسعت له في صدري حيزاً مقصوراً على الأساتذة الأصدقاء أو الأصدقاء الأساتذة. الذين كيفما تعاطيت معهم تعلمت منهم... ما التقيته يوماً إلا وتبادلنا المعارف والأسئلة والاختلاف والاتفاق والجدل الجميل والنكتة عند كل مفارقة في الأدب أو السياسة أو الاجتماع. وكان يضحك حتى آخر موجة على شاطئ صور تعانق موجة على شاطئ حيفا... أما أنا فكنت أضحك بمقدار مستمراً عند مفارقة أن رفيقي في عمر أبي ومع ذلك يبدو وكأنه تربي... بعد إنجاز موسوعته القرآنية ثم وفاته انتبهت أنه يكبرني بربع قرن.. وأنه بقي إلى آخر ساعة يستفزه الشعر الجميل أكثر ما يستفزه المرض، أما الغزل فيقوم له من مكانه وكأنه العافية قد فاجأته من عقار نادر، أو كأن الغواني قدمن عليه أمواجاً رافلة بعطرها... ويوم كتبت عن غزل العلماء وخمر الأتقياء، هاتفني قائلاً: «شكر الله سعيك، لأنك تلامس في عملك مستوى راقياً ومهملاً في مكونات علماء جبل عامل الكبار».. وقد كان همي أو همه أن أقول بأن العلم والتقوى لا يحلان في الخشب وأن الذوق الرفيع شرط للعلم والعلم شرطه... دلوني الآن على شواهد هذا الذوق الذي هو من خصائص النجف؟ وإذا لم تدلوني فإنكم ترتابون في كون الذي نراه علماً!

أيها الأحبة، إن اللغة العربية هي الاحتياطي الذهبي لعلمنا وثقافتنا وهويتنا وعلاقتنا بالسنّة ونهج البلاغة. والقرآن الذي يأبى ونأبى أن يتحول إلى نص سياسي حُزَفي وحِرَفي فانتبهوا وقدروا لهذا البيت البستان من النخل والفسائل ولرصفائه

من بيوت العلم والأدب في جبل عامل تماهيها مع اللغة كأنها مادة حياتها في الدنيا وفي الآخرة.. ولا تنسوا أن الجعفرية كانت في الزمن الصعب مصنعاً للأدباء والشعراء.

أنا قرأت كماً كبيراً من محاضر جلسات مجلس النواب اللبناني منذ التأسيس في عهد الانتداب إلى دورة عام ١٩٧٢. واكتشفت أن الأزلام شوهوا في ذهننا صورة خصوم متبوعيهم.. قرأت نصوصاً جميلة للأجيال القديمة.. غير أن السيد جعفر شرف الدين وعلي بدر الدين كانا الأشد تميزاً في جمال التعبير، حيث يتحول الأدب إلى مصدر حيوية في النص السياسي.. وكلنا نذكر لعلي بدر الدين المعادلة التي صاغها والتي لا يمكن أن يصوغها إلا أديب حساس.. (كرامة بلا نيابة خير من نيابة بلا كرامة).

من ثقافة السيد جعفر ومن قلقه الفني والأدبي جاء ما يمكن اعتباره قلقاً سياسياً... لأن المثقف الحقيقي أقرب إلى أن يكون فرداً خاصاً أو أقل عمومية من السياسي المحترف، فردانيته أو فرادته أو خصوصيته، تأتي من قلقه المعرفي (كأن الريح تحته) ولذا فهو ينزع إلى عدم الإقامة على اليقين السياسي ولا يغريه اليقين إلا بالمزيد من الشك من أجل مزيد من اليقين، حتى يظن السطحيون أنه كل يوم في حال... بينما هو في حاله وعلى حاله التي لا تستقر على حال إلا إذا كانت الحال مفتوحة على الاحتمال لتصبح أحوالاً في حال.. وعلى الطريق بين قول وقول وموقف وموقف، تجري وراء الأسئلة وتغري الأنصار والأصدقاء والخصوم بالأسئلة والحوار، وتتماهى مع المتغيرات على مقدار من الثبات على المبادئ العامة، محمولة من موروث أسري وأبوي مكتسب بالتجربة ومضمون بالإيمان والفقاهة.

من هنا لم يكن السيد جعفر شرف الدين بعثياً أو قومياً عربياً متطرفاً لكي يتخشب، لم يكن عروبياً مفرطاً لكي يتعنصر، ولم يكن شيعياً مفرطاً لكي ينعزل، ولم يكن مسلماً متطرفاً لكي يُفرّط، ولم يكن لبنانياً مفرطاً لكي يكون وثنياً، ولم يكن جنوبياً حصرياً أو صورياً حصرياً، أو فئوياً بما فيه الكفاية ليعادي من يختلف معه في السياسة حتى لو عاداه ذلك المختلف... إذن لم يكن هناك مطلق في

حياته وسلوكه سوى الله... كأنه كان في السياسة يريد أن يقول إنه ابن الجميع... أي ليس ابناً لأحد، من دون أن تنكر لأحد..

كان يحب من يتفق معه ويرى أن النقد من موجبات المحبة، ويحب من يختلف معه وإن لم يرق له فعله. كان يكره الخطيئة دون الخاطئ، جاهزاً للتسامح والتفهم والعفو والاعتذار. ورغم انتمائه إلى الطبقة السياسية، في الحكم وخارجه، لم يستطع أو لم نستطع إلا أن نرى فيه المثقف الشعبي الطليعي الذي يتعلم ممن يعلمهم... كان طلعة موصولاً برهطة غير منقطع على طريقة النخبة أو من يظنون أنهم نخبة، حتى يبلغوا السبة تحت القبة أو خارج القبة.

على أن انضمام السيد جعفر نجل السيد عبد الحسين شرف الدين إلى الطبقة السياسية في الدولة الوطنية اللبنانية، أي في دولة الكيان اللبناني، أمر يدعو إلى التأمل والاعتبار... فهذا البيت كان ركناً بركن من أركان المعارضة للانتداب ودولته ومعارضة الكيان أصلاً، وحمل الإمام شرف الدين رسالة الحجير إلى فيصل في دمشق مع رفاقه الأكرمين، متمسكاً بسورية في حدودها الطبيعية رافضاً الدويلة الشيعية في جبل عامل، على مقتضى الانتماء العربي والعقيدية التوحيدية والوحدوية. ثم يدخل السيد محمد جواد ومن ثم السيد صدر الدين في المعركة الانتخابية لمجلس نواب الكيان تحت عباءة الإمام وفي ظل عمامته... ولم يفوزا... أو أننا لم نفز فيها ومعهما... ثم استأنف السيد جعفر المسير على نفس المسار... فما عدا مما بدا؟... إنه الوعي الوطني المسؤول الموصول بالإيمان المستند إلى شرع مقاصدي معياري اجتهادي متحرك، يأخذ الأحوال والأزمان ومحمولاتها المعرفية، في جملة أو أساس قراءاته النسبية المنهجية للنصوص وتشخيصه للموضوعات واستنباطه للأحكام أو تعيينه للوظائف العملية للفرد والجماعة... لقد ترسخ الكيان اللبناني الذي اصطنع، إذن فهناك تبدل لحق بالموضوع السياسي الوطني، فلا بد أن يتبدل الحكم تبعاً له، أي من المقاطعة إلى المشاركة، من دون أن يعني ذلك تنصلاً أو تبرءاً من الهم القومي والالتزام العربي.

ما أريد قوله باختصار هو أن هذا السلوك يؤصل لنا وطنيتنا اللبنانية التي لا

سبيل إلى حفظها إلا بالوفاق والوحدة الوطنية، التي عندما تتحقق تكون قهراً وضمناً إحداهم مؤهلاتنا للإسهام في تحقيق الأماني العربية وفي طليعتها تحرير فلسطين. وإذ لم تكن الدولة مقتنعة حتى الآن بدورها إلا كلاماً سجالياً، ولم تتعمق في قراءة خلفيات الطائف الميثاقية، أي الأعمق والأبعد من الدستورية، لتكف عن دورها في تقسيم اللبنانيين، فإن مجتمعنا الأهلي، الذي اندمج فيه السيد جعفر، مع نواة مجتمعنا المدني المنشود والمحاصر بالمصادرة، مكلفة وقادرة على أن تنجز وحدتها لتلزم الدولة بها وتضبط صراعاتها، من دون وقوع في المحذور الذي وقعنا به فأوقعنا في الحرب، أي استقواء المجتمع على الدولة في مقابل استقواء أو انفصال الدولة عن المجتمع.

إن دخول السيد جعفر بعد السيد محمد جواد والسيد صدر الدين في المعترك النيابي.. هو دلالة فقهية على أن فكرة الدولة قائمة في الوعي الشيعي وأن استقطاب الشيعة هو الاندما (الوطنية) في وطنهم وجماعاته المكونة. لأن التمايز الشيعي، وكل تمايز طائفي أو مذهبي إنما هو مقدمة للتلاشي والغياب.

إن الذين أنجزوا التحرير، أو تميزوا في عملية إنجازه، أنجزوا هم أسباب الوحدة الوطنية، ولم يبق إلا أن يتشبثوا بها حفظاً لدماء الشهداء وإسهاماً في معركة المصير في فلسطين، التي يجترح معجزتها الآن شعب فلسطين وحيداً ممتناً للبنان أمثولته وأثره في الانتفاضتين.

مر الإمام شرف الدين بقرى الجليل في طريقه إلى منفاه الجميل في قاهرة المعز وجمال عبد الناصر واحتفى به فلاحو الجليل، وعندما هجروا كان لهم لجأ وذماراً. من هنا ورث أنجاله وأحفاده وتلامذته في صور والجنوب هذا الانحياز لفلسطين وشعبها، الذي كان حافزاً على نسيان الذنوب تقديماً للأهم على المهم... ما رأيت السيد جعفر فرحاً إلا عندما تلوح بارقة أمل بالتحرير وما رأيته كئيباً إلا عندما تتعثر مسيرة التحرير... نسأل الله في ذكراه أن نكون والوحدة الوطنية الفلسطينية راسخة رسوخ فلسطين في وجدانه ووعيه وشوق إلى القدس والحرية.

من قلبه أعطى

سيادة المطران مارون صادر

أيها السادة،

في مطلع القرن العشرين، كان السيد الكبير، في بلدة شحور المطلة على وادي نهر الليطاني، يحمل الطفل الصغير ولده جعفر بين يديه ويتساءل ما عساه أن يكون هذا الصبي؟ أرجل دين أم رجل أدب وثقافة أم مربياً أم رجل سياسة؟

ونشأ الطفل الصغير في كنف الوالد الكبير، فجاء طموحه كبيراً وصمم أن يكون رجل أدب وثقافة، رجل تربية وسياسة، رجل فقه وفكر إسلامي.

بعد مؤتمر وادي الحجير، وبعد إعلان دولة لبنان الكبير بحدوده الحالية، أصبحت صور محط الأنظار في جبل عامل وأصبحت مدينة من مدن لبنان الإدارية، أخذ السيد عبد الحسين شرف الدين المرجعية الدينية في صور، والعائد حديثاً من النجف الشريف، المستنير بأنواره والمثقل بقيمه، والمتفاعل مع التطور الحاصل في لبنان، أخذ يتطلع إلى المستقبل ويفكر ببناء جيل جديد في الجنوب، يأخذ دوره في لبنان الحديث، فرأى أنه لا يمكن بناء أجيال جديدة في الجنوب تكون في مستوى المسؤولية إلا عن طريق نشر العلم والمعرفة والتطور. فبنى الجعفرية وبنى الجامع الكبير ونادي الإمام الصادق بالتعاون مع الخيرين من أبناء صور المقيمين والمغتربين، وأخذ يعمل ببناء جيل جديد من الشبان المثقفين، الطموحين المتطلعين إلى المستقبل بأمل وثقة، يقيناً منه أن الحجر بلا بشر لا ينطق ولا يحرك بنية المجتمع والوطن.

كان السيد جعفر في هذه الفترة يتهيأ ليكون ساعده الأيمن في مشروعه الثقافي والعلمي والتطوري.

في هذه الأجواء الرحبة على مختلف الصعد الثقافية والاجتماعية والإنسانية، نشأ وترعرع السيد جعفر شرف الدين ودخل معترك الحياة الثقافية والتربوية والاجتماعية والسياسية والدينية. من بابها الواسع، فجال وجلّى في ميادينها الواسعة.

فدخل الجعفرية وهي في زخم منطلقها، فعلّم وسهر على تربية الناشئة، فكان الأستاذ ثم المدير ثم الرئيس وأعطى من قلبه ومن واسع ثقافته التي حصلها في الكلية الشرعية في بيروت، وفي معهد الآداب الشرقية في الجامعة اليسوعية. ففتح العقول على عالم المعرفة وصوّب الإرادات نحو آفاق الخير والحق والجمال، وزرع روح الوطنية في قلوب الشبان المتعطشين إلى الجديد والمنتظرين على أبواب المستقبل، والمترجين الكثير للجنوب ثقافياً وأدبياً واجتماعياً وإنمائياً وسياسياً.

كانت الأرض عطشى، وكان الينبوع غزيراً. كان الطموح كبيراً في الميادين، وكانت الإدارة في مستوى العطاء، فأعطى السيد جعفر من قلبه وغزير ثقافته وعمل بالتعاون مع الإخوان والأساتذة والمربين الذين عملوا في الجعفرية. فازدهرت الكلية وأصبحت منارة علم وثقافة وتنشئة وطنية في الجنوب، على جميع المستويات.

لم يكتف السيد جعفر بالتعليم والتربية، إنما عمل على تأسيس مجلة المعهد ١٩٤٥ ـ ١٩٥٠. وهي مجلة ثقافية توجيهية، أخلاقياً وأدبياً وتراثياً، فكتب المقالات العديدة في هذا لامضمار، كما كتب المقالات العديدة في مجلات أخرى، خاصة في مجلة الألواح التي أصدرها أخوه المرحوم السيد صدر الدين.

وكان هاجسه نشر العلم والثقافة ليس فقط في صور إنما في جبل عامل وبعدئذ في ضواحي بيروت، حيث انتقل عدد كبير من أبناء الجنوب إليها. فأسس المدارس التابعة للجعفرية في جبل عامل ثم في بيروت.

ولم يكن اهتمامه مقتصراً على حقل التعليم والتأليف إنما كان يهتم بالإنسان

على مختلف الصعد، وخاصة على الصعيد الإنساني والاجتماعي فأنشأ عام ١٩٤٩ «جمعية البر والإحسان»، كما أنشأ عام ١٩٦٣ «جمعية رابطة إنعاش القرى»، فأخذ الدور الاجتماعي يتكامل مع الدور العلمي، ومن هاتين الزاويتين أطل على الدور السياسي.

الحقل السياسي في لبنان.

يقول أحد المفكرين: «إن كل ما هو إنساني ليس غريباً عني. فالرجل الذي تعاطى الشأن التربوي والشأن الاجتماعي والذي عاش في أجواء الجعفرية، كان لا بد أن ينفتح على الحقل السياسي فدخله من الباب الواسع وترشح على النيابة ثلاث مرات ومنحه الشعب ثقته على مدى اثني عشرة سنة ١٩٦٠ ـ ١٩٧٢.

فطرح تحت القبة البرلمانية القضايا التي تهم الجنوب ولبنان والعالم العربي.

وتطلع باهتمام كبير إلى القضايا اللبنانية والتعليمية خاصة القضية الفلسطينية، والثورة القومية العربية بقيادة الزعيم الكبير جمال عبد الناصر وأخيراً الثورة الإيرانية.

وكان من مؤيدي المقاومة ضد العدو الإسرائيلي ومن مقيمي الأعمال التحريرية التي أدت إلى تحرير الجنوب من الاحتلال وفرح لفرح أبناء الجنوب بالتحرير.

أما الفكر السياسي في لبنان فتتجاذبه تيارات عديدة وطنية وقومية عربية. فالسياسي الثاقب النظر هو من يوفق بين هذه التيارات. والسيد جعفر عرف أن يصهر هذه التيارات في بوتقة بنائية وطنية وعربية تتكامل وتتفاعل وتعطي للبنان دوره السياسي والحضاري في العالم العربي.

وفي الحقبة الأخيرة من حياته عاد إلى جذوره الفقهية والدينية وألف على العمل الدؤوب والمتواصل في الموسوعة القرآنية فأغنى المكتبة الإسلامية بمؤلفاته. ولسواي أن يقيّم هذه الأعمال إنما نشير إليها للدلالة على غنى شخصيته وسعة معارفه وأعماله الثقافية والاجتماعية والإنسانية والدينية. هذه لمحة عن أعمال السيد جعفر في صور وفي الجنوب وفي لبنان.

أيها السادة،

إن مدينة صور هي من أعرق مدن العالم، نبتت من عمق الأرض صخرة صلبة وصمدت في وجه العناصر الطبيعية آلاف الأعوام والسنين وعامت فوق البحر مدينة مزدهرة مرت عليها فتوحات عديدة وأغوتها حضارات البحر المتوسط وأخذت منها وأعطتها.

كان ملوك الشرق وقادته يتوقون للتبرك من أرضها وكان أباطرة الرومان يتباركون بالتتويج على أرضها. وكان وكان. . . وهي اليوم تتأمل بالماضي وتتطلع إلى المستقبل بأمل وثقة. والأوطان والمدن والثقافات والحضارات هي صنيعة شعوبها المبتكرة والمتفاعلة مع سائر الثقافات والحضارات.

ومدينة صور بعد بنيانها من جديد في القرن الثلاثة الأخيرة أصبحت ملتقى لأديان وطوائف مختلفة. فيها خمس مراكز دينية هامة للشيعة وللسنة وللموارنة وللروم الكاثوليك وللروم الأرثوذكس.

وسكان صور بالرغم من اختلاف طوائفهم تجمعهم روح الوحدة والأخوة، روح الألفة والمحبة وروح المشاركة والتضامن وذلك بفضل المراكز الدينية والوطنية والتثقيفية القائمة على أرضها. كلها تعطي المثل الصالح في الانفتاح والتواصل، الحوار والتفاهم، حب الوطن وحب الأرض، احترام إنسانية الإنسان ومواطنية المواطن.

ولا شك أن الجعفرية بكل أجهزتها كانت ولا تزال أحد أهم المراكز الهامة التي عززت هذه القيم وشعت إشعاعات العلم والثقافة والمحبة والإلفة، قبول الآخر والتواصل مع الاختلاف في الرأي بعض الأحيان.

والسيد جعفر شرف الدين مع إخوانه وأعوانه كانوا ركناً من أركان هذه الحضارة والوطنية التي نفتخر ونعتز بهما.

فالسيد جعفر شرف الدين كان رجل فكر ورجل ثقافة ورجل إصلاح اجتماعي ورجل سياسة ووطنية إننا نفتقده اليوم، نذكره ونتذكر كل أعماله بمحبة وباحترام وبشكر فإن كرمناه فإننا نكرم كل هذه القيم وكل الصلات والعلاقات التي

تربط اللبنانيين بعضهم ببعض. وما أحوجنا إلى تعزيز هذه القيم في أيامنا الحاضرة.

وأخيراً إني أذكر وسأتذكر دائماً زيارتي الأخيرة له، أياماً معدودة قبل غيابه عن هذا العالم. كنت أرى، علامات الصداقة والأخوة على محياه.

وكنت أرى في عينيه نظرات إلى ما وراء هذا الوجود. كان يتطلع إلى الوجود الباقي أبد الدهور والأزمنة. فهنيئاً لك عالمك الجديد وأهنئ به، أيها الفقيد الكبير.

ولتبقى الرسالة التي حملت في القلب وناضلت طيلة حياتك من أجلها، رسالة العلم والمعرفة، رسالة المحبة والأخوة، رسالة الهداية والنور مشعة مضيئة في سماء صور والجنوب ولبنان.

وليبقى الوطن موضوع محبة الجمع. والسلام.



كان المثال لأصحاب المبادرات

الوزير الأستاذ عبد الرحيم مراد

رئيس جمعية التنمية الاجتماعية والثقافية

أيها الحضور الكريم،

أتوجه إلى أسرة المرحوم السيد جعفر شرف الدين، وإلى مؤسسات الجعفرية، وإلى عموم آل شرف الدين، بأحر التعازي مجدداً، داعياً الله أن يتغمد الفقيد برحمته، وأن يسكنه فسيح جناته، وأن يمدنا بالهمة، التي تجعلنا نعمل كما عمل السيد جعفر، ونذر نفسه للبر والتقوى، وأن يلهم بيته وأسرته وأهله، وذويه ومحبيه الصبر والسلوان.

لقد كان السيد جعفر شرف الدين، مثالاً لأصحاب المبادرة الخاصة بالاهتمام التربوي، وبالسعي الدؤوب لتعميم العلم والمعرفة، وكان بنفسه يقود هذا الأمر، معلماً في الصف، ومرشداً في الملعب، مديراً للكلية الجعفرية، ورئيساً لمؤسساتها، وكانت هذه المسؤولية تزيده تواضعاً، وتضاعف من تصميمه على النجاح.

لقد كانت لديه قناعة، بأن التعليم هو مفتاح الحياة إلى الأفضل، فراح ينشئ المدرسة تلو الأخرى، محققاً من خلال جمعية إنعاش القرى، أوسع انتشار للتعليم المجاني في المرحلة الابتدائية، يعتمد على جهد فرد ومتابعته ومثابرته، فكان بذلك يؤسس للتعليم الإلزامي، الذي أصبح اليوم ضمن مسلماتنا التربوية.

اهتم السيد جعفر شرف الدين بالتربية، كما اهتم بالقضايا الاجتماعية، وبالقضايا السياسية، التي قادته إلى الندوة النيابية لثلاث دورات متتالية بين ١٩٦٠ و١٩٧٢، فكان الأمر بالنسبة إليه مجالاً لتوسيع دائرة الخدمة العامة، وراح يطالب بتعميم مشروع الإنارة ومياه الشفة، وتأهيل الطرقات، وتحسين الخدمات الاجتماعية، وقد كانت هذه الأمور قبل أربعين عاماً، تحتاج إلى نضال حقيقي لإنجازها.

لقد كان البار بأهله وبدينه وبوطنه، وترك من المآثر الحميدة ما يجعلنا ندعو له دائماً بالرحمة، ونذكره بالخير، وأن تظل مؤسسات الجعفرية نبراساً للهدى والمعرفة.

أيها الحضور الكريم،

كان السيد جعفر شرف الدين، محباً للعلم، وكان العلم أيضاً يحبه، فتلاميذ الجعفرية ومتخرجوها وكل أسرتها التربوية، يجسدون المعنى العميق للحديث النبوي الشريف: «إذا مات ابن آدم انقطع علمه إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له».

رحم الله السيد جعفر شرف الدين، وأسكنه فسيح جناته في أعلى عليين مع الصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقاً، وألهم أهله ومحبيه الصبر والسلوان، والسلام عليكم.

أنحني سعيداً وحزيناً في آن

الأستاذ محمد يوسف بيضون

رئيس الجمعية الخيرية الإسلامية في بيروت

عرفتُ أبا محمد اجتماعياً وسمعتُ عنهُ ثمَّ بدأتُ أتعرف إليه عن قرب في إطار اتحاد المؤسسات الإسلامية حيث كان يمثّل الجعفرية كرئيسٍ لها وأنا أمثل العامليّة بالصفة عينها أيضاً.

من ذكرياتي معه أنه:

إذا نظر إليكَ ترى المحبة تشع من عينيه،

وإذا صافحكَ تشعر أن يديك قد امتلأتا بحرارة الإيمان،

حين يتكلم معك، تكتشف عفوياً الصدق في كلماته،

وحين يناقش أمراً تجد نفسك تصغي إليه بكليتها.

يمتلك الكلمة ويُخرجها مصبوبةً في قوالب سهلة، بسيطة، جميلة، معبّرة تتراءى إليك، كأنها من نوع خاص.

لم تسنح لي الظروف، بسبب الأحداث أن أتعرف إليه بما فيه الكفاية، لذلك رحتُ أقرأ سيرة حياته وما كتب عنه. وأعترف أن ما وقفتُ عليه كان قليلاً، ومع ذلك فقد سلّط الضوء على جوانب متعددة من حياته، أستاذاً ومديراً فرئيساً للجعفرية، إعلامياً وأديباً وكاتباً ومؤلفاً وممثلاً عن الشعب في الندوة النيابية على امتداد دورات ثلاث، وتمكنت بذلك من الإلمام بشخصية أبي محمد والتحدث عنه.

الراحل الكبير،

في ذكراك جعفر اليوم، أراني أنحني أمامكَ سعيداً وحزيناً في آن.

سعيداً لأنكَ قد لاقيتَ ربكَ راضياً مرضياً، راضياً بما أديتهُ في حياتك لعبادهِ وخلقِهِ، وراضياً بما كافحتَ لمحاربة الجهل والفقر في صفوفهم وراضياً بما جاهدتَ في سبيل أمتك ووطنكَ.

وحزيناً، لأنكَ كنتَ نادراً بين أقرانكَ، نادراً في محبتكَ الصافية للناس، ونادراً في صدقكَ ووداعتكَ، نادراً في إخلاصكَ وأمانتكَ، نادراً في اندفاعكَ واستقامتكَ، نادراً في فكركَ المعطاء وإنتاجكَ الغزير والفريد في مجال الإعلام والأدب والإسلاميات. وما الموسوعة القرآنيّة التي وضعتها في اثني عشرَ مجلداً إلاّ شاهداً على فرادتكَ وإبداعكَ.

ويشتدُ حزني، وينتابني الخوف، حين أقارن بينكَ وبين العديد ممن شغلوا الساحة ويشغلونها اليوم. أما الخوف، فمردّه أنهم على نقيض ما كنتَ عليه خُلقاً وتطلعاً.

وأخالك كنتَ في قرارةِ نفسِكَ تخشى الحاضرَ ويخيفكَ المستقبل، قبل أن تغادرنا إلى دنيا الحق وقد تسنى لكَ أن تعايش السياسات التي كانت سائدة على غير صعيد. فالخلافات كانت ظاهرة، والصراعات كانت وافرة. الفساد استشرى والسيبان تمادى. الاقتصاد والاجتماع دخلا العناية الفائقة ولا يزالان فيها. وإذا كان ما تقدّم قد أخافكَ، فما بالكَ بما حدث من بعدك.

لقد حدثَ أمرٌ خطيرٌ تحوّل إلى مفصل تاريخي. إنهُ الحادي عشر من أيلول من عام ٢٠٠١. هذا المفصل قد أجّجَ الوضع في منطقتنا وهزّها هزاً، وإذا كان غيابك لمْ يمكنكَ من مشاهدة ما حصل ويحصل في فلسطين وما يُحضّر للمنطقة من خطط، فإنّ نظرتكَ للأمور وتوقعاتكَ للمستقبل، في خضم خلافات عربيّة وصراعات إقليميّة كانت تنبئكَ ولا ريب بما يستجد، وبما هو آت، إذ ليس من الصعب استباق ما قد تؤدي إليه مسببات منت نتائج أو محصلة خصوصاً إذا كانت المعطيات واضحة ومسبوقة بسوابق.

أبا محمد،

إنّ من حضرَ اليوم إلى ذكراك، اتى ليفيكَ بعضاً من حقك، إذ لا يمكن أن

يفيكَ كلّ حقك. فحقك ليس محصوراً بأجيالِ عايشتكَ بل هو يمتد طويلاً مع الزمن ما دامَ هناك عين تقرأ نتاجكَ وأذن تصلها مآثركَ.

إن من حضرَ اليوم إلى ذكراكَ، أتى ليعبّر عن عرفانهِ بجميلكَ، جميلكَ لهُ، لأبيه، لابنه، لعائلته، لقريته، لمنطقته، لوطنه، لشعبه، لأمته. فهو لا ينسى تضحياتكَ في مجال تعليم وتربية الناشئة، ولا جهادكَ في سبيل وطنكَ وعروبتكَ، ولا ينسى أبداً ذاك الإنسان الذي كنتهُ أنت.

وإذا كنا هنا لا نراك، فأنت في عليائكَ ترانا. إنّ ما يجمع بيننا الآن أن كلينا يشعر بوجود الآخر.

ولأننا نشعر أنكَ معنا، أود أن أطمئنكَ أنّ الجعفرية بخير، وأنها بيدٍ أمينة. كانت وستبقى منارة علم ورسالة، تحتضن، الأبناء تلو الأبناء، تعلمهم وتربيهم وتنشئهم النشأة الوطنيّة الصحيحة المؤمنة، ليكونوا فاعلين اجتماعياً وقادرين على الإنتاج والتفاعل الناشط في المجتمع، على ما ورد في أهداف الجمعية الخيرية الإسلامية العاملية في نظامها الأساسي الذي وضعه لها المغفور له رشيد يوسف بيضون عام ١٩٢٣ ميلادية.

أبا محمد،

الجعفريةُ بخير، فقد تبادلنا عند رحيلك، ابنك محمد وأنا الحديث عن الجعفريّة والعامليّة وتطرقنا إلى نسب نجاح تلامذتنا في شهادة البكالوريا الرسميّة وكانت فرحتنا كبيرة حين تبين لنا أنها قد قاربت المائة بالمائة في كلتي المؤسستين.

اليوم وفي ذكراك، أطمئنكَ، أنّ الجعفريّة والعامليّة ستبقيان على اتصالٍ وتواصل تتبادلان التجارب والخبرات، تأخذ الواحدة من الأخرى ما عندها من أحسن توظفه في رفع نوعية التعليم المتطور أبداً.

أبا محمد،

في ذكراكَ اليوم، وفي ختام كلمتي، أراني أنحني ثانية أمامك سعيداً وحزيناً في آن.

للخير والنهوض عمل

الأستاذ تمام سلام
الرئيس الفخري لجمعية المقاصد الخيرية

في حياة الأمم، كما في حياة الأفراد، أيامُ يسرٍ وأيام عسر. وهي وتيرةٌ تكاد تكون ثابتة. والأمم الحيّة ترى في أيام اليسر فترة إعدادٍ واستعدادٍ لاستقبال أيام العُسر، كما ترى في أيام العسر فرصةً للملمة القوى وإعادة النظر في أساليب العمل، لمواجهة الأزمات من جهة، وللتجدُّد من جهة أخرى. وهكذا يمتزجُ في كل الظروف اليسرُ والعسرُ لحكمةٍ شاءها ربُّ العالمين. ولذلك قال الله في كتابه المجيد ﴿فإنّ مع العسر يُسراً * إنّ مع العسر يسرا﴾.

أستذكر هذه الآية الكريمة في ذكرى السيد جعفر شرف الدين لأنه رحمَه الله وطيَّب ثراه، قد توالت عليه أيام اليسر وأيام العسر، فعرِفَ كيف يجعل من هذه وتلك ميداناً لعملِ الخير، من أجل خدمة بلده ومجتمعه.

ومفهومُ الخير في مجتمعنا هو نفسُ مفهومِ الإنماء في المصطلح المعاصر. بل إن مفهوم الخير أوسعُ وأشملُ وأعمقُ من الإنماء. إذ لا يقتصرُ الخيرُ، والأعمال الخيرية، على بذلِ المال في مساعدة الفقراء والمحتاجين - فهذه صدقة - وإنما الخيرُ والأعمال الخيرية، هو توفيرُ سبلِ العيش الكريم والأمن والطمأنينة والحقوق الأساسية لكل إنسان. وما التعليم والعمل السياسي والاجتماعي الذي استأثر باهتمام السيد جعفر رحمه الله، إلا أوجهٌ من عمل الخير لتأمين العيش الكريم وتأكيد معنى التكامل والتضامن في المجتمع.

هذا المفهوم للخير والأعمال الخيرية هو الذي ساد المجتمع في الحقبة الزمنية الغنيّة التي عاش فيها السيد جعفر رحمه الله. فإذا به يَنْشَطُ في عملِ الخير، بهذا المفهوم الشامل، لينهضَ بمجتمعه في صور وجوارها. فكان المربي الفاضل والمرشد الواعي والناشط الاجتماعي، والقائد السياسي، والمحرك للنشاط الاقتصادي والاجتماعي، معتبراً أن السيد في قومه أعظمُ مسؤوليةً من سواه، وأشدُّ حرصاً على تقدم مجتمعه، وذلك بحُكم شرف المَحتَدِ وعمق الالتزام.

كان السيد جعفر صديقاً لوالدي، فالروابط بينهما كثيرة ليس أقلُّها عمل الخير بالمعنى الشامل الذي ذكرت. ولكنَّ ثَمَّة روابط أخرى تستحق التنويه في هذا المقام وفي هذه الأيام بوجهٍ خاص.

فقد تلاقى الرجلان على اعتبار التعليم أساس النهضة الاجتماعية. لذلك كرّس السيد جعفر شرف الدين جُهْدَهُ وجميع إمكاناته للمدرسة الجعفرية في صور وللمؤسسات الجعفرية عموماً، كما كرّس صائب سلام جهده وإمكاناته لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت وخارجها. فإذا بالعمل التربوي، ينهجُ في كلا المؤسستين نهجاً وطنياً وعربياً صافياً يتخطى كلَّ اعتبارٍ طائفي أو مذهبي أو إقليمي. فهمومُ الجعفرية في صور كانت عند صائب سلام من هموم المقاصد في بيروت وأفراحُهُما مشتركة ومواقفهما من القضايا الوطنية والاجتماعية واحدة.

ولذلك عندما تأسس اتحاد المؤسسات التربوية الإسلامية في عام ١٩٧٩م، كان شعار الاتحاد: يدُ الله مع الجماعة، والجماعةُ واحدة لا طائفية فيها ولا مذهبية ولا إقليمية. ولذلك كان اتحاد المؤسسات التربوية الإسلامية تتويجاً لمبادراتٍ سابقة قامت بها المؤسسات التربوية ذات النهج الوطني لتنسيق المواقف والتعاون في تحقيق الأهداف المشتركة.

غير أن السيد جعفر رحمه الله قد امتاز على سائر العاملين في الحقل العام في أمرين: الأول أنه كان هو نفسه معلماً وعالماً وأديباً، فقد ورِثَ هذه الصفات أباً عن جدّ. فالعلم والتعليم والتعلُّم في لبّ اهتماماته، سواءٌ تحت قبّة البرلمان، نائباً بايعته صور بالنيابة عرفاناً له وتقديراً، أو ناشطاً اجتماعياً لإنعاش القرى في

الجنوب وفي ضواحي بيروت وحتى في البقاع. ولا أدري كم منكم يعلَم أنه للمؤسسات الجعفرية مدرستان في البقاع وأكثر من عشرة مدارس في ضواحي بيروت، فضلاً عن مدارس صور والجنوب.

يقول بيان اتحاد المؤسسات التربوية الإسلامية المنشور سنة ١٩٨٠:

«وهكذا شقّت الجعفرية طريقها متغلّبة على العقبات الكأداء والظروف الصعبة السوداء النابعة من طبيعة عملها الذي لا يداور ولا يساوم».

كان نجاح المؤسسات الجعفرية ثمرة الإيمان والعمل الدؤوب اللذين توافرا لدى السيد جعفر رحمه الله. ولكنه كان أيضاً ببركة وتوجيه والده المغفور له آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين الذي رعى ابنه البار يوم أسس سنة ١٩٣٨ أولى المدارس الجعفرية في صور.

فإلى هذه العائلة الشريفة الفاضلة أطيبُ تحيةٍ في ذكرى الرائد التربوي، والعالم، والأديب، والسياسي الأمين، المغفور له السيد جعفر شرف الدين، وهذه الذكرى مناسبة أتوجه بها بتحية إلى أبناء السيد جعفر الذين يكملون الطريق الذي سار عليه والدهم الكبير في خدمة الجنوب.



تعلمنا مجاناً ودون مِنّة

الأستاذ عبد اللطيف قطيش

مدير عام التعليم المهني والتقني سابقاً

أيها الحفل الكريم،

ما كان لي - ولربما ما كان لغيري أيضاً - أن أستظهر في عجالة كهذه جميع ما تستتبطه هذه الذكرى من موضوعات وقضايا على اختلافاتها الشتى، وتنوعاتها المتعددة، من اجتماعية، وثقافية، وسياسية، وسواها.

وعليه فإنني سأتخير لنفسي من مختلف الجوانب التي توحي به هذه المناسبة جانباً لصيقاً بي لا لطابعه الشخصي وحسب، وإنما لدلالته العامة الطاغية. وهو أمر تستنهضه الذاكرة من الماضي بتفاصيله وجزئياته الخاصة، في الوقت الذي هو ماثل فيه في الحاضر بمفاعيله وآثاره.

كان ذلك في زمن برقى إلى نيف وخمسين عاماً، عندما كنت في الثانية عشرة من عمري تلميذاً في الكلية الجعفرية هذه. وكان قد سبقني إليها شقيقي الأكبر بعامين. ففي العام ١٩٤٨ سقطت فلسطين في أيدي الصهاينة، ونجح هو في الشهادة الابتدائية، فختم بذلك صفوف التعليم في المدرسة الرسمية في بنت جبيل ومع بداية العام الدراسي، راح يبحث بمفرده، على الرغم من صغر سنه، عن مدرسة يتابع فيها تعلمه في المرحلة التالية. ذلك بأن الأهل أميون لا يعرفون أي شأن من شؤون التعلم والتعليم، ثم إنه لا متسع لديهم من الوقت للقيام بعمل

نافل كهذا. فهم يذهبون إلى العمل في الحقل ـ وهم يسمونه الوعر ـ مع دغش الضوء في الصباح، حتى وقبل أن يتبين لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود، ولا يعودون منه إلا مع عتمة الليل الداكن وهم لا يتبينون أيضاً الخيط الأبيض من الخيط الأسود.

وبعد أن مضى جل الوقت من الفصل الأول من الدراسة بحثاً عن مدرسة، ساقته المقادير إلى هنا، إلى الكلية الجعفرية، والتلاميذ يتحضرون، آنذاك، لامتحانات هذا الفصل. فشارك فيها، وخيراً فعل، على الرغم من أنه خُيِّر بعدم المشاركة ـ وكان الأول من بين التلاميذ. وأبلغ المقدس السيد عبد الحسين شرف الدين، رضوان الله عليه، بأمره فاستدعاه وسأله عن نفسه وعن أهله من يكونون. فقال له أخي صادقاً من قال. فأعفاه ـ رضوان الله عليه ـ من دفع الأقساط المدرسية كاملة ما دام تلميذاً في الكلية الجعفرية، بل أنه اعتذر له عن أن الإمكانات المالية للكلية لا تسمح بمساعدته بما هو أكثر.

وانسحب هذا الإعفاء من دفع الأقساط المدرسية فشملني أيضاً، وبصورة تلقائية، دون أن أكون على درجة أخي من التفوق. فأنا ابن الأهل أنفسهم، وابن الأسرة ذاتها. وهكذا، وبهذا القدر من البساطة واليسر والسهولة تعلمنا. مجاناً، في الكلية الجعفرية طيلة السنوات التي مكثناها فيها. لم يمننا أحد على ذلك يوم كنا فيها أطفالاً يافعين، ولا بعد أن تخرجنا منها، وحتى يومنا هذا. بل أننا كنا نشعر بحدب وعطف خاص من جميع القائمين على إدارة الكلية ولا سيما من المرحوم السيد جعفر، وما زلنا نحس بدفئه إلى الآن.

وكان من نتائج ذلك أن تنشأنا على نمط في السلوك نأى بنا عن أن نحشر أنفسنا في عداد البشر المكومين في دواوين النافذين والمتنفذين وفي أروقة صالوناتهم يتقلبون فيها بين الفينة والفينة ذات اليمين وذات الشمال لإراحة مؤخراتهم من طول المكوث على المقاعد انتظاراً للمقابلة الميمونة التي لا تسفر، في الغالب، عن شيء. ثم أننا أدركنا بفطرتنا الريفية ـ من جراء تجربتنا في الكلية الجعفرية ـ أن لا طريق تفضي بنا، وبأمثالنا من بسطاء الناس وفقرائهم الذين لا تعضدهم ثروة ولا عديد من حاملي العصي، إلى العيش الكريم وبكرامة إلا

باحتضان الكتاب فاحتضناه وهو أهم ما تعلمناه في الكلية الجعفرية دون سواها من المدارس والمعاهد والجامعات وسائر المؤسسات التعليمية التي ارتدناها. ذلك بأن المعارف الأكاديمية وحدها من اليسير أن يكتسبها واحدنا في أي مكان آخر.

وما كنا التلميذين الوحيدين اللذين احتضنتهما الكلية الجعفرية من فقراء الجنوب، فقد كان هناك الكثيرون ممن احتضنتهم هذه الكلية ورعتهم، وقدمت لهم العون والمساعدة. فقد كانت في جبل عامل أقرب إلى أن تكون مدرسة الفقراء وأهل البلوى من أن تكون مدرسة المترفين والمرفهين. وكان هذا السلوك في الاحتضان والرعاية يصدر عن القائمين على إدارة الكلية وكأنه طبع فيهم، وليس اختياراً من اختياراتهم. وإذا كانوا على دراية بمفهوم هذا السلوك، فإنني لا أخالهم على معرفة بمصاديقه أشخاصاً وأفراداً. فالأمر لم يكن استثماراً رأسمالياً ينتظرون ريعه في نهاية الموسم. وأقله هذا ما كنا نستشعره، ونحس به.

وترافق ذلك مع وجود رهط من الأساتذة المنتقين بعناية، المخلصين الجديين المحبين الذين ما برحت أسماؤهم وهيئاتهم، ولكنة أصواتهم وحركاتهم وتصرفاتهم ماثلة في أذهاننا إلى اليوم. ولا أظن أن واحداً منا لا يذكر الأستاذ الروسي ألكسي، والأستاذ الأرمني سيسيان، والأستاذ الفلسطيني محمود نعناعة وميكائيل وسواهم. بل أن الكلمات التوجيهية التي كان يتلوها على مسامعنا صبيحة كل يوم مدير الكلية الأستاذ جرجس كنعان ما زالت بمجملها محفوظة في ذاكرتنا إلى الآن.

والكلية الجعفرية إلى كونها (مؤسسة تعليمية) فإنها كانت كذلك منتدى للمواهب الأدبية، والشعرية بخاصة. وكانت منتدى للفكر السياسي والنقاشات العقائدية والحزبية على اختلافها. وكانت إلى جانب ذلك مؤسسة في التنشئة والتوجيه الوطني.

ولم تتضافر هذه العناصر كلها، وتتآلف مع بعضها بعضاً لتشكل وحدة متصلة الحلقات، متناسقة النشاطات، متكاملة الأدوار من باب المصادفات واتفاقها غير المقصود. وإنما كانت ذلك على ما تقتضي به بدهيات العقل بتخطيط واع

ومنظم ومدروس قام به القيّمون على إدارة الكلية، وعلى رأسهم المرحوم السيد جعفر. فالكلية الجعفرية لم تنسب إلى اسمه وحسب وإنما سارت على الطريق التي اختطها لها، واتسمت بالطابع الذي أضفاه عليها. فخرّجت أجيالاً من الشباب على مدى عقود متتالية من الزمن انتشروا في شتى أنحاء الوطن، وفي جميع بقاع الأرض، فسطعت أسماء منهم في معالم السياسة والإدارة والاقتصاد والأدب والفن، وبرزت شخصيات في دنيا الاغتراب متمولين كباراً ورجال أعمال من الطراز الأول.

إن الذي قدمته الكلية الجعفرية سيمكث في ذاكرة هذه الأجيال. وسيبقى طوق أعناقنا. فما نحن بوافين لها حقاً وإن تجاهدنا، وما نحن بقاطعين لها وداً ما بقينا.

طيّب الله ثراك يا أبا محمد، وعليك مني سلام الله ما بقيت.



على ذكراك نلتقي

المهندس محمد جعفر شرف الدين

حقاً لقد مضى عام على الفراق وها نحن اليوم مع إخوانك وأصدقائك وأبنائك... مع محبيك نلتقي على ذكراك في ظروف عصيبة تمر بها الأمة العربية والشعب الفلسطيني الذبيح ما زال يبذل الدم، جلجلة بعد جلجلة مذبوحاً على أيدي جلاديه بدعم من أمريكا وبأسلحتها المدمرة وممنوع غير الشجب والاستنكار، وبخفر بأمر من السيد الأمريكي.

نلتقي على ذكراك في هذا الصرح الذي لا نزال نسمع في أرجائه وزواياه أصداء لم تنفك عن التردد لصوت الإمام المؤسس طيّب الله ثراه خطيباً في افتتاح أحد الأعوام الدراسية بقوله: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾ صدق الله العظيم. وغيرها من المواقف. كذلك ترداد لصوتك، أبي، رحمك الله، في العديد من المناسبات التربوية والثقافية والوطنية. لقد بادر الإمام المؤسس طيّب الله ثراه في الثلاثينات من القرن الماضي في خطوة تنويرية، إلى تأسيس جمعية نشر العلم مبتدأ بإنشاء مدرسة لتعليم البنات، ومن ثم مدرسة لتعليم البنين ومن هنا كانت انطلاقة الجعفرية الأولى في ظروف كان أهلنا في جبل عامل في أمسّ الحاجة إلى مبادرات كهذه هدفها ترسيخ أسس ثابتة لعالم منفتح على آفاق العلوم الحديثة مؤمن بدعوة الباري عز وعلا إلى ضرورة تحصيل العلم والمعرفة كأساس للإيمان والخير والحق (فطلب العلم فريضة). وقد تابع الوالد رحمه الله المسيرة وعمل جاهداً مضحياً بالغالي والنفيس لكي ينهض بالجعفرية مؤسسة تربوية أثمرت الآلاف من شباب جبل عامل خاضوا ويخوضون

اليوم غِمار الحياة بكل نجاح (ومن ثمارهم تعرفونهم كما قال المسيح عليه السلام السيد والمعلم).

كما وتداعى رجال متنورون في مختلف أرجاء الوطن لإنشاء مؤسسات تربوية منهم من سبق الجعفرية ومنهم من جاء بعدها، وقامت هذه المؤسسات بتأمين الفرص للأجيال المتعطشة إلى مناهل العلم والمعرفة والأخلاق، بهدف القضاء على الجهل والأمية وصولاً إلى مجتمع رائد، ولولا أولئك التنويريون وتلك المؤسسات لما تمكن المجتمع اللبناني من تحمل ما مرّ ويمر بالبلاد والعباد من محن.

وها نحن الآن نتابع مسيرة الجعفرية على هدى ورسالة الجد والأب رحمهما الله وهذه الجعفرية ستبقى صرحاً في مدينة الحرف ومنهلاً لكل متعطش للعلم والمعرفة.

أبي... يا أبي، لقد غاب جسدك عنا قبل عام ونحن إذ نحتفل بذكرى روحك السمحة وطلعتك المشرقة بالمحبة والود. وننعم بآثارك الطيبة المغروسة في النفوس، ذكرياتٍ تتغنى بمجيد أعمالك الخيِّرة في جنوبنا الحبيب الذي لن ينس مواقفك الأصيلة وخدماتك الجليلة خلال تمثيلك إياه في المجلس النيابي كما وإن ما تركت من أثر ثقافي وأدبي من مقالات وكتب وموسوعات سيبقى ليُنتفع به علماً ومعرفة.

على اسمك نمضي...

فمن طيب شهيّ المجاني إلى أطيب...

وهنا لا يسعني إلا أن أتقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان للخطباء الكرام وكلماتهم المعبّرة. وللحضور الكريم على مشاركته إيانا هذه المناسبة مبتهلين إلى الله عزّ وجلّ أن يحفظكم جميعاً ويرعاكم ويدرأ عنكم كل مكروه.

السيد جعفر شرف الدين خطيباً في مناسبة مدرسية

1963



السيد جعفر شرف الدين في مجلس النواب في بيروت

1961

في



السيد جعفر في استقبال حكيم افريقيا الرئيس سنغور أثناء زيارته الى صور يرافقه المرحوم النائب ا



في المؤتمر البرلماني الدولي في بروكسل عام ١٩٦١



من حفل تكريمي اقامه له المنتدى القومي العربي تسلم [illegible] التكريم من السيد محمد صفي الدين وبحضور السيدة قرينته [illegible]
الأستاذ معن بشور



[illegible] في قاعة [illegible] عام ٢٠٠١



[illegible] حفل التكريم الذي اقامه المنتدى القومي العربي [illegible]